# البريلوية

## ما لها وما عليها


تأليف

العلامة الشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادري رحمه الله

(١٣٦٣ / ١٤٢٨هـ)

تعريب نجل المؤلف

الدكتور ممتاز أحمد السديدي الأزهري



جمعية رضا المصطفى

دار التراث للتحقيق والترجمة والطباعة والنشر

الكتاب:

البريلوية ما لها وما عليها

التأليف:

للعلامة الفقيه

محمد عبد الحكيم شرف القادري ﷺ

التعريب:

نجل المؤلف الدكتور

ممتاز أحمد السديدي الأزهري

الإشراف الطباعي:

دار تراث الأسلاف

عدد الصفحات:

222

الطبعة الأولى:2025

دار تراث

للتحقيق والترجمة والطباعة والنشر

# كلمة الشكر

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، حمدًا يوافي نِعَمَه ويكافئ مزيدَه، والصلاةُ والسلامُ الأتمانِ الأكملانِ على سيِّدنا ومولانا محمدٍ النبيِّ الأميِّ المبعوثِ رحمةً للعالمين، وعلى آله الأطهار وصحبِه الأخيار أجمعين.

أمّا بعد: فإنّ العلّامةَ الجليل، شيخَنا محمد عبد الحكيم شرف القادري ﷫، قد نهضَ بمؤلَّفِه النفيس وكتابِه القيّم الموسوم بـ «**البريلوية: ما لها وما عليها**»، نصرةً للحقّ، ودفعًا للشبهات، وردًّا على الافتراءات التي وُجِّهت إلى إمام أهل السُّنّة، ومجدِّد الدين والملّة، الإمام أحمد رضا خان القادري البريلوي ﷫. ذلك الإمامُ الذي اجتمعَ فيه تحقيقُ الماتريدية في العقيدة، ورسوخُ الحنفية في الفقه، وصفاءُ القادرية في السلوك، فكان عَلَمًا من أعلام الأمة، هوا عالم من كبار العلماء شبه القارة الهندية.

وقد جاء هذا الجهدُ المبارك في وقتٍ تجاسر فيه بعضُ الكُتّاب في كتابه «**التصوف: النشأة والمصادر**»، فراح يطعنُ في التصوف وأهله، ويُشوّه صورة مشايخ الطرق، بل جاوزَ الحدَّ فاختلق التُّهَمَ الباطلة على الإمام أحمد رضا، فنسبه إلى القبورية والقاديانية والتشيّع. وهي دعاوى ساقطة لا يعضدها دليل، بل قد فنّدها الإمامُ بنفسه تفنيدًا قاطعًا، فصرّح بأنّ سجودَ التحية لغير الله محرَّم في شريعتنا المحمدية، وأنّ سجودَ العبادة لغير الله تعالى شركٌ صريح. وخصّص مؤلفاتٍ مستقلةً في الرد على الشيعة، و القاديانية مُبيِّنًا زيف مقالاتهم وانحراف عقائدهم، فانكشف بذلك بطلان تلك الافتراءات كلّها.

ثم أكرمَ الله تعالى هذا الكتابَ بعد فراغه، بأن تولّى ترجمته إلى اللغة العربية **فضيلةُ الأستاذ الدكتور ممتاز أحمد سديدي الأزهري** ﷾. ولمّا وقف عليه ناشر أهلِ السُّنّة، والمؤسس جماعة رضاءِ المصطفى (بريطانية UK)، سماحةُ **مفتي نظام الدين المصباحي** ﷾، رأى أن ينشره في ربوع العالم العربي، فشمّر عن ساعد الجدّ، وتحمّل عبءَ الطبع والنشر، فجزاه الله خيرًا وأحسن إليه. وكان في هذه المسيرة المباركة عضُدًا قويًّا له **الشيخُ حامد الرضوي والشيخُ اشتياق من مدينة بلكبرن**، فقامَا بدورٍ عظيمٍ في المعاضدة والتأييد، فكان لهم أوفر الحظ والنصيب من الأجر والمثوبة.

وإني أنا العبدَ الفقير، **غلام محمد القادري**، خادم ساحة الإمام أحمد رضا القادري، قاهرة، مصر أتقدّمُ بخالص الشكر وجميل الامتنان إلى هؤلاء الأعلام الأجلاء، وأرفع أكفّ الضراعة إلى المولى الكريم جلّ وعلا أن يجزيهم عن الإسلام وأهله خيرَ الجزاء، وأن يبارك في أعمارهم وأعمالهم، وأن يجعل هذه الجهودَ في موازين حسناتهم يومَ لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى اللهَ بقلبٍ سليم.

اللهمَّ تقبَّل هذا العملَ المبارك، واجعله خالصًا لوجهك الكريم، وانفع به عبادك في المشارق والمغارب، ووفِّقنا جميعًا لخدمة دينك العظيم ومذهب أهل السُّنّة والجماعة بصدقٍ وإخلاصٍ ومحبةٍ ووفاء.

وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلّى الله على سيِّدنا محمدٍ وآله وصحبِه أجمعين، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

بسم الله الرحمن الرحيم

# كلمة رئيس المحكمة (المتقاعد) ميان محبوب أحمد حفظه الله

لقد قام أصحاب كل ديانة في العالم بوضع أصول وقواعد للعيش الآمن وإنقاذ البشرية من الخصومة، والمشاجرة، والقتل، والظلم. ومن البدهي أن دستور الحيات المكوَّن بالعقول البشرية يظل ناقصا من جهات كثيرة، إلا أن الدستور الإلهي الذي قدمه الإسلام متصف بالكمال وإحاطة جوانب للحياة، وهو صالح لكل زمان ومكان، لأن خالق البشرية أعلم بقضايا الحياة ومشاكلها ومصالحها ممن دوَّن الدستور من البشر. من المؤسف للغاية أننا علي رغم إيماننا بتوحيد الله تعالي ورسالة نبي آخر الزمان ﷺ مظلومون ومقهورون في عالمنا المعاصر وذلك لابتعادنا عن الكتاب والسنة.

يواجه المسلمون في العصر الراهن مشكلة الإلحاد، والدمار الخُلقي، والزوال العلمي، كما أنهم مصابون بالخلافات بين المسلمين والتطرف في هذه الخلافات. وتتزايد هذه الخلافات بين أهل القبلة ولا تتوقف، وفي مثل هذه الظروف نشعر بأمس حاجة إلى المصلحين المتمكنين من الإسهام في جمع كلمة المسلمين.

بالأسف الشديد وجِّهت تُهم كاذبة إلى المحدث العظيم والفقيه الجليل الإمام أحمد رضا -على رغم علمه الغزير وفضله الكبير وتقواه.- ثم نشرت هذه الاتهامات في العالم الإسلامي. وفي مثل هذه الظروف يجب علينا أن نبحث الحق بجدية، فإذا كان المتَّهَم على قيد الحياة يجب الاستماع إليه قبل إصدار الحكم عليه، بل يجب استبيان الأمر المتنازَع عليه بالاستماع إلى الطرفين بالأمانة، وبعد ذلك يتم إصدار الحكم الشرعي الذي يبدو في ضوء الكتاب والسنة. لقد ارتحل الإمام أحمد رضا إلى دار الآخرة إلا أن كتبه موجودة فيما بيننا فإذا كان لدى أحد شبهة في شخصية الإمام أحمد رضا -أي في أفكاره وآرائه- فعليه أن يطالع مصنفات فضيلة الإمام حتي يطلع على الحقيقة.

ولايليق بذي علم أن يحكم بالكفر، أو الشرك، أو البدعة على مسلم دون معرفة

حقيقة الأمر، وعلينا أن نبحث المشتركات بيننا وذلك على رغم الخلافات فيما بيننا، وعلينا أن نهتم بآداب الخلاف، لأن عالَم الكفر قد وصف وما زال يصف المسلمين بالأصولية، والتطرف، والإرهاب. ونرى إهانة القرآن الكريم ونبي الرحمة ﷺ متزايدة من يوم لآخر في العالم. ومن هنا تزيدنا خلافاتنا فيما بيننا زوالا دينيا، وعلميا، وسياسيا، واقتصاديا.

لقد قام مولانا محمد عبد الحكيم شرف القادري رحمه الله بالرد على الاتهامات الموجَّهة إلى الإمام احمد رضا خان بكامل السماحة والاهتمام بالمسئولية. والمرجو أن تزول الشبهات المثارة حول فضيلة الإمام وتنخفض شدة الخلافات، وإن الترجمة العربية لهذا الكتاب أمر مستحسن، نسأل الله الكريم أن يوحد الأمة الإسلامية، آمين يارب العالمين.

٢٢ من شهر ذي الحجة سنة ١٤٤٣م
٢٢ يوليو ٢٠٢٢م

**القاضي (المتقاعد) ميان محبوب أحمد**
رئيس المحكمة الشرعية الفيدرالية سابقا.
رئيس محكمة لاهور العليا سابقا.
رئيس منظمة المكافحين فى حركة باكستان، لاهور.

## كلمة القاضي (المتقاعد) ميان نذير أختر حفظه الله

كان الشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادري رحمه الله عالما دينيا ثقة، ومبلغا إسلاميا، ومحققا، ومصنفا لكتب كثيرة، والذي يُعرف في أرجاء باكستان بلقب: "شرف الملة" فقد قام بمطالعة الكتاب: "البريلوية: عقائد وتاريخ" مطالعة دقيقة وبيَّن ما فيه من شكوك وشبهات، فأبطل تهمة التشيُّع الموجَّهة إلى الإمام أحمد رضا رحمه الله بالدلائل، وذكر أسماء مؤلفاته في الرد على الشيعة، كما بين فضيلة الإمام فيما كتب أنه كان الصحابة رضي الله عنهم على طريق الحق والصواب حين انتخبوا سيدنا ابابكر رضي الله عنه كخليفة لسيدنا رسول الله ﷺ، وحين انتخبوا سيدنا عمر رضي الله عنه كخليفة لخليفة سيدنا رسول ﷺ. هذا وقد قام فضيلة الإمام بالرد على أذان الروافض المشتمل على قولهم عن سيدنا علي رضي الله عنه أنه خليفة رسول الله ﷺ بلا فصل.

وقد قيل عن الإمام احمد رضا أنه كان تلميذا لمرزا غلام قادر بيك، والذي قيل عنه أنه كان شقيقا لمرزا غلام أحمد القادياني. وهما تهمتان لا أساس لهما من الصحة، لأنه كان أخ مرزا غلام أحمد القادياني قد مات في عام ١٨٨٣م بينما كان أستاذ الإمام أحمد رضا مرزا غلام قادر بيك رحمه الله علي قيد الحياة عام ١٨٩٧م والذي كان مسلما صحيح العقيدة، إنهما شخصيتان متغايرتان، إلا أن مؤلف الكتاب: "البريلوية" أظهر أنه كان أستاذ الإمام رحمه الله مرزا غلام قادر بيك أخا لمرزا غلام أحمد القادياني، وعندما كتب فضيلة الشيخ عطيه محمد سالم تقديما للكتاب: "البريلوية" كتب فضيلته دون بحث وتحقيق: "القاديانية والبريلوية في خدمة المستعمر شقيقان." ولو قام فضيلته بالبحث والتحقيق فى هذه القضية لظهرت له الحقيقة أن شقيق المرزا غلام أحمد القادياني وأستاذ الإمام أحمد رضا شخصيتان متغايرتان، وقد بيّن الإمام أحمد رضا عقيدته تجاه ختم النبوة فى كتابه المعروف: "المبين في ختم النبيين." كما أعرب عن رأيه في رسائله الأربعة وفتاويه

الكثيرة أن القاديانية كفرة ومرتدون. لقد بيَّن شرف الملة رحمه الله بوضوح أنه كان الإمام أحمد رضا صاحب عقيدة صحيحة عن ختم النبوة والقاديانية.

وكان الإمام أحمد رضا موحِّدا غيورا، فكان يري سجود التحية والتعظيم لغير الله حراما، كما كان يرى أن الله تعالي منزه عن كل عيب ونقص، فقد قام بالرد على عقيدة إمكان كذب البارئ تعالى ونقصه لخليل أحمد انبيتوي والتي بينها الرجل في كتابه: "البراهين القاطعة" فقام فضيلة الإمام بالرد على هذه العقيدة الزائغة في كتابه: "سبحان السبوح، عن عيب كذب مقبوح". لقد كان الإمام أحمد رضا متبعا لمذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله، ومنتميا إلي الطريقة القادرية، وكانت عقائده تابعة للكتاب والسنة.

لقد نال تأليف الشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادري رحمه الله استحسانا عظيما في أرجاء باكستان، فقد اطلع القراء بكتابه هذا على معرفة الجانب العلمي، والديني، والسياسي والفقهي لشخصية الإمام أحمد رضا رحمه الله، وكانت الآية القرآنية: "وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا." تلمع في الذهن من حين لآخر خلال مطالعة هذا الكتاب، لقد جاء شرف الملة رحمه الله بالكلمات المنوره في كتابه هذا والتي ذهبت بالظلمات التي كان قد نشرها الكتاب: "البريلوية عقائد وتاريخ." وإنه مبعث السعادة والسرور أن الترجمة العربية لهذا الكتاب سوف تطبع من بيروت، وهكذا سوف تظهر الحقيقة أنه لا أساس للاتهامات الموجهة إلى الإمام أحمد رضا رحمه الله في الكتاب المذكور آنفا، وكانت هذه التهم مبنية على العصبية فقط.

٢ من شهر ذي الحجة سنة ١٤٤٣م

٢ يوليو ٢٠٢٢م

**القاضي (المتقاعد) ميان نذير أختر**

القاضي بمحكمة لاهور العليا سابقا.

عضو مجلس الفكر الإسلامي الباكستاني سابقا.

أمين بيت المال بإقليم بنجاب سابقا.

الأستاذ المشارك سابقا بكلية القانون، جامعة بنجاب، لاهور.

## تقريظ للشيخ عماد الدين بن أحمد بن أبي حجلة النابلسي رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله حمداً يليق بجلاله وعظيم سلطانه، فهو الخالق لكل شيء، القادر على كل شيء، الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. وأصلي وأسلم على سيدنا محمد البشير النذير، المبعوث رحمة للعالمين، الذي عم نوره السموات والأرضين، ونسخت رسالته جميع الرسالات، وارتفع ذكره فوق الكائنات. وأصلي وأسلم على الملائكة الأكرمين، والآل الطاهرين المطهرين، والصحابة أجمعين، وجميع عباد الله الصالحين، ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين وبعد: فقد أرسل لي الشيخ الفاضل رئيس مؤسسة الصفة ومؤسسها مولانا محمد عمر حيات القادري حفظه الله بكتاب: (البريلوية ما لها وما عليها) وطلب من العبد الفقير بوضع تقريظ على الكتاب.

فأقول وبالله التوفيق: إن الإمام شيخ الإسلام أحمد رضا بريلوي رحمه الله العالم الرباني صاحب التصانيف البديعة قد قضى حياته مدافعاً عن السنة على طريقة أهل السنة والجماعة المتمثلين في المذاهب الأربعة رضي الله تعالى عن أصحابها، فبين للمسلمين خطورة اللامذهبية وأنها هدم للدين باسم اتباع الكتاب والسنة المزعوم، وإنها تطاول على الإئمة العظام والذين تلقت مذاهبهم بالقبول عبر العصور. وكان رحمه الله حنفي المذهب له اجتهاداته الخاصة في مواضع الخلاف، فدون في الفقه الحنفي كتبا قيمة على رأسها كتابه الموسوعة: "العطايا النبوية في الفتاوى الرضوية." حيث يلاحظ الباحث المنصف أن الإمام رحمه الله كان ضليعاً في الفقه وعلومه، ومجتهداً له رأيه الذي انتصر له بالأدلة الدامغة.

وأما في العقائد فمذهب الإمام وتصانيفه على طريقة أهل السنة والجماعة من الماتريدية كجُلِّ الأحناف، كما أن الشافعية والمالكية وفضلاء الحنابلة هم أشاعرة، وله في ذلك العديد من المصنفات والتي هي غنية عن التعريف.

أما في التصوف فكان رضي الله عنه إماماً يحتذى به قولاً وعملاً، فقد بيَّن من خلال تصانيفه أن التصوف الصحيح هو ما لا يتعارض مع الكتاب والسنة بل هو مستمد منهما.

وقد عُرف الإمام رحمه الله بحبه للمصطفى ﷺ فكتب في مدحه نثراً وشعراً يعجز عنه فحول الشعراء، وإن دل ذلك فإنما يدل على الحب العميق الذي لا يعرفه إلا من ذاقه وسرى في عروقه.

ومهما وصفنا الإمام شيخ الإسلام أحمد رضا رحمه الله فلا نفيه حقه، بل تعجز كتب عن ذلك عوضاً عن بضع وريقات، فقد صنف في القرآن وعلومه، والحديث وعلومه، وفي فنون عدة، فألف كتباً عديدة انتشرت في بقاع المعمورة، وأخذ عنه علماء العرب والعجم وأجاز منهم الكثير. رحم الله الإمام وأسكنه فسيح جناته فقد كان ضليعاً في العلوم الشرعية متمرساً فيها، ذا ثقافة علمية هائلة، وهمة عالية، همه إصلاح ما فسد من أمور المسلمين، وإعلاء كلمة الحق والدين.

وأما عن صاحب كتاب: "البريلوية ما لها وما عليها." الإمام المحدث العلامة محمد عبدالحكيم شرف القادري رحمه الله، فقد أصاب وأجاد، والذي ينظر في بواطن الكتاب بعين الباحث الصادق الذي لا يهمه إلا الحق يرى أن المؤلف باحث متمرس يبحث عن الحقيقة دون شطط أو ميل أو زيغ، وهذا من صفات العالم الرباني الذي دائماً يرجوا رضى الله في جميع أقواله وأفعاله وأحواله، ولا يهمه إلا إحقاق الحق ودحض الباطل، ومن كان وصفه كذلك فالله سبحانه وتعالى يوفقه لما يحبه ويرضاه ويكتب له القبول.

هذا ونتقدم بالشكر الجزيل لمترجم الكتاب من الأردية الى العربية العلامة الدكتور ممتاز أحمد السديدي الأزهري سدد الله خطاه، وجعلنا وأياه ممن ينصرون شريعته، فجزاه الله عنا وعن القراء خير الجزاء، فلولا ترجمته القيمة للكتاب من الأردية الى العربية لما تبين للكثيرين خاصة في عالمنا العربي ممن لا يعرفون شيئاً عن البريلوية الحقيقة من التدليس.

كما نشكر رئيس مؤسسة الصفة للبحوث ومؤسسها مولانا العلامة الشيخ محمد

عمر حيات القادري حفظه الله على الجهود القيمة في نشر المعارف والعلوم النافعة على طريقة أهل السنة والجماعة في مشارق الأرض ومغاربها من خلال مؤسسة الصفة للبحوث بفروعها المختلفة والتي كما عهدناها دائما مفتاحا للخير مغلاقا للشر، فجزى الله خيرا جميع القائمين عليها والعاملين فيها خير الجزاء. والله الموفق للصواب.

١٩من شهر ذي القعدة ١٤٤١هـ

١١ من شهر يوليو سنة ٢٠٢٠م

وكتبه: خادم الدعوة الى الله

**عماد الدين بن أحمد بن أبي حجلة**

# كلمة الأستاذ الدكتور محمد مسعود أحمد رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

عندما أخذت شمس الحكومة الإسلامية الساطعة فى الهند بعد شروقها قرونا متتالية تغرب شيئا فشيئا بدأت ظلمات الزوال والانهيار تنتشر فى أرجاء الهند، وكانت القلوب الجريحة للهنود وقتئذ مليئة بالحزن والحرقة بالإضافة إلى ميل العزائم القوية إلى الانهيار والتفكك، وفى مثل هذه الظروف الحرجة تحركت الرحمة الإلهية تجاه مسلمى الهند المكروبين فطلعت بفضل الله تعالى شمس تنورت بها الآفاق، وارتفعت بها العزائم المنهارة، أعنى بها الإمام أحمد رضا الذى شهد بعظمته العرب والعجم، والذى جعل نفسه وعِرضه وقاءً لعِرض الإسلام ونبيه الكريم -عليه الصلاة والتسليم-. فكرِه أعداء الإسلام حبه الشديد للإسلام ولنبيه ﷺ فأحكمت ضده المؤامرات، ووجِّهت إليه الاتهامات، وبذلت الجهود لنزع حبه وذكراه من القلوب، فأصبح ذكره فى الجامعات كالجريمة نظرا لتواجد المتعصبين فيها، وأصبح من الصعوبة بمكان ذكره فى المجالس العلمية نظرا لكثرة الشبهات المثارة حول فضيلة الإمام، فالذى كان رمز العلم والفضيلة جعلته المؤامرات نسيا منسيا، مضى نصف قرن هكذا، فإذا بالربيع قد عاد إلي بستان أصابه الخريف، فأخذت الأغصان تتمايل، وبدأت الأزهار تتفتح، وقد سعدت مدينة لاهور بجمهورية باكستان الإسلامية بإحياء ذكرى الإمام أحمد رضا حيث تم تأسيس مجلس رضا المركزي عام ١٩٦٨م، وذلك من أجل طبع البحوث والمقالات والكتب عن فضيلة الإمام وتوزيعها مجانا، ونشر الدراسات الرضوية محليا وعالميا، وإنه بفضل الإخلاص والربانية امتدت إلى منظمة مجلس رضا أيدي المخلصين فقامت هذه المنظمة بتوزيع مئات الآلاف من الكتب المعنيَّة بالدراسات الرضوية فى المؤسسات العلمية في باكستان والهند والعالم كله، وبعد اثني عشر عاما من تأسيس هذه المنظمة

أقيمت فى مدينة كراتشي منظمة مماثلة أخرى باسم: "إدارة تحقيقات إمام أحمد رضا." عام ١٩٨٠م وكانت هى الأخرى ذات اهتمام بالدراسات الرضوية، فوصلت مطبوعات هذه المنظمة أيضا إلى أهل العلم فى العالم كله، ثم أقيمت فى لاهور أكاديمية رضا عام ١٩٨٥م والتى قدمت خدمات جليلة فى المجال نفسه، والتي نالت استحسان العلماء والمفكرين خلال خمس سنوات. ثم أقيمت منظمات أخرى ذات الصلة بالدراسات الرضوية وهى : أكاديمية رضا بإنجلترا، وأكاديمية رضا بمدينة بومبائى الهندية، والمجمع السني الرضوي بإفريقيا الجنوبية، وأكاديمية رضا العالمية بمدينة صادق آباد الباكستانية، والمجمع الإسلامي بمباركفور. وهكذا نشأت عشرات المنظمات من أجل إخراج التراث العلمي للإمام أحمد رضا والدراسات الرضوية إلى النور، والحمد لله ظهرت نتائج جيدة فى مجال الدراسات الرضوية بجهود تلك المنظمات، فبدأت الأسئلة عن الإمام أحمد رضا وجهوده العلمية تأخذ مكانها فى أوراق الامتحان لدى الجامعات الباكستانية وعند الامتحان لاختيار البيروقراطيين الباكستانيين.

هذا وقد أصبحت البحوث العلمية عن الإمام أحمد رضا وتراثه العلمي تقدَّم فى مراحل الماجستير، وايم فل (M. Phil) والدكتوراة فى مختلف التخصصات، وبالتالى منحت الشهادات العلمية للباحثين بناء على هذه البحوث والدراسات العلمية الجامعية عن الجوانب العلمية والأدبية لشخصية الإمام أحمد رضا، وفى عصرنا الراهن نال الباحثون برسائلهم العلمية عن الإمام أحمد رضا شهادات ايم فل والدكتوراه فى أربع قارّات، وما زالت بحوث أحد عشر باحثا فى طور الإعداد. وبعضهم مازالوا يسعون من أجل تسجيل موضوع عن جانب من جوانب شخصية الإمام أحمد رضا.[١]

و الجدير بالذكر أن هذا الإمام الجليل -حسب تعبير المعاندين له- كان قد

(١) وللمزيد من التفاصيل انظر مقالا لكاتب السطور تحت عنوان: "الإمام أحمد رضا وجامعات العالم." والذى طبع باهتمام أكاديمية رضا العالمية (صادق آباد، باكستان) كما طبع من منظمة "أفكار رضا" (بهار، الهند) سنة ١٩٩١م .

دفن تحت كومة من تراب الاتهامات والافتراءات إلا أنه عاد حيا من جديد بسبب ظهور الدراسات العلمية الجادة عنه. فكان -بعد فترة محدودة- لذكر الإمام أحمد رضا دويّ عظيم فى الجامعات والمجالس العلمية.

لقد أعدَّ كاتب السطور بحثا علميا عام ١٩٧٠م عن حركة ترك الموالاة وذلك فى ضوء "المحجة المؤتمنة فى آية الممتحنة" تأليف الإمام أحمد رضا، وعند الحديث عن هذه الحركة من المنظور التاريخي قلت فى كتابى هذا: "إن كفاح السيد أحمد البريلوي نفع الإنجليز." وكان هذا الانطباع على عكس الرأى الذى اختلقه بعض المحققين والمؤرخين المتحيِّزين فى الماضى، فقد أثبتوا أنهم بعد جهود طويلة استمرت لمدة سنوات، وما إن طبع بحثي هذا حتى ثار غضب هؤلاء المحققين ؛ لأن عمارة الافتراءات كانت مبنية على أسس لا علاقة لها بالصحة، وقد بدأت هذه العمارة تنهار شيئا فشيئا وأصبحت كبيت العنكبوت.

و فى جامعة أخرى قام رئيس قسم التاريخ بقطع علاقته بى، فقلت له : "إن الحقائق التاريخية ليست مثل العقائد الثابتة فأت بالأدلة التى تثبت أنه جاء بحثى هذا بالنتائج الخاطئة وبيِّن مواضع الخطأ بالأسلوب العلمي فسوف أغير رأيى، فإنه ما يثبت بالبحث والتحقيق يتم إبطاله بالبحث والتحقيق لا بالغضب والمجادلة." وقد جاء النصر الإلهي فى تلك الأيام إذ طبع كتاب "الشهاب الثاقب" للشيخ حسين أحمد الديوبندي والذى وجدت فيه نصا مدلوله أن السيد أحمد البريلوي قِبل مساعدة من الإنجليز أيام جهاده فى إقليم سرحد فقد أمدَّه الإنجليز بالسلاح عندما كان الرجل يمارس الجهاد المزعوم بإقليم سرحد، فأَضفت هذا النص إلى الطبعة الثانية من بحثى عن حركة ترك الموالاة فسكت النقاد والمعترضون، فإن التاريخ لايتيح فرصة لفرض أمر من الأمور بناءً على الأكاذيب والإكراه.

عندما طبع بحثى عن دور الإمام أحمد رضا فى حركة ترك الموالاة كان لمعارضى الإمام أحمد رضا رد فعل غاضب، وعندما طبع لكاتب السطور كتاب آخر عام ١٩٧٣م

باسم: "الفاضل البريلوي من منظور علماء الحجاز" ظهرت به مظاهر القبول التى حظى بها الإمام أحمد رضا فى العرب والعجم، عندئذ كتب الأستاذ ماهر القادري فى مجلته الشهرية فاران الصادرة من كراتشي مقالا طويلا ونبّه جميع معارضي الإمام على العواقب الوخيمة لظهور المظاهر لعظمة الإمام أحمد رضا، وقال: "إذا اطلع أهل العلم على هذا الجانب من شخصية هذا الرجل فإنهم لن يلتفتوا إلى شخصيات أخرى." وعندما أرسلت هذا الكتاب إلى جامعة مسلم بعلي كراه عرضه رئيس قسم الدينيات السنية الأستاذ الدكتور محمد رضوان الله المرحوم على زملائه من الأساتذة الآخرين فقالوا بعد مطالعة الكتاب: "لقد خرجنا بمطالعة هذا الكتاب من الظنون الخاطئة التى كنا فيها."

لقد ظهرت فى الآونة الأخيرة مجموعة معتمدة لأفكار الإمام ولي الله المحدث الدهلوي وأوراده لأول مرة باسم: "القول الجلي فى ذكر آثار الولي" (تأليف محمد عاشق، المطبوعة فى دهلي ١٩٨٩م) وقد عُرف من خلال التأخير فى طبع هذا الكتاب أنه قد تم بذل مجهود كبير لإخفاء هذا الكتاب لكوه مشتملا على بعض أفكار الإمام ولي الله الدهلوي والتي تؤيد بعض آراء الإمام أحمد رضا وأفكاره، كما أن هذا الكتاب يبطل بعض الكتب المنسوبة إلي الإمام ولي الدهلوي، إلا أن الحق كما قلت آنفا يظهر والباطل ينفد. ولاندري عن بداية مثل هذه الخيانات العلمية والاتهامات الكاذبة، ولاتخفى أهدافها عن أنظار أهل العلم.

لقد تحدثت عن محاولات المخالفين للإمام أحمد رضا للحيلولة دون انتشار ذكر الإمام، ومن هذه الجهود قيام مخالفى الإمام بإقناع الحكومات العربية بإصدار قرار يمنع حمل ترجمة الإمام أحمد رضا لمعانى القرآن الكريم باللغة الأردية إلى البلاد العربية، مع أن التراجم لمعانى القرآن الكريم باللغة الأردية لأناس آخرين لم تكن تعانى من هذه المشكلة على الرغم من عدم إلمامهم بمعانى القرآن الكريم بعمق، وعدم معرفتهم بفن الترجمة المعرفة المطلوبة.

لم ينته الأمر إلى هذا الحد بل تجاوز إلى أمر آخر فقد أُثار بعض الناس طمع أحد

الكُتَّاب فى المال للكتابة عن ترجمة الإمام أحمد رضا لمعانى القرآن الكريم بصفة سلبية فقام الرجل بالمهمة وطُبع هذا الكتاب ونُشر ولكنه لم ينجح فى تحقيق هدفه المنشود إلا أنه ساءت سُمعة المؤلف، ولا يمكن إخفاء الحق والحقائق بمثل هذه الأعمال التافهة.

و بعد مرور سبعين سنة على رحيل الإمام ظهرت مؤامرة أخرى للقضاء على شهرته فى الدوائر العلمية. وذلك عندما انتشر عبير ذكر الإمام أحمد رضا فى الأماكن الدانية والقاصية لم يسعد به مخالفوه فكادوا أنواعا من الكيد لتشويه سمعته، وقد ذكرت آنفا بعض الجهود لتحقيق هدفهم المذكور، وكان آخرها أن كلف الشيخ إحسان إلهي ظهير بإثارة الغبار على شخصية الإمام أحمد رضا، ولو وصفنا هذا الكتاب بمجموعة من الاتهامات والأكاذيب لكان حقا وصدقا، فقد بذلت فيه جهود كبيرة لتشويه سمعة الإمام أحمد رضا، وعندما طبع هذا الكتاب ذهب كاتب السطور إلى إسلام آباد لحضور مؤتمر السيرة النبوية، فالتقى هناك مع المفتى القاضى السيد شجاعت علي القادري والذى أخذنى معه إلى بيته، وخلال الحديث أخبرنى عن تواجد الكتاب: "البريلوية: عقائد وتاريخ" عنده فطلبت منه هذا الكتاب، وألقيت نظرة سريعة فى صفحاته، فوجدت أن الشيخ عطية سالم قدّم له وصدّق بجميع ما فيه، وكانت بعض هذه الاتهامات مزعجة للغاية، واستوقفنى الكتاب حين قرأت (فى صفحة رقم: ١٥) أن المؤلف كتب عن فضيلة الإمام أنه كان: "شديد الغضب طويل اللسان. " وعند النظر فى الهامش وجدت اسم كتابى: "الفاضل البريلوي من منظور علماء الحجاز. " مع الإشارة إلى رقم الصفحة، فتحيرت من هذه الخيانة. وقد عرفت من هذا الكلام المنسوب إليَّ مدى الأمانة العلمية لدى المؤلف.!!

و عندما ألقيت نظرة على صفحات الكتاب "البريلوية " وجدت فيه بعض الافتراءات، منها أن المؤلف ينسب الإمام أحمد رضا إلى القاديانية تارة وإلى الشيعة تارة أخرى، وكان هذا الكلام بالنسبة لى جديدا ومحيِّرا لأننى من خلال بحثى عن الإمام أحمد رضا منذ خمس عشرة سنة لم اطلع على هذا الأمر من قريب أو بعيد، والأمر الذى اطلعت عليه أن الإمام أحمد رضا ألف بعض الرسائل فى الرد على القاديانية والشيعة،

فظننت أن الشيخ عطية سالم قدَّم لكتاب البريلوية عن عدم علم فصدّق بجميع ما فيه عن غير عمد، فوجهت إليه رسالة مشفوعة بالدلائل على براءة الإمام من الاتهامات ولكنه لم يردَّ على رسالتى.

يشتمل هذا الكتاب: "البريلوية" على افتراءات لا أساس لها من الصحة، وعندما علمت الحكومة الباكستانية بما فى هذا الكتاب من الحدة العنصرية منعت تداوله فى أرجاء باكستان، إلا أنه على الرغم من هذا الحظر مازال الكتاب يعرض على الطلاب الوافدين فى الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد لغسيل المخ، ومن الممكن أنه تم توزيعه عليهم أيضا. فى هذه الجامعة لم يكن الحديث عن الإمام أحمد رضا مسموعا ولا مقبولا إلا أنه دعى شركاء مؤتمر الإمام أحمد رضا العالمي سنة ١٩٩١م لأول مرة فأعربوا عن خواطرهم تجاه الإمام أحمد رضا. يرى كاتب هذه السطور أنه يمكن مناقشة الشخصيات أو الأفكار على أسس الديانة العلمية، وأرى أن توجيه الاتهامات إلى من هو بريء منها من أسوأ المعاصى.

أساء كتاب: "البريلوية " تأليف إحسان إلهي ظهير للإمام أحمد رضا غاية الإساءة بالاتهامات والافتراءات، وقيل: "الحق يعلو ولايعلى عليه." والحمد لله فأهل السنة (الذين وصفوا بالبريلوية) سائرون على سبيل الحق، ولا يحتاجون إلى توجيه الاتهامات والافتراءات نحو مخالفيهم، لكن غيرهم بأمس الحاجة إلى مثل هذه الأشياء التافهة، إنهم يستخدمون الكذب للإساءة إلى غيرهم ولتقديس زعمائهم وكبرائهم.

لقد قام العالم الديني الكبير والمحدث الجليل العلامة محمد عبد الحكيم شرف القادري (شيخ الحديث بالجامعة النظامية الرضوية، لاهور) بدراسة الشكوك والشبه المثارة فى كتاب "البريلوية " وبيَّن حقيقة جميع الافتراءات والاتهامات فى الكتاب الذى هو بين أيدينا، ونرجو أن يحوز هذا الكتاب على القبول عند الأناس المحبين للحق، وسوف يصحح أهل العلم وجهة نظرهم عن الإمام أحمد رضا والذين كانوا قد أقاموا رأيا عن فضيلة الإمام بعد مطالعة الكتاب "البريلوية "للشيخ إحسان إلهى ظهير.

إن العلامة محمد عبد الحكيم شرف القادري واحد من العلماء المحققين فى عصرنا الراهن، ولم يكن الكتاب "البريلوية " جديرا بأن يرد عليه عالم مثله إلا أنه - نظرا لانتشار الشكوك والشبهات عن الإمام أحمد رضا فى بلدنا باكستان وخارجه بسبب الكتاب المذكور آنفا- رأي فضيلته أن إزالة هذه الشكوك والشبهات عن هذا المصلح الكلامي الماتريدي الكبير، والفقيه الحنفي الجليل ضرورة ملحة حتى تتضح الحقائق وتزول الشكوك والشبهات التى لا أساس لها من الصحة.

يعدُّ العلامة محمد عبد الحكيم شرف القادري صاحب الفضل على أهل السنة (الذين نعتوا بالبريلوية المزعومة) بأنه ألف فى الدفاع عن أهل السنة عشرات الكتب والرسائل والمقالات، حفظه الله تعالى ذخرا للإسلام حتى يظل الحق يرتفع بكتاباته المتينة الأمينة. والكتاب الذى بين أيدينا يدل على العلم الكبير لمؤلفه، والفضل العظيم لصاحبه وبراعته فى البحث والتحقيق، لقد بيَّن العلامة محمد عبد الحكيم الحقائق العلمية بالمنهجية والالتزام بالحلم والوقار وذلك على الرغم من الأسلوب الجدلي والمنهج المتحيز المعاند لكتاب "البريلوية" ولم يحاول العلامة محمد عبد الحكيم أن يضلل رأى قرائه بالتزوير بل التزم بالحجة والبرهان، وهذه هى سمة هذا الكتاب، ولا بد من طبع الخلاصة لهذا الكتاب باللغة العربية حتى يزول سوء الظن من قلوب إخوتنا العرب.

## الاتهامات الموجهة إلى الإمام أحمد رضا خان

وجهت اتهامات كثيرة إلى الإمام أحمد رضا فى كتاب: "البريلوية " والتى يجد القراء الكرام ردودا عليها فى الكتاب الذى بين أيدينا، إلا أننى أذكر خمسا من الاتهامات مع شيء يسير من الإيضاحات، ومن هذه الاتهامات الخمسة سوف يعرف القراء الكرام مدى الأمانة العلمية عند مؤلف الكتاب.

### التهمة الأولى الموجَّهة إلى فضيلة الإمام

إن أول هذه الاتهامات للإمام أحمد رضا -على حد قول مخالفيه- أنه مؤسس الطائفة البريلوية، ولكننا إذا نظرنا إلى هذه المسألة فى ضوء التاريخ نعلم أن "البريلوية"

ليست طائفة حديثة بل هي جماعة قديمة تمتد جذورها إلى الإمام ابي المنصور الماتريدي من الناحية الكلامية، وإلى الإمام الأعظم ابي حنيفة النعمان من الناحية الفقهية، وإلى الإمام الشيخ عبد القادر الجيلاني من الناحية الروحية، رحمهم الله تعالى ورحمنا بهم، كما عرفنا أن هذه الجماعة متمسكة بالسواد الأعظم لأهل السنة الذين وُصفوا بالبريلوية فى العرف العام، وإن هذا العرف محدود إلى شبة القارة، وفى حقيقة الأمر أن المخالفين للإمام أحمد رضا هم الذين سمَّوا أتباعه بالبريلوية، وإنه -على حد قول الشيخ أبي يحي إمام خان النوشهروي- جاءت هذه التسمية من قبل علماء ديوبند.

و قد كتب الدكتور جمال الدين (الجامعة الملية، دهلي) عن التسمية نفسها: "إن المخالفين سمَّوه بهذه التسمية، وفى الحقيقة دافع الإمام أحمد رضا عن مذهب السواد الأعظم من أهل السنة بكل ما أوتي من المواهب العظيمة والقدرات الجليلة ولم يتركه فى أيدي الأعداء للإبادة."

لقد ذهبت الدكتورة أوشاسانيال (المتخرجة فى جامعة كولومبيا الأمريكية) إلى إبطال زعم أن البريلوية طائفة جديدة وهى الأخرى ذهبت إلى أن البريلوية مذهبٌ سُنِّيٌّ عالميٌ والذى يُعرف بالسواد الأعظم، وكانت هذه الفاضلة قبل المطالعة العميقة والتحقيق تظن أن البريلوية طائفة حديثة، ولكنها قامت بالتحقيق فتراجعت عن رأيها الأول عندما اطلعتْ على الحقائق العلمية. وقد قام العلامة محمد عبد الحكيم شرف القادري بالرد العلمي الجميل على هذه التهمة.

## التهمة الثانية الموجَّهة إلى فضيلة الإمام

تتمثل التهمة الثانية-حسب رأى إحسان إلهي ظهير- فى أن عقائد الإمام أحمد رضا كانت شركية، وأنه قام بدور فعال فى نشر العقائد والأعمال الشركية، هذا ويعلم الجميع من محبيه ومعارضيه أن فضيلة الإمام كان محبا صادقا للرسول الكريم ﷺ وأن محب الرسول الكريم ﷺ لايكون مشركا ولا ناشرا للتعليمات المحتوية على الشرك.

لقد قال أحد العلماء للإمام أحمد رضا : "إنك ترفع قدر النبي ﷺ أكثر من اللازم.

" فقدَّم له فضيلة الإمام ورقة وقال له: "حدِّد لى مقدار رفعة قدر النبي ﷺ فسكت ذلك العالم متحيرا، ومن يستطيع أن يحدِّد قدر الرفعة للحبيب المصطفى ﷺ ومولاه يرفع قدره بالصلاة والسلام عليه ويأمرنا أن نعزِّره ونوقِّره ونصلى ونسلم عليه، وإنه -جل جلاله- بيَّن المستوى الرفيع للحب الخالص المخلص فى الآية الرابعة والعشرين من سورة التوبة، ولايستطيع أحد أن يحدِّد مقدار الرفعة للحبيب المصطفى ﷺ إلا مولاه -جل جلاله- وهو يأمرنا بالصلاة والسلام على حبيبه الكريم -عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم- دون تحديد العدد والمقدار، إن من لم يعرف الحب يراه أمرا عجبا ويبدو له كل أمر من أمور المحب شركا وبدعة، ومن هنا يتضح أن النقص موجود فى رؤية الناظر المحروم من حلاوة الحب، ويظهر لي أن قلبه أشد قسوة من الحجارة، فإن الحجر قد يتحول إلى ذرات وقد يتفجر منه الأنهار، إلا أن القلب القاسى لايعرف الرفق بل يظل قاسيا صلدا، لقد جفَّت عيون هؤلاء القساة وعجزت عن البكاء في الحب الإلهي وحب سيدنا رسول الله ﷺ فيسألون الناس عن سبب بكاء المحبين لرب العالمين جل جلاله وحبيبه الكريم ﷺ.

و إذا نظرنا إلى العبادات فإننا نجد فيها مظاهر التعظيم للعباد المقربين إلى رب العالمين -جل جلاله- فقد جعل الله تعالى بفضله وكرمه بعضا من شعائر عباده المقربين شعائرَه جل جلاله، أيها القراء الكرام! هل فكرتم يوما فى هذه الحقيقة؟ لقد وُضع أثر قدم سيدنا إبراهيم -عليه السلام- فى بيت الله، وليس هذا فحسب بل أمرنا أن نصلى ركعتين عند مقام سيدنا إبراهيم -عليه السلام- فى نهاية الأشواط حول الكعبة المشرفة، ولو لم يكن فى القرآن الكريم: "وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ."[١] لذهب الذاهبون العشوائيون إلى أن الصلاة عند مقام إبراهيم كفر وشرك.

لقد سعت السيدة هاجر - سلام الله عليها- بين الصفا والمروة وهما جبلان ليسا من

---

(١) سورة البقره: ١٢٥

شعائر السيدة هاجر بل هما من شعائر الله بدليل قول الله عز وجل: "إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ."(١) وأمرنا بالسعى بين هذين الجبلين، وزوّار بيت الله الحرام من العالم كله يسعون بينهما سبع مرات وفى نهاية كل شوط يسعد الساعى بالنظر إلى الكعبة المشرفة التى بناها سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل -عليهما السلام -و كان سيدنا إبراهيم عليه السلام- خلال عملية البناء قد توجه إلى رحاب ربه داعيا إياه، وكان من ضمن دعواته: "رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ."(٢) هكذا دعا سيدنا إبراهيم -عليه السلام- ربَّه ليبعث من ذريته مَن يرفع لواء كلمة التوحيد ويبطل كلمة الشرك ويعمِّر بيت الله الحرام.

من هو سيدنا إبراهيم عليه السلام؟ ومن هو سيدنا إسماعيل عليه السلام؟ ومن هى السيدة هاجر سلام الله عليها ؟ كلهم حملة النور المحمدي -على صاحبه الصلاة والسلام- ذلك النور الذى هدانا إلى التوحيد الإلهي. ليس الحبيب المصطفى ﷺ معبودا ولا مسجودا له إلا أنه محبوب ومطلوب وحبه من الإيمان.

إن حكاية الحب الإلهي وحب الحبيب المصطفى ﷺ ممتعة وشيِّقة لدرجة أنه ينتهى العمر ولكن لاينتهى بيانه، وقد تحدث الإمام أحمد رضا عن هذا الحب طول عمره وظل يدعو الناس إليه.

## التهمة الثالثة الموجَّهة إلى فضيلة الإمام

وهى أنه كان الإمام -على حد قول المفتري- جاهلا، وإنها تهمة مضحكة ومبيِّنة لجهل المتَّهِم وعداوته، ما أعظمه من علم أُكرم به الإمام أحمد رضا؟! فقد اعترف بعلمه وفضله العلماء والمفكرون من جميع المدارس الفكرية (٣) وقد طبعت خمس مجموعات

---

(١) سورة البقره: ١٥٨

(٢) سورة البقره: ١٢٩

(٣) للمزيد من التفاصيل انظر الكتابين لكاتب السطور:

(أ) الإمام أحمد رضا البريلوي من منظور علماء الحرمين الشريفين (ط: كراتشي ١٩٧٣م)

تحتوى على انطباعات الكثير من العلماء والمفكرين عن الإمام أحمد رضا، وأصبح اليوم علمه وفضله حقيقة ثابتة، ولم يكن له نظير فى الإلمام بالتفسير، والحديث، والفقه. ولفضيلة الإمام - حسب الدراسات العلمية الحديثة- مؤلفات قيمة بالعربية والفارسية والأردية فى خمسة وسبعين علما وفنا. وتبدو براعته فى اللغة والأدب العربي من رسائله العربية التى وجَّهها إلى الشيخ محمد طيب المكي، وكانت المراسلة بينهما بالعربية فلما نبهه الإمام على أخطائه اللغوية والنحوية أصبح الرجل منزعجا وثار غضبه، وهذه المراسلة مطبوعة فى "مجموعة الرسائل الرضوية. " والتى رتبها العلامة محمد عبد الحكيم أختر شاهجهانفوري رحمه الله. والذى يبحث عن الحق يمكنه الإطلاع على هذه المجموعة من الرسائل للإمام أحمد رضا، لقد أعانته المكنة التامة من العربية والأردية من ترجمة تفسيرية لمعانى القرآن الكريم باسم: "كنز الإيمان. " والتى لا نظير لها فى التراجم الأردية لمعانى القرآن الكريم.

**التهمة الرابعة الموجَّهة إلى فضيلة الإمام**

وهي أنه كان فضيلة الإمام -حسب تهمة المتَّهِم- عميلا للإنجليز، لعله اتهم فضيلة الإمام بهذه التهمة نظرا لقيامه بمخالفة حركة الخلافة (١٩١٩م) وحركة ترك الموالاة (١٩٢٠م) وكان دافعهما -فى ظاهر الأمر- مخالفة الاحتلال البريطاني الغاشم وطرده من أرض الهند إلا أنه كانت الحقيقة على عكس ذلك، لقد كان الإنجليز فى الحرب العالمية الثانية يحاربون الأتراك فاضطرت الحكومة البريطانية إلى الاستعانة بالجيش الهندي، ومن هنا وعد البريطانيون زعماء الهند أنهم إذا غلبوا على الأتراك فإنهم سوف يمنحون الهنديين حرية محدودة، فاجتهد كل من غاندي ومحمد علي جوهر لإعداد الجيش الذى انضم إليه الهناذكة والمسلمون المجنَّدون، فقام هؤلاء المسلمون بإراقة دماء إخوانهم الأتراك بجانب الجيش البريطاني فى الحرب العالمية الثانية. وعندما انتهت هذه الحرب على فوز

(ب) الإمام أحمد رضا والعالم الإسلامي (ط: كراتشي ١٩٨٢م)

البريطانيين تراجعت الحكومة البريطانية من وعدها، فقام كل من غاندي ومحمد علي جوهر بإنشاء حركة الخلافة وحركة ترك الموالاة للإنجليز، وأظهروا إرادة الانتقام من الإنجليز نظرا لغدرهم وخيانتهم، وكان أمر هاتين الحركتين عجبا، فقد كان غاندي يسعى جاهدا بالأمس لإعداد الجيش لمحاربة الأتراك وأصبح اليوم يُظهِر رغبته فى الدفاع عن الأتراك، فالسياسة تتلاعب بالعقول بإثارة المشاعر والأحاسيس، وفي هذه الظروف سار أغلب المسلمين في ركب غاندي إلا أنه كان عقل الإمام أحمد رضا بفضل الله سبحانه وتعالي مستيقظا عندئذ، فلم يتمكن فضيلة الإمام من الصمت عند رؤية هذه الخدعة وهذا التلاعب بعقول المسلمين، لذا أخذ الإمام يفشى أسرار هاتين الحركتين وعواقبهما الوخيمة للمسلمين، لذا تمَّ اتهامه بموالاة الإنجليز ومساندتهم، بينما كان الإمام أحمد رضا بريئا منها، وقد أثبت كاتب السطور براءة الإمام من هذه التهمة فى بحث تحت عنوان: "جريمة البراءة من الجريمة." والذى طبع فى كل من باكستان والهند.

هذا وقد قامت الدكتورة أوشا سانيال فى رسالتها المقدمة إلى جامعة كولومبيا لنيل درجة الدكتوراة بإحقاق الحق فأثبتت بالحقائق والأدلة التاريخية أنه كان الإمام أحمد رضا معارضا للإنجليز. هذا وإن الدكتور محمد هارون الذى اعتنق الإسلام مؤخرا في بريطانيا هو الآخر يعد بحثا عن الدور السياسي للإمام أحمد رضا فى الأوضاع السياسية المعاصرة له، وسوف يكمل بحثه هذا -إن شاء الله تعالى- فى ديسمبر ١٩٩١م، ومن الجدير بالذكر أننى لم أجد ولو جملة واحدة فى تأليف من تاليفات الإمام التي تحرِّض المسلمين على موالاة الإنجليز، إلا أننى وجدت فى أحوال كل واحد من مخالفيه أو فى تاليفاتهم ما يعلن عن علاقاته الظاهرة والسِّرية بالإنجليز، ومن هنا يبدو أنَّ الإنجليز قد كلَّفوا الموالين لهم بالهجوم والاتهامات على الإمام أحمد رضا، لأن الإنجليز كانوا يعرفون أنه مادام أهل السنة (المنعوتون بالبريلوية) أحياء فسوف تظل حرارة الإيمان باقية فى النفوس والتى سوف ترتفع بالبلاد إذا بقيت وتُضعفها إذا ضعفت، وكان البريطانيون قد عرفوا هذه الحقيقة فى السلطنة العثمانية.

## التهمة الخامسة الموجَّهة إلى فضيلة الإمام

و التهمة الخامسة التي وجِّهت إلى فضيلة الإمام أنه كان -على حد قول المتَّهِمين- قاديانيا والعياذ بالله تعالى، والدليل على هذه التهمة أن الإمام كان تلميذا لمرزا غلام قادر بيك وكان مرزا غلام قادر أخا شقيقا لمرزا غلام أحمد القادياني، وبكل تأكيد كان أخ القادياني على مذهب أخيه، ولمّا درس الإمام أحمد رضا على يد الأخ الشقيق للقادياني كان هو الآخر قاديانيا أو كان على الأقل ضالا. هذا هو الاستدلال النادر الذى كان أساسا للتهمة المذكورة بعاليه. لقد قام العلامة محمد عبد الحكيم شرف القادري بالرد العلمي المقنع على هذه التهمة، خلاصته أن الأخ الشقيق للقادياني مات قبل أن يدعى أخوه النبوة بسنوات ثمانية، بينما انتقل أستاذ الإمام أحمد رضا المرزا غلام قادر بيك إلى رحمة الله تعالى بعد ست سنوات من قيام القادياني بادعاء النبوة، ولقد ذهبت الدكتوره أوشا سانيال هي الأخرى ومحققون آخرون إلى أن تهمة القاديانية على الإمام أحمد رضا كاذبة لا أساس لها من الصحة. هذا مع الأخذ فى الاعتبار أن الإمام أحمد رضا ألَّف عدة كتب فى الرد على القاديانية والتي أورد الشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادري أسماءها في كتابه هذا، وفى هذه الحالة لايصرّ على صدق هذه التهمة إلا من لا عقل له وهو متعنت عنيد.

و خلاصة القول: لقد وجِّهت إلى الإمام أحمد رضا تُهَم كثيرة والتي لا أساس لها من الصحة، وقام العلامة محمد عبد الحكيم شرف القادري بالرد المُسكِت عليها ردا عقليا وعلميا، الأمر الذى سوف يلاحظه القراء بأنفسهم من خلال مطالعة الكتاب "البريلوية مالها وما عليها."

يتجاوز العدوُّ فى بعض الأحيان حدودَه العلمية عندئذ تتحول هذه العداوة - بفضل الله تعالى وكرمه- إلى الرحمة، وهكذا تجاوزت عداوة مؤلف الكتاب: "البريلوية" فى كتابه هذا عن حدودها فأصبحت رحمةً للإمام أحمد رضا حيث طبعت كردٍّ فعلٍ علمي لهذه العداوة بحوث وتحقيقات عن الإمام أحمد رضا باللغة العربية فى كل من باكستان والهند، لقد طبع الكتاب للقاضى (بالمحكمة الشرعية الفيدرالية الباكستانية) السيد

شجاعت علي القادري رحمه الله باسم: "مجدد الأمة " كما طبع مقال عربي لمولانا محمد أحمد المصباحي فى المجلة العربية "الدراسات الإسلامية " الصادرة من مجمع البحوث الإسلامية بإسلام آباد. وطبعت الحاشية العربية للإمام أحمد رضا باسم: "جد الممتار على الرد المحتار " من حيدر آباد دكن وتم توزيعه من المجمع الإسلامي بمباركفور، قدَّم لهذه الحاشية كل من مولانا محمد أحمد المصباحي، ومولانا افتخار أحمد القادري ومولانا عبد المبين النعماني وكتب ثلاثتهم باللغة العربية أحوال الإمام أحمد رضا العلمية وأفكاره الدينية، بالإضافة إلى ترجمة ابن عابدين الشامى.

هذا وقد نال الأستاذ محمود حسين البريلوي من جامعة مسلم درجة ايم فل (M Phil) فى اللغة العربية بإعداد بحث تحت عنوان: "الآثار العربية للإمام أحمد رضا. " وقام المفتى محمد مكرم أحمد بإعداد ورقة بحثية عن قصائد الإمام أحمد رضا العربية وقدمها فى مؤتمر الإمام أحمد رضا العالمي بكراتشى سنة ١٩٩١م. كما كتب قاضى القضاة بالمحكمة العليا فى عصر الحكومة المؤقتة فى أفغانستان القاضى محمد نصر الله خان مقالا قيما عن أحوال الإمام أحمد رضا وأفكاره. وقد أعدَّ كاتب السطور مقالا علميا والذى ترجمه إلى العربية الشيخ ممتاز أحمد سديدي فطبع هذا المقال فى المجلد الأول من الموسوعة العلمية باهتمام المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، كما طبع لكاتب السطور مقال مفصل آخر فى: "موسوعة المشاهير من المسلمين " تحت إشراف مؤسسة الهجرة بإسلام آباد والذى ترجمه إلى العربية مولانا محمد عارف الله المصباحي وقام بطبعه إدارة تحقيقات الإمام أحمد رضا بكراتشى ومؤسسة رضا بالجامعة النظامية بلاهور.(١)

لو لم يُظهر إحسان إلهي ظهير ما فى قلبه من العداء للإمام أحمد رضا بكتابه: "البريلوية " لما ظهرت -كردٍّ فعل- بحوث علمية جادة عن حياة الإمام أحمد رضا

(١) محمد مسعود أحمد، الشيخ أحمد رضا خان البريلوي، كراتشي ١٩٩١م

وأعماله الدينية والأدبية بهذه السرعة الفائقة، وما أفاد مؤلف البريلوية من كتابه هذا فائدة مرموقة تذكر، بل بالعكس كانت الفائدة العلمية لأهل السنة والجماعة (الذين سمَّاهم المخالفون لهم بالبريلوية) حيث إن الله تعالى سخَّر لهم أسبابا لرفعه ذكرهم.

كان الإمام أحمد رضا واحدا من محبي رحمة للعالمين ﷺ فكانت كل من بدايته ونهايته خيرا من الآخر، وظل فضيلة الإمام طوال عمره غارقا في بحر الحب النبوي.

لقد تشرف كاتب السطور بالمثول في رحاب سيدنا رسول الله ﷺ سنة ١٩٩١م فاستمع إلى بعض المنشدين المحبين لسيد الأولين ﷺ والآخرين يرددون أبياتا من القصيدة السلامية للإمام أحمد رضا أمام الحجرة الشريفة بصوت خافت، فردد كاتب السطور أبياتا من قصيدة صلاتية أخرى للإمام أحمد رضا وقدم أحاسيسه ومشاعره من خلال هذه الأبيات إلى روح سيدنا رسول الله ﷺ فحصل له من السرور ما يعجز اللسان والقلم عن بيانه.

ليتنا نتعلم الحب لسيد الثقلين ﷺ، ليتنا نعرف حب من يحبون الحبيب المصطفى ﷺ، ليتنا نهتدى إلى المخرج من متاهات العقل، ليتنا نتعلم الخوض في أغوار القلب، ليتنا نتعلم كيف تفنى أهواؤنا في رضاه ﷺ.

١٤ ربيع الآخر ١٤١٢هـ محمد مسعود أحمد عفى عنه

٢٣ اكتوبر ١٩٩١م

# كلمة السيد الشريف وجاهت رسول القادري رحمه الله

الحمد لله الذى أكرمنا بنعمة الإيمان والإسلام، وأتم الصلاة و أكمل السلام على حبيبه الكريم ﷺ، الذى جاء للبشرية بالهداية والأمن والسلام، وعلى آله الطيبين الطاهرين و أصحابه الكرام.

أما بعد: فقد كان الإمام أحمد رضا الحنفي القادري من كبار علماء الأحناف الموهوبين الأفذاذ فى شبه القارة الهندية، والذي أثرى المكتبة الإسلامية بمؤلفاته فى شتى العلوم الإسلامية والعربية، وعندما يطّلع محقق منصف على كتابات الإمام رحمه الله فإنه يصاب بالدهشة والاستغراب وذلك نظرا لتواجد شتى العلوم والفنون فى مؤلفاته، لم لا فقد شرّفته الإرادة الإلهيه بما عُرف فى الأوساط العلمية بالعلم اللدني.

بذل الإمام أحمد رضا جهوده العلمية المكثفة من أجل الإصلاح الديني والصحوة الإسلامية فى عصر أصيب المسلمون الهنديون بالزوال والانحطاط، فقام فضيلته بالمهمة الإصلاحية خير قيام إذ أنه دافع عن عظمة الملك العلام جل جلاله، وذلك عندما رأى فضيلته أن بعض المنتسبين إلى العلم والإسلام يزعمون أن الله -تبارك وتعالى- قادر على الكذب وأنه قادر على كل شيء يقدر عليه العبد، وأنه قادر على أن يخلق الملايين مثل سيدنا محمد ﷺ بكلمة كن في آن واحد، فأدرك فضيلة الإمام بثاقب فكره عواقب هذه الأفكار الزائغة فقام بتنزيه البارى عن الكذب وغير ذلك من العيوب فى رسالته: "سبحانُ السبوح عن عيبِ كذب مقبوح."

وللإمام احمد رضا دور بارز في مقاومة البدع والرد عليها، وعن جهوده المكثفة فى هذا المجال ألف السيد الشريف فاروق القادري تحت عنوان: "الفاضل البريلوي وموقفه من البدع."كما ألف مولانا يسين أختر المصباحي كتابه بعنوان: "الفاضل البريلوي وقيامه بالرد على البدع والمنكرات." وألف الأستاذ الدكتور محمد مسعود احمد رسالة

تحت عنوان: "دور الشيخ أحمد رضا الهندي البريلوي في مقاومة البدع والرد عليها." والتي قدم لها العالم الرباني الجليل السيد يوسف السيد هاشم الرفاعي، وقد قال فضيلة الشيخ عن هذه الرسالة: "وبعد فقد اطلعت على هذه الرسالة الجيدة التي كتبها الدكتور محمد مسعود أحمد المجددي، الخاصة ببيان موقف العلامة المرحوم الشيخ أحمد رضا خان البريلوي من البدع والانحرافات التي كانت سائدة فى عصره، وكيف أنه كان معارضا لها وأفتى بمخالفتها وعدم جوازها استنادا إلى ما توصل إليه من أدلة شرعية من جهة رأيه واجتهاده فى تلك المسائل التي عُرضت عليه واستُفتى فيها. إن المطلع على هذه الرسالة يتبين له أن الشيخ كان غيورا على الدين ولم يكن مجاملا للناس فى تقاليدهم وأهوائهم بل كان متشددا فى بعض الأمور الخاصة في شأن زيارة النساء للقبور، واستعمال آلات الموسيقى فى الحفلات الدينية مما يفرض على مخالفيه أن يتقوا الله تعالى، وأن يعيدوا النظر فيما نسبوه إليه من مظالم واتهامات باطلة، لأن الحق أحق أن يتبع والحكمة ضالة المؤمن."[١]

ومن الجدير بالذكر أن الطالب البنجلا ديشي السيد الشريف جلال الدين نال درجة الماجستير فى العقيدة والفلسفة الإسلامية من كلية دارالعلوم جامعة القاهرة عام ٢٠٠٦م برسالته العلمية التي قدمها تحت عنوان: "الإمام احمد رضا القادري (ت ١٣٤٠هـ) وجهوده فى مجال العقيدة الإسلامية في شبه القارة الهندية."

هذا وعندما نشأت فتنة الاستخفاف بالحبيب المصطفى ﷺ والتطاول على مقامه الشريف بحجة بيان التوحيد الخالص أدرك فضيلة الإمام خطورة هذه الحركة، فقد كان القسيسون والمبشرون المسيحيون يثيرون الشكوك حول شخصية الرسول ﷺ كما أنهم كانوا يشككون المسلمين فى الدين، وفى مثل هذه الظروف قام بعض المنتسبين إلى

(١) محمد مسعود أحمد، دور الشيخ أحمد رضا خان البريلوي فى مقاومة البدع والرد عليها، اكاديمية رضا، لاهور ١٩٩٥م، ص: ٣

الإسلام بإدلاء كلمات كانت مسيئة للحبيب المصطفى ﷺ فقام فضيلة الإمام بالرد على هؤلاء البسطاء الذين كانوا يظنون أنهم يحسنون صنعا، إلا أنهم كانوا فى حقيقة الأمر يفرقون كلمة المسلمين بآرائهم وأفكارهم الزائغة.

و هكذا نشأت فى الهند فتنة الوهابية اللامذهبية أى حركة التحرر عن المذاهب الفقهية، فقد كان أتباع هذه الحركة يزعمون أنهم هم الموحدون ومتبعون للحديث النبوي الشريف مباشرة دون تقليد المذاهب الفقهية، فدافع فضيلة الإمام عن تقليد الأئمة بصفة عامة وعن الفقه الحنفي بصفة خاصة، وقام بالردَ على اللامذهبيين الذين يدَّعون بأنهم اهل الحديث، كما دافع فضيلة الإمام عن التصوف الإسلامي عندما قام بعض المتشددين المنتسبين إلى الإسلام بالهجمات على التصوف وأعلامه ووصفوا أتباع الصوفية بالقبوريين والمشركين والمبتدعين، وقتئذ دافع فضيلة الإمام عن التصوف والصوفية، وكان من مشايخ الطريقة القادرية، وإنه نبَّه بعض المنتسبين إلى التصوف من الجهلة على أخطائهم، فقد ألف رسالة باسم: "الزبدة الزكية فى تحريم سجود التحية." فبين فيها أن سجود التحية للصالحين بقصد التعظيم حرام كما أن سجود العبادة لغير الله شرك.

و كانت طائفة الشيعة من بين المثيرين للطائفية ومن المفرِّقين لكلمة المسلمين فقام فضيلة الإمام بالرد على الأفكار الزائغة لهذه الطائفة أيضا والتفصيل موجود فى الكتاب.

هذا وقد نشأت فتنة القاديانية هى الأخرى فى عصر الإمام أحمد رضا فألف عدة رسائل فى الرد على هذه الفتنة المنحرفة وبيَّن بطلان عقائدهم التى أوقعتهم فى هاوية الكفر، بالإضافة إلى أنه حرَّض المسلمين على الابتعاد عن هذه الحركة الهدّامة.

لقد كان فضيلة الإمام أحمد رضا واحدا من علماء الدين إلا أنه لم يغفل عن مهمة الإرشاد فى مجال السياسة أيضا فقد وجد فضيلته المسلمين يسيرون وراء غاندى فى كل من حركة الخلافة، وحركة الهجرة، وحركة ترك الموالاة للإنجليز فنبَّهَهُم على العواقب الوخيمة لاتخاذ مشرك هندوسي زعيما للمسلمين، إلا أن السائرين فى ركب غاندى أصرُّوا على موالاة هذا الزعيم الهندوسي فلحقت الخسائر الدينية والعلمية والاجتماعية

والاقتصادية بالمسلمين، وما زالت آثار هذه الخسائر ملمَّة بالمسلمين فى كل من باكستان وبنجلاديش والهند.

لم يستطع المسيئون لعظمة الملك العلام جل جلاله، والمسيئون للحبيب المصطفى ﷺ، والمهاجمون على المذاهب الفقهية الأربعة وعلى أعلام التصوف بالرد المنهجي والعلمي على كتابات فضيلة الإمام فلاذوا بالأكاذيب والافتراءات لتشويه سمعته فوصفوه بمؤسّس الطائفة الحديثة تارة، كما رموه بالتشيع تارة أخري، واتهموه بالقاديانية والبهائيَّة والعمالة للإنجليز أيضا، وهو برئ من جميع هذه التهم والتفصيل موجود فى الكتاب الذى ألفه المحدث الجليل فضيلة الشيخ العلامة محمد عبد الحكيم شرف القادري -رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته- وذلك من أجل رفع الشكوك والشبهات عن الإمام أحمد رضا وتصحيح الأفكار الزائغة، وكان فضيلته قد ألف كتابه هذا باللغة الأردية ملتزما بالمنهج العلمي وبيَّن بطلان كل تهمة بالدلائل المقنعة بكامل الأمانة وترجمه إلى اللغة العربية نجله الدكتور ممتاز أحمد السديدي الأزهري -حفظه الله تعالى- والذى أكرمه الله تعالى بالبراعة الفائقة فى اللغة العربية، حيث إنه نال درجة الماجستير في اللغة العربية من الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد عام ١٩٩٤م، ثم حصل على درجة التخصص الماجستير فى الأدب والنقد من قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات الإسلامية والعربية جامعة الأزهر بإعداد بحث جامعي تحت عنوان: "الشيخ أحمد رضا البريلوي شاعرا عربيا." وذلك سنة ١٩٩٩م، ثم نال درجة العالمية الدكتوراة فى الأدب والنقد من جامعة الأزهر الشريف بإعداد بحث جامعي تحت عنوان: "العلامه فضل الحق الخير آبادي، حياته وشعره العربي دراسة نقدية." وذلك سنة ٢٠٠٤م. جزاه الله عن فضيلة الإمام خير الجزاء.

و إنني على يقين أنه سوف يشهد المنصفون من القراء الكرام بعد مطالعة الكتاب: "البريلوية مالها وما عليها." على أن فضيلة الإمام بريء من التُّهم الموجَّهة إليه، وسوف يخرج الباحثون عن الحق من ظلمات الاتهامات الباطلة إلى نور الحقائق- لقد استخدم

فضيلة الشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادري رحمه الله فى كتابه هذا لغة السماحة والاعتدال التي يتصف بها العلماء، فإنه كان يريد جمع كلمة المسلمين وله فى مجال الدراسات الرضوية جهود مشكورة إذ أنه ألف بعض المقالات القيِّمة بالأردية والعربية تارة وصنف وألف لإثراء الدراسات الرضوية تارة أخرى، وإنه واحد من روّاد الدراسات الرضوية، نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل قيام صاحبنا وشيخنا الشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادري رحمه الله بالدفاع عن واحد من أعلام المسلمين فى الهند إمام أهل السنه الإمام أحمد رضا الحنفي القادري فى ميزان حسناته، كما نسأله -جل جلاله- أن يتقبل من فضيلة الإمام أحمد رضا جهوده العلمية والإصلاحية فى مجال العقيدة، والفقه، والسياسة، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيرا الجزاء. والله على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، ونعم المولى ونعم النصير، وصلى الله وسلم على حبيبه سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

كتبه: السيد وجاهت رسول القادري
رئيس إدارة تحقيقات الإمام أحمد رضا العالمية بكراتشي، باكستان

٤ من شهر رمضان عام ١٤٤٠هـ
١٠ من شهر مايو ٢٠١٩م

# ترجمة المؤلف

بقلم: الشيخ مشتاق احمد شاه الأزهري حفظه الله

عند ما نسمع مصطلح العالم الرباني تتجلى لنا شخصية علمية متزنة أُكرمت بتقوى الله عزوجل، والإخلاص فى القول والعمل، والعلم النافع، والعمل الصالح بالإضافة إلى الوسطية والاعتدال، ولا يكون من المبالغة فى شيىء إذا قلنا عن المحدث الجليل والعالم النبيل الشيخ العلامه محمد عبدالحكيم شرف القادرى -رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته- أنه كان -بفضل الله تعالى وتوفيقه- متصفا بالصفات المذكورة آنفا، كما أنه كان ممن اختارته الإرادة الإلهية لنشر العلوم العربية والإسلامية بصفة عامة وخدمة الحديث النبوي الشريف بصفة خاصة، فقد كان مشغوفا بالنصين الشريفين شغفا بالغا، إذ أنه سعد بتدريس الحديث النبوى الشريف على نهج الشيوخ القدماء قرابة ثلاثين سنة، كما أنه تشرف بتدريس صحيح الإمام البخارى ثمانية عشر مرة، مع الأخذ في الاعتبار أنه درّس صحيح الإمام مسلم وسنن ابن ماجه، وسنن أبى داؤد، ومشكاة المصابيح، وشرح نخبة الفكر مرارا وتكرارا، وكان فضيلته قد أكرم بالأسانيد والإجازات العلمية من علماء البلاد العربية وعلماء باكستان والهند، والتي هى مذكورة فى: "الإجازات الغالية من الأسانيد العالية-" وقد أخذ منه العلماء الأجلاء والطلاب من البلاد العربية والإسلامية الإجازة العلمية.

ولد صاحب الترجمة الشيخ العلامه محمد عبدالحكيم شرف القادرى رحمه الله في ٢٤ شعبان سنة ١٣٦٣هـ الموافق لـ ١٣ من شهر أغسطس سنة ١٩٤٤م فنشأ وتربى في كنف الأبوين الصالحين، فقد كانت أمه رابعة عصرنا الراهن رابعه بى بى رحمها الله متسمة بتقوى الله عزوجل، والتي شغفت بتلاوة القرآن شغفا بالغا لدرجة أنها على الرغم من إصابتها بالفالج كانت تختم القرآن الكريم ثماني عشر مرة فى شهر رمضان المبارك، وكانت تداوم تلاوة

القرآن طوال السنة، وعند ما كانت هذه الأم التقية تلفظ أنفاسها الأخيرة فى العاشر من شهر ذى القعده سنه ١٤٠٧هـ الموافق لـ ٧ يوليو ١٩٨٧م وقتئذ سمع ابنها البار الشيخ محمد عبدالحكيم شرف القادرى لأول مرة فى حياته صوت الذكر من خلال أنفاسها، هذا وكان الشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادرى محظوظا بالوالد الورع الصالح الشيخ الله دِتّه (أى: عطاء الله) رحمه الله والذى كانت سريرته منوره بتلاوة القرآن، والذكر الإلهى والصلاة على الحبيب المصطفى ﷺ آناء الليل وأطراف النهار، وكان شديد الحرص على الارتباط بالعلماء والأولياء الصالحين. رحمهما الله تعالى رحمة واسعة وأحسن إليهما.

نشأ فضيلته فى كنف هذين الأبوين الصالحين وترعرع فى هذا الجو العامر بنور الإيمان وتقوى الله عزوجل وحب الصالحين، وهكذا بدأ فضيلته يتعلم مكارم الأخلاق وحب الدين وهو فى كنف والديه، أما دراسته النظامية فكانت قراءة القرآن الكريم بالنسبة له بمثابة نقطة الانطلاق فى مجال الدراسة، وهو دأب المسلمين المهتمين بالدين فى باكستان المحروسة، وإنه بعد ما تمكن من قراءة القرآن بدأ يدرس فى المدرسة الابتدائية الحكومية حيث درس من سنة ١٩٥٠م إلى ١٩٥٥م إلا أنه بمشيئة الله -عزوجل- أقبل على دراسة العلوم الدينية فى المؤسسات التعليميه الأهلية كنتيجة لدعوات العلماء والمشايخ الذين كان والده الشيخ الله دِتّه رحمه الله على صلة بهم، فدرس فضيلة الشيخ فى الجامعة الرضوية بفيصل آباد، ثم فى الجامعة النظامية بلاهور، والجامعة الإمدادية المظهرية بقرية بنديال، ودار العلوم ضياء شمس الإسلام الواقعه فى محافظه سرجودها، وفى هذه المؤسسات التعليمية أخذ شيخنا الجليل العلوم الإسلامية والعربية، منها: القرآن الكريم وعلومه وتفسيره، والحديث النبوى الشريف وعلومه، والفقه الحنفى وأصوله، والأدب العربى، والبلاغة، والمنطق، والفلسفة، والكلام وغير ذلك من العلوم والفنون.

أما أساتذته الأجلاء الذين جلس منهم شيخنا مجلس التلميذ فأكثرهم من العلماء الكبار فى عصره نذكر أسماء البارزين منهم على سبيل المثال لا الحصر-

(١) أستاذ العلماء فضيلة العلامة عطاء محمد الجشتى (١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م)

(٢) العالم الجليل العلامة محمد اشرف السيالوى (١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م)

(٣) شارح البخارى، الشيخ غلام رسول الرضوى (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م)

(٤) فضيلة الشيخ العلامة المفتى محمد عبد القيوم القادرى (١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣م)

(٥) فضيلة الشيخ الحافظ إحسان الحق (١٤١٠ هـ/ ١٩٨٩م)

(٦) فضيلة الشيخ السيد منصور علي شاه (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)

(٧) العلامه المفتى محمد أمين النقشبندى (١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م) رحمهم الله

لقد كان الشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادرى رجلا أكرمته الإرادة الإلهيه بالكثير من المواهب العلمية والتربوية، إذ أنه كان مدَرِّسا عظيما أفاد مئات الطلاب من علومه الغزيرة والذين ما زالوا يقومون بنشر العلوم العربية والإسلامية فى أرجاء باكستان، كما يقوم العدد الكبير من تلاميذه بالدعوة إلى الله تبارك وتعالٰى ورسوله ﷺ فى أرجاء العالم بصفة عامة وفى إنجلترا بصفة خاصة، وكان فضيلته خطيبا يسير على منهج الحكمة والموعظة الحسنة، فكان يذكِّر الآخرة من خلال خطبه، كما كان فضيلته يحث على العمل واتباع الحبيب المصطفٰى ﷺ واتباع أصحابه وأهل بيته وعلماء ملته وأولياء أمته. كما كان يغرس الحب الإلٰهى وحب الحبيب المصطفٰى ﷺ فى القلوب والعقول-

هذا وقد اهتم فضيلته بالتصنيف والتأليف فكتب وألف بالعربية والفارسية والأردية فى موضوعات شتى من العقائد الإسلامية والأخلاق الفاضلة، والسيرة النبوية وتراجم العلماء والأوليا الصالحين، ومن هذا المنطلق كان صاحب الترجمة شديد الاهتمام بالدراسات الرضوية أى الدراسات المعنِيَّة بالإمام أحمد رضا القادرى طريقة والماتريدى الحنفى مذهبا والبريلوى موطنا- وقام فضيلته بترجمة بعض الكتب العربية والفارسية إلى الأردية ونذكر على سبيل المثال لا الحصر: الشرف المؤبد لآل محمد للشيخ النبهانى، وكشف النور عن أصحاب القبور للشيخ النابلسى، وأدلة أهل السنة والجماعة للسيد يوسف السيد هاشم الرفاعى، ومن نفحات الخلود، ومن رشحات الخلود، ومن نسمات

الخلود للعالم الربانى الجليل الشيخ محمد صالح الفرفور رحمه الله.

هذا وقد كان الشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادري شاعرا متمكنا من النظم بالعربية والفارسية والأرديه، ولم ينظم كثيرا إلا أنه أعرب عن موهبته الأدبية بنظم الشعر باللغات المذكورة آنفا، وفيما يلى نموذج مما نظمه شيخنا الجليل على نهج البردة.

يـا ربِّ المصطفـى طهِّـر بواطننـا * عـن الرزائـل واحفظهـا مـن اللَّمـم

يـا ربِّ بالمجتبـى نـوِّر لطائفنـا * بالذِّكـر والفكـر والعرفـان والحِكَـم

محمـد سـيد السـادات فـى كـرم * معلِّـم النـاس بالتوحيـد والعِظَـم

والمسـلمون علـوا فـى كل معركـة * بالرشـد والخيـر والإيمـان ذى القيـم

لمـا عصــوا أمـره جهــلا برفعتـه * صاروا ذوى الذل والخسران فى الأمم

لقد سعد وتشرف صاحب الترجمة بالرحلتين إلى أرض الحرمين الشريفين حيث تيسر له أن يجمع بين العبادة لله تعالى والإفادة من العلماء الأجلاء فأخذ منهم الإجازات العلمية، لقد اجتمع مع محدث الحرمين الشريفين الحسيب النسيب الدكتور محمد علوي المكي رحمه الله فى مكة المكرمة، وقام كذالک بالزيارتين إلى مصر الأزهر حيث التقى مع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي رحمه الله، ومفتى الجمهورية الأستاذ الدكتور علي جمعه حفظه الله تعالى وتدبج معه، وشيخ الشيوخ للطرق الصوفية، واجتمع فضيلته مع المحدِّثين والمُسنِدين طالبا منهم الإجازات والمنسلسلات فأجازوه، ومن ناحية أخرى أقبل عليه الطلاب الدارسون فى الأزهر الشريف من بلاد شتى فأخذوا منه الإجازة العلمية. ومن هنا تعارف مع علماء الأزهر الشريف، وفيما يلي ما قاله عنه بعض علماء الأزهر:

لقد قال عنه فضيلة الأستاذ الدكتور ضياء الدين الكردي رحمه الله عقب لقاء جمع بينهما: "إن جبينه ساطع بنور العلم والتقوي."

أما الدكتور رزق مرسي ابو العباس علي رحمه الله - أستاذ الأدب والنقد (سابقا) بكلية الدراسات الإسلامية والعربية (بنين) القاهرة جامعة الأزهر الشريف- فقد عبر عن

مشاعره تجاه شيخنا الجليل قائلا: "حضر الشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادري إلى القاهرة لأول مرة في حياته يوم السادس من شهر سبتمبر سنة: ١٩٩٩م فاحسست بحرارة اللقاء أنه رجل أعرفه منذ سنين عدة لاأبالغ إذا أوصلتها إلي أرقام تجعلني مُسنًّا لكن لابأس، حين لقيته واحتضننا أحسست بأن هذا الرجل كنتُ وكأن كلانا يعرف بعضُنا بعضا ومضت مدة دون أن يري بعضُنا بعضا.

وقد تحدث عنه الأستاذ الدكتور حازم محمد أحمد محفوظ - أستاذ اللغة الأردية وآدابها بجامعة الأزهر الشريف- قائلا: "إن العلامه محمد عبد محمد عبدالحكيم شرف القادري مؤلف كتب عديدة، وله ترجمات من العربية والفارسية الى الأردية. إنه أستاذ الحديث النبوي الشريف بالجامعة النظامية الرضوية الشهيرة في أرجاء باكستان، التابعة لمذهب أهل السنة والجماعة، وإنه متمكن من اللغتين العربية والفارسية نطقا وكتابة."(١)

لقد كانت بداية عهد العلامه محمد عبدالحكيم شرف القادري رحمه الله بالدراسة منورة بقراءة القرآن الكريم، ومن هنا كانت رحلته الدراسية متوَّجة بالبركات القرآنية، وعندما أكمل شيخنا الجليل دراسته هذه أقدم على القيام بمسئولية نشر تلك العلوم على طلاب العلم والتي كان قد أخذها من أساتذته الأجلاء، وهكذا ظل فضيلته ينور العقول والقلوب حتى أصيب بالمرض الذى اَثّر على لسانه تأثيرا بعيد المدى فلم يتمكن من مواصلة مهنة التدريس، إلا أنه في مثل هذه الظروف لم يقعد ميئوسا بل أقبل على تحقيق حلمه الذى راود قلبه منذ زمان، فقام بترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغة الأردية باسم: "أنوار الفرقان في ترجمة معاني القرآن." وكانت هذه الترجمة نهاية رحلة الحياة تزوَّد بها شيخنا الكريم لدار الآخرة، وفى الثامن عشر من شهر شعبان المعظم سنة ١٤٢٨هـ الموافق لغرة سبتمبر سنة ٢٠٠٧م فاضت روحه الطاهرة إلى بارئها، فأقيمت صلاة الجنازة

---

(١) تاج محمد خان الأزهري، مقال بعنوان:الشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادري، داعيا إلى الله على بصيرة، جريدة صوت الأزهر الأسبوعية، عدد غرة ذي الحجة، عام:١٤٢٤م الموافق ٢٣ من يناير ٢٠٠٤م، ص:١٠

بمدينة لاهور فى مسجد العارف بالله الشيخ على بن عثمان الهُجويرى رحمه الله حيث ودَّعه بقلوب مؤمنة بقضاء الله وقدره أقاربه، وتلاميذه، ومريدوه، والعلماء الأجلاء الذين كانوا قد اجتمعوا من أرجاء باكستان لتشييع جنازته، لقد كان رحمه الله من العلماء العاملين بالكتاب والسنة، عاش حياته فى رحاب العلوم العربية والإسلامية متعلما ثم معلما، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى كان فضيلته صبورا وشكورا فى السراء والضراء، كما أنه كان متحليا بالأخلاق الفاضلة ومتصفا بالسماحة، والوسطية والتواضع لله تعالى، نحسبه صالحا والله حسيبه ولا نزكى على الله أحدا. وصلى الله تعالى على حبيبه سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

٢٠ رجب ١٤٣٤هـ/ ٣١ مايو ٢٠١٣م        كتبه: مشتاق أحمد شاه الأزهرى

## وقفة مع الكتاب ومترجمه

**بقلم: الشيخ عمر حيات القادري، رئيس مؤسسة الصفة، لاهور**

يعدُّ هذا الكتاب من الدراسات القيمة الجادة عن شخصية المصلح الإسلامى الكبير، مجدد عصره الإمام أحمد رضا القادرى طريقة، الحنفى الماتريدى مذهبا، والبريلوى مولدا ومدفنا، فقد أثيرت عنه شكوك وشبهات لا علاقة لها بالصحة كما سوف يطلع القراء الكرام على الحقائق من خلال مطالعة الكتاب: "البريلوية ما لها وما عليها." وقد قام مؤلف الكتاب بإحقاق الحق وإبطال الباطل، وحاول فضيلته قدر استطاعته جمع الكلمة وتوحيد صفوف المسلمين، وإصلاح ما فسد، والرد على البدع والمنكرات، إذ أنه كان فضيلة الإمام مدافعا عن المذهب الحنفى وتقليد المذاهب الأربعة، وكان فضيلته كذالك يُنبه المسلمين على خطورة اللامذهبية والابتعاد عن التقليد باسم اتباع السنة المزعوم، كما أنه كان يدافع عن التصوف الإسلامى المستمد من الكتاب والسنة البعيد عن خرافات الجهلة بالدين، وكان مؤلف الكتاب شيخنا الشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادري رحمه الله أمينا فى كتابه هذا، ويبدو من كل كلمة كتبه فضيلته أنه كان يهدف إلى الإصلاح، وأن يبين بكامل الأمانة أن الإمام أحمد رضا البريلوى برىء مما نسب إليه إحسان الهي ظهير، وأنه جزء لا يُتجزأ من أهل السنة والجماعة.

إننا نعيش فى العصر الذى تحوَّل فيه العالم بفضل وسائل الإعلام الالكترونية كالقرية الصغيرة، وقد تيسرت لنا وسائل الاتصال والسفر التي لم تكن متوفّرة قبل نصف قرن، وفى عصرنا الراهن يشعر أتباع الديانات المختلفة بحاجة إلى الحوار بين الأديان وذلك بعدما ذاقت البشرية مرارة الحربين العالَميَّتين، فلماذا لا ينتبه المسلمون للحوار بين التيارات الفكرية؟ لما ذا ينسى المسلمون أنهم تخلفوا عن ركب التقدم نظرا للخلافات الطائفية فيما بين التيارات الإسلامية؟ المسلمون اليوم أشد حاجة إلى التكاتف والتضامن

والوحدة أكثر من أى عصر مضى، كما أن التخالف والتناحر أشد ضررا بالمسلمين من أى عصر مضى، لذا لابد من الالتزام بأدب الخلاف والمنهجية والاعتماد على المصادر الأصلية عند الحديث أو الكتابة فى الموضوعات الخلافية، فالله نسأل أن يجمع كلمة المسلمين ويؤلف بين قلوبهم-

هذا عن الكتاب أما عن مترجم الكتاب الدكتور ممتاز أحمد السديدى الأزهرى فهو متمكن من ناصية اللغة العربية، إذ أنه بفضل الله وتوفيقه واحد من رجال العلم والأدب، وقد قام بمهمة ترجمة هذا الكتاب لوالده الفاخر من الأردية إلى العربية خير قيام، لذا يصدق عليه المثل العربى: "هذا شبل من ذاك الأسد." لم لا فقد كانت نشأته فى كنف والد عظيم وعالم جليل ألا وهو العلامة محمد عبدالحكيم شرف القادرى رحمه الله والذى علَّم ابنه هذا فأحسن تعليمه وتربيته، وغرس فى قلبه حب العلم والعلماء والصالحين، ومن هنا كان الدكتور مصداقا لمثل آخر: "الولد سرٌّ لأبيه."

ولد المترجَم له فى ٢٤ من شهر شعبان المعظم سنة ١٣٨٦هـ الموافق للثامن من شهر ديسمبر سنة ١٩٦٦م فى مدينة لاهور، فوجد حوله جوًّا متوَّجا بالخير والصلاح ونور التقوى حيث كان كل واحد من جدَّه للأب وجده للأم من الصالحين، إضافة إلى أنه تحلى كل واحد منهما بالأخلاق الفاضلة ونور الإيمان، وهكذا وجد المترجم له الصفات المذكورة بعاليه فى أبويه أيضا فاتصفت شخصيته منذ نعومة أظفاره بالجدِّية، وحسن الأدب، وحب الخير.

استهل المترجَم له رحلته الدراسية بقراءة القرآن على يد جدّته التي كانت امرأة صالحة، ثم تحول إلى المقرى الشيخ محمد ظفر القرشى فأتم على يده قراءة القرآن الكريم فى الجامعة النظامية الرضوية بمدينة لاهور، وفى المؤسسة التعليمية نفسها تلقى الرجل دراسته الدينية والتي كانت محتوية على تسع سنوات حيث كان والده الفاخر رحمه الله يدرس الطلاب وفى هذه الفترة أفاد صاحبنا من الأساتذة الأجلاء، وفى يلى أسماء بعضهم.

(١) العالم الجليل، أستاذ العلماء الشيخ المفتى محمد عبد القيوم القادري-

**(٢) المحدث الجليل أستاذ الأجيال الشيخ محمد عبدالحكيم شرف القادري**

**(٣) الحسيب النسيب الشيخ السيد غلام مصطفٰى البخاري**

**(٤) المقرى الجليل الشيخ محمد يوسف البغدادي رحمه الله**

**(٥) العالم الدينى الكبير الشيخ عبدالستار السعيدى حفظه الله**

**(٦) مؤلف الكتب الكثيرة الشيخ محمد صديق السعيدى حفظه الله**

و التحق صاحب الترجمة بمرحلة الماجستير فى اللغة العربية بقسم اللغه العربية بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد عام ١٩٨٨م حيث كانت الدراسة محتوية على ستة فصول دراسية ثم أعد رسالة الماجستير فى اللغة العربية تحت عنوان: "أساليب القسم فى القرآن الكريم، دراسة نحوية-" تحت إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور صلاح الدين مصطفٰى بكر، وقد ناقش رسالته هذه أستاذ الأجيال الأستاذ الدكتور ظهور أحمد أظهر في عام ١٩٩٤م وهكذا نال المترجم له درجه الماجستير فى فى اللغة العربية خلال خمس سنوات. وفيمايلى أسماء بعض أساتذته في الجامعة الإسلامية: الأستاذ الدكتور أحمد العسال، والدكتور على عشرى زائد، والدكتور رفعت الفرنوانى، والدكتور محمد حماسه عبد اللطيف، والدكتور مؤيد فاضل، والدكتور جابر قميحه، والدكتور أحمد عبد العظيم، والدكتور عبد العزيز أيوب، والدكتور عبد الرحمٰن، والدكتور سالم الرواشدي، والدكتور سليمان فتيح، الدكتور عبد الغفور محمود مصطفي جعفر، الدكتور رجاء عبدالمنعم جبر، الأستاذ مصطفٰى صادق (رحمهم الله وأسكنهم فسيح جناته)

و هكذا درس المترجَم له فى مسقط رأسه مدينة لاهور أولا، ثم عاش خمس سنوات فى رحاب الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، وإنه بفضل دعوات والده الجليل حظى بالمنحة الدراسية من وزارة التعليم الفيدرالى فسافر فى أواخر عام ١٩٩٦م إلى كعبة العلوم والمعارف جامعة الأزهر الشريف حيث قضى مايقارب ثمانية أعوام (من ١٩٩٦م إلى ٢٠٠٤م) فى رحاب هذه الجامعة فأعدَّ رسالة الماجستير فى الأدب والنقد بعنوان "الشيخ أحمد رضا خان البريلوي الهندى شاعرا عربيا-" وذلك تحت إشراف الدكتور

رزق مرسي ابو العباس علي رحمه الله، وقد ناقش رسالته هذه في ٢٥ يوليو سنة ١٩٩٩م كل من أستاذ الأجيال، الأستاذ الدكتور محمد السعدي فرهود (كعضو لجنة المناقشة من الداخل) والأستاذ الدكتور القطب يوسف زيد (كعضو لجنة المناقشة من الخارج) فنال برسالته هذه درجة التخصيص الماجستير بتقدير ممتاز، ثم أعدَّ رسالة العالمية الدكتوراة تحت عنوان: "العلامه محمد فضل الحق الخير آبادى حياته وشعره العربي، دراسة تحليلية نقدية-" وذلك تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد عرفه المغربي، والدكتور رزق مرسي ابو العباس علي رحمه الله فنال ببحثه هذا درجة العالمية الدكتوراة مع مرتبة الشرف الأولى سنة ٢٠٠٤م.

لقد كتب الدكتور رزق مرسي ابو العباس علي رحمه الله مقالا تحت عنوان: "الإمام احمد رضا مصباح هندي بلسان عربي." بناء على طلب السيد وجاهت رسول القادري رحمه الله تحدث فيه عن شخصيات ثلاثة وهي كالتالي:

١. الإمام أحمد رضا رحمه الله والذي أعِدَّت تحت إشرافه رسالة التخصص "الماجتسير" في الأدب والنقد بعنوان: "الشيخ أحمد رضا خان البريلوي الهندي شاعرا عربيا" في قسم اللغة العربية بكلية الدراسات الإسلامية والعربية، (بنين) القاهره جامعة الأزهر الشريف.

٢. الباحث الباكستاني ممتاز احمد السديدي بن الشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادري رحمه الله والذي أعد رسالة التخصص الماجتسير في الأدب والنقد حول الموضوع المذكور آنفا.

٣. شخصية كاتب المقال.

لقد كتب الدكتور رزق مرسي ابو العباس علِي رحمه الله في هذا المقال عن تلميذه ممتاز احمد السديدي: "و شخصيتنا الثانية إنما هو ذلكم الطالب الذي أغرم بشعر الشيخ أحمد خان وثقافته، وغرامُه هذا أقنعنا بأن يكون شعر الشيخ أحمد خان العربي محلَّ اهتمامنا، حيث سجل فيه للحصول على درجة التخصص "الماجستير" بكلية الدراسات الإسلامية والعربية، (بنين) القاهره، جامعة الأزهر الشريف.

لقد عرفنا فيه إقباله على العلم بجِد ونشاط، أري أن هذا العلم يأخذ بيده بعد فضل الله تعالى إلى النهوض بإتمام عمله في وقت مثالي، وجدنا في هذا الطالب تذوقه للشعر فضلا عن اقتناعه وتقديره للشخصية محل البحث ... عرفنا فيه استقامة الخلق، ولو تُضاف هذه الاستقامة إلى الإقبال على العلم الذي سلف ذكره لاستطعنا أن نبوِّئ الطالب الباحث مكانته الدراسية التي تليق به. ولاغرو فقد خُبّرنا أنه من نسل صالح من علماء أجلاء، وأن البيت الذي نشأ فيه بيتُ علم وتُقى، وهي العُدَّة التي يجب على الطالب أن يستصحبها في حِله وترحاله، لقد التقيت به كثيرا وما من مرة ألقى إلا ويكون قد أعدَّ للعلم مبحثا مبيِّنا ما بذله من جهد، وقد كانت لقاءاتنا كثيرة متقاربة مما يدل علي مدى النشاط والجدِّ الذي يتمع به هذا الباحث، وقد كان حظِّي وعطائي من الله موفورا حين هيَّأ لي باحثا يُقبل على الدراسة بنَهم لايشبع من العلم بل يرغب في أن يستزيده... لقد حضرني الآن أنه يبدو لي أن حسن الخلق وطيب المعدن الذي كان موجودا لدى الشاعر وُجد عند تلميذه أيضا، وإن شئت فقل: هي الجاذبية التي وصلت بين الطرفين -الشاعر والباحث- ولا ننسى ما أشرنا إليه من طيب معدِن الأسرة -أعني أسرة الباحث- وكما يقال: "الشئ من معدِنه لايستغرب."... ومن هنا أري أن الله تعالي قد خصني بطالب مثالي في الجد، والنشاط، وتذوق الشعر. والصفة الثالثة هي صفة منشودة فيمن يعرض لدراسة الأدب، أسأل الله له الإتمام بخير ودوام الإقبال علي العلم، وأن يرزقه الله المكانة كما منَّ علي شاعرنا موضوع البحث.[١]

وكان الدكتور ممتاز احمد السديدي حريصا على العلم فالتحق بالدورة التدريبية الثالثة والثلاثين للأئمة والوعاظ الوافدين من العالَم الإسلامي فى الفترة من ١٢٠٠٣/١١/م حتى ٢٠٠٤/١/٣١م فجلس من الأساتذة الأجلاء مجلس التلميذ

(١) دكتور رزق مرسي ابوالعباس علي، مقال بعنوان: الإمام احمد رضا مصباح هندي بلسان عربي، مجلة معارف رضا السنوية، الصادرة من ادارة تحقيقات إمام احمد رضا، كراتشي، العدد الثالث، عام: ٢٠٠٥م ص:٣٩-٤٠

وأفاد من علمهم بشغف ونهم، واسماؤهم كالتالي: الإمام الأكبر شيخ الأزهر، الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي، والأستاذ الدكتور طه مصطفي ابو كريشه، والأستاذ الدكتور محمد أبوزيد الفقي، الأستاذ الدكتور محمد إسماعيل الدفتار، والأستاذ الدكتور مسموع أبوطالب، الأستاذ الدكتور جعفر عبد السلام، والأستاذ الدكتور محي الدين الصافي، والشيخ عطية محمد صقر، والشيخ فوزي فاضل الزفزاف (وكيل الأزهر الأسبق)، والشيخ فرحات السعيد المنجي، و الشيخ محمد عبد الله مندور.

وكان الدكتور خلال إقامته في القاهرة قرابة سبع سنوات شغوفا بالاستماع إلي محاضرات كل من الإمام الأكبر شيخ الأزهر، الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي، والأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم، والأستاذ الدكتور طه مصطفي ابو كريشه، والأستاذ الدكتور علي جمعة، والأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق، والأستاذ الدكتور ضياء الدين الكردي، والشيخ محمد متولي الشعراوي، والدكتور أبواليزيد المهدي (عميد كلية القرآن بطنطا سابقا). (رحم الله من ارتحل منهم إلى دار الآخرة)

و مما هو جدير بالذكر أن الدكتور ممتاز أحمد السديدى - حفظه الله تعالٰى - هو الآخر قد أكرم مثل والده الفاخر بالإجازات العلمية والإجازات فى الطرق الصوفية، فقد أجازه والده رحمه الله وغيره من مشايخ العرب و الباكستانيين إجازة عامة، وهكذا حظى فضيلة الدكتور بشرف الاتصال بالحبيب المصطفٰى ﷺ عن عدة طرق وأسانيد عالية.

هذا وقد قام الدكتور بترجمة بعض الكتب من العربية والفارسية إلى الأردية، كما قام برجمة بعض الكتب الإنجليزية إلى العربية، وإنه قام كذلك بكتابة بحوث علمية باللغة العربية والأردية، والكتاب الذى هوبين يدى القارى الكريم أيضا من ضمن ما ترجمه فضيلة الدكتور من الأردية إلى العربية ملبيا رغبتنا، فقد كنا طلبنا منه ترجمة هذا الكتاب إلى العربية منذ زمان غير أنه لم يتمكن من هذه المهمة إلا الآن، جزاه الله عنا وعن العلم خير الجزاء.

نرجو من فضيلته أن يقوم بأعمال علمية وأدبية أخرى عن التراث الإسلامى والأدبى

فى كل من باكستان والهند والتي نأمل أن تضيف جديدا إلى المكتبة العربية، نسأل الله له دوام التوفيق لما يحبه ويرضاه، وأن يجعله وإيانا من المتمسكين بالشريعة الإسلامية الغراء، وجنَّبنا وإياه من البدع السيئة ماظهر منها وما بطن، وهو الموفق والمستعان وعليه التكلان، وصلى الله تعالى على حبيبه سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وبارك وسلم.

١٨ شعبان المعظم ١٤٤٣هـ — **محمد عمر حيات القادرى**

٢٢ مارس ٢٠٢٢م — رئيس مؤسسة الصفه، بلاهور، باكستان

## كلمة مترجم الكتاب

### الدكتور ممتاز أحمد سديدي الأزهري

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى الذى بلَّغ الرسالة وأدّى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغُمَّة، وعلى آله الطيبين وأصحابه نجوم الهداية أجمعين.

أما بعد: فقد كان الكتاب: "البريلوية ما لها وما عليها." الذى قمت بفضل الله وتوفيقه بترجمته إلى اللغة العربية محاولة جادة لإحقاق الحق وإبطال ما هو الباطل من التهم والافتراءات الموجَّهة إلى فضيلة الإمام أحمد رضا الحنفي القادري -رحمه الله رحمة واسعة- لقد كنتُ قرأت كثيرا عن فضيلة الإمام قبل قيامى بترجمة هذا الكتاب الذى هو بين أيدى القراء الكرام، إلا أننى زدت معرفة بأبعاد شخصية الإمام خلال ترجمة هذا الكتاب، كما عرفت مزيدا عن جهوده العلمية والإصلاحية التى بذلها فضيلته لتوحيد صفوف المسلمين والنهوض بالأمة الإسلامية التى أصيبت بالانحطاط والزوال من الناحية الدينية والسياسية والثقافية والاقتصادية، فقام فضيلته بمهمة إصلاح ما فسد من الأمور خير قيام، ويعرف أهل العلم أن المصلحين على مر العصور لم يجدوا طرقا مفروشة بالأزهار بل بالعكس لاقوا من المعاناة ما نعرفه جميعا، وكان فضيلة الإمام يعرف جيدا أنه سوف يُرمى بسهام النقد والاتهامات إلا أنه كان هو الآخر مطّلعا على ما عاناه المصلحون والمجددون السابقون فسار على خطاهم على بصيرة ولم يخش فى الله لومة لائم، وظل يرشد الأمة الإسلامية إلى ما فيه صلاحها ونجاحها فى الدين والدنيا والآخرة.

لقد كان فضيلة الإمام مفكرا إسلاميا ذا ثقافة علمية هائلة، وكان يملك من العلوم الإسلامية والعربية ما يؤهله لأداء رسالته تجاه الأمة الإسلامية، وإن قيامه بترجمة معانى القرآن الكريم باللغة الأردية باسم: "كنز الإيمان" يدل على رسوخه فى علم التفسير

واطلاعه على كتب علوم القرآن، فلم تكن ترجمته لمعانى القرآن الكريم ترجمة معجمية فقط بل كانت مصحوبة بثقافة تفسيرية ولغوية عظيمة وإلمام بالغ بعلوم القرآن، وكان الاهتمام بجلالة الرب الكريم وكبريائه على رأس السمات البارزة لهذه الترجمة لمعانى القرآن الكريم، كما اهتمت هذه الترجمة التفسيرية بجوانب العظمة للأنبياء والمرسلين بصفة عامة وعظمة إمام الأنبياء -عليه التحية والثناء- بصفة خاصة، إذ أن بعض المترجمين لمعانى القرآن الكريم باللغة الأردية كانوا متمكنين من النثر الأردي إلا أنه لم يكن لديهم إلمام بالعلوم الإسلامية والعربية وعلوم القرآن بالصفة المطلوبة، بينما كان الإمام أحمد رضا متمكنا من النظم والنثر بالعربية والفارسية والأردية بجانب براعته فى العلوم الإسلامية والعربية براعة فائقة.

أما إلمامه بالحديث النبوي الشريف فيظهر من الفوائد الحديثية ضمن مؤلفاته، وإنه عند رحلته الثانية لزيارة الحرمين الشريفين أجاز الكثيرين من علماء الحرمين الشريفين فى العلوم الإسلامية والعربية وفى الطرق الصوفية.

و كان فضيلته واحدا من أعلام الفقه الحنفي فى الهند، تشهد ببراعته الفقهية مجموعة فتاواه التى سمَّاها بالعطايا النبوية فى الفتاوى الرضوية، وفقد طبعت هذه الموسوعة الفقهية فى ثلاثة وثلاثين مجلدا بعد التخريج وترجمة النصوص العربية والفارسية إلى الأردية.

أما شعره العربي والفارسي والأردي فقد نال استحسان الأدباء والمحققين، وقام الباحثون علي اختلاف التخصصات الأدبية بإعداد رسائل جامعية عن جوانب شتى لشعره فى مرحلة الماجستير، وايم فل (M Phil) و الدكتوراة فتجلت علومه الغزيرة فى هذه البحوث والرسائل الجامعية عن شعره العربي والفارسي والأردي، ولم يكن شعره باللغات الثلاث شعرا علميا فقط بل كان مفعما بالعاطفة أيضا، وكان جامعا بين الطابع العلمي والروحي أى أنه كان متسما بالحب الإلهي وحب الرسول ﷺ والصحابة وأهل البيت والأولياء الصالحين، وكان فضيلته يتوِّج شعره بالاقتباسات من الآيات القرآنية

والأحاديث النبوية، كما أنه كان مهتما بالآداب للمدائح النبوية اهتماما بالغا، إذ أننا لاحظنا أنه تصدر أخطا فاحشة من بعض الشعراء لدى نظم المدائح النبوية لعدم إلمامهم بالآداب المطلوبة للمدائح النبوية، فإن الجمع بين عاطفة الحب والآداب الشرعية أمر لايتمكن منه إلا شعراء أصحاب الثقافة الدينية والأدبية معا.

وكان إمام أهل السنه الإمام أحمد رضا من كبار المصلحين فى القرن الرابع عشر الهجري، ولم يقصد من كتاباته إلا الإصلاح الديني والسياسي والاجتماعي، كما أنه أفتى بما تبيَّن له فى ضوء الكتاب والسنة وأقوال الأئمة ولم يبتغ عرض الحياة الدنيا بفتاويه وكتاباته، وسوف يتضح هذا الأمر للقراء الكرام خلال قراءة الكتاب الذى هو بين أيدينا.

وأرجو القراء الكرام أن يطلعوا على المؤلفات العربية أو المترجمة إلى العربية لفضيلة الإمام حتي يعرفوا الحقائق بأنفسهم بصفة مباشرة.

و فى نهاية الكلام أقول: لقد التزمت بالأمانة العلمية خلال ترجمة الكتاب والتقريظات بصفة عامة وعند ترجمة الاقتباسات من الكتب الأردية بصفة خاصة، ولم أحاول تغيير المفهوم عند الترجمة بل حاولت أن أكون أمينا في الترجمة، وأسأل القراء الكرام أن يخبرونى عن خطأ إذا وُجد فى ترجمة أي نص أردي ويعتبروه خطأ عن غير عمد، وإننى مستعد لإعادة النظر فى ترجمة ذلك النص.

ولايفوتني الشكر للقاضي المتقاعد ميان محبوب أحمد، كما أتوجه بالشكر إلى القاضي المتقاعد ميان نذير أختر حفظهما الله تعالى، فقد قام كل منهما بكتابة التقريظ على هذا الكتاب، ولا أنسى الشكر للأخ الفاضل محبوب الرسول القادري الذي ساعدني في هذا الأمر، جزاهم الله كل خير في الدارين.

كما أقوم بواجب الشكر للشيخ مشتاق أحمد شاه الأزهري على قيامه بكتابة ترجمة المؤلف، والشيخ عمر حيات القادري حفظه الله تعالى الذي قام بكتابة كلمة موجزة تحت عنوان: "وقفة مع الكتاب ومترجمه." كما أشكره أيضا على أنه قام بطبع هذا الكتاب خالصا لوجه الله تعالى. فجزاه الله وأحبابه خير الجزاء في الدنيا والآخرة.

وفى نهاية المطاف لاأملك الا الدعاء للشيخ عماد الدين بن أحمد بن أبي حجله النابلسي، والأستاذ الدكتور محمد مسعود أحمد، والسيد الشريف وجاهت رسول القادري ﷺ الذين شرفوا هذا الكتاب بكلماتهم القيمة. فجزاهم الله تعالى عن المصلح المظلوم والمتَهم بما هو برئ منه براءة الذئب من دم سيدنا يوسف عليه السلام، ألا وهو فضيلة الإمام أحمد رضا رحمه الله خير الجزاء.

و الله الموفِّق والمستعان وعليه التكلان. اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وجنبنا اتباعه، واجعل هذا العمل خالصا لوجهك الكريم، وصلِّ اللهم على حبيبك المبعو ث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه وبارك وسلِّم.

١٧ من شهر جمادى الثاني ١٤٤٣ه

٢١ من شهر يناير ٢٠٢٢م

كتبه:

الدكتور ممتاز أحمد السديدي الأزهري

# كلمة الابتداء ...... بقلم المولف

كانت أغلبية سكان الهند الإسلامية منذ قديم الزمان تنتمى إلى مذهب أهل السنة والجماعة من الصوفية، وقد أنجبت أرض الهند عددا كبيرا من العلماء الأجلاء والمشايخ الكبار الذين قاموا بخدمات جليلة فى مجال الدعوة والإرشاد فى أرجاء الهند علي مرّ العصور، وهذه الخدمات الدينية الجليلة جديرة بأن تكتب بماء الذهب إجلالا لها.

لقد برزت شخصية عظيمة فى سماء الثقافة الإسلامية بالهند المتحدة بمواهبها المتعددة، هي شخصية الإمام أحمد رضا الماتريدي عقيدة، والحنفي مذهبا، والقادري طريقة، والبريلوي مولدا ومدفنا، وقد حاز مكانة مرموقة بين معاصريه نظرا لخدماته العلمية المتنوعة، إضافة إلى أنه دافع عن العظمة الربانية، وذاد عن عِرض الرسول ﷺ ومكانة الصحابة وأهل البيت رضى الله عنهم، كما أنه قام بحماية مكانة أولياء الله الصالحين، وهكذا وقف الإمام أحمد رضا خان رحمه الله فى وجه الفتن مدافعا عن عقيدة أهل السنة والمذهب الحنفي، والتصوف المستنير بالكتاب والسنة، وكان فضيلة الإمام رحمه الله موفقا فى جهوده هذه بفضل الله تبارك وتعالى.

## هل البريلوية طائفة جديدة؟

لقد سعى معارضوا الإمام أحمد رضا إلى تسمية فضيلة الإمام ومؤيديه بالبريلوية، وكان الهدف المنشود من وراء هذا السعى تضليل الرأى العام تجاه فضيلة الإمام وأتباعه، والإعلام بأنها طائفة دينية جديدة نشأت فى شبه القارة الهندية، ولا أساس لهذا الادعاء الكاذب فى حقيقة الأمر.

"عالم أهل السنة" لقب من ألقاب إمام أهل السنة فى شبه القارة الإمام أحمد رضا القادري، وكان الإمام رحمه الله وأتباعه ينتسبون إلى المتقدمين من أئمة أهل السنة والجماعة والمذهب الحنفي، وكانوا ينعتون أنفسهم بالسنّيين، وكان من شروط العضوية للمؤتمر

السني بعموم الهند أن يكون الراغب فى العضوية سُنِّيا، كما كان هذا الشرط مكتوبا بجانب تعريف السُّنِّي على استمارة العضوية كالتالى: "السُّنِّي من كان مصداقا لقول الرسول ﷺ: "ما أنا عليه وأصحابى." [١] وهو ممن كان سائرا على طريق الخلفاء الراشدين وعلماء الدين وأئمتهم المتقدمين والثقة من مشايخ الطريقة -و أن يكون على طريق العلماء العاملين بالكتاب والسنة من المتأخرين مثل الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي، وملك العلماء بحر العلوم الشيخ عبد الحي الفرنجي محلي، والعلامة فضل حق الخير آبادي، ومولانا فضل رسول البدايوني، ومولانا إرشاد حسين الرامفوري ومولانا المفتى أحمد رضا خان رحمهم الله."[٢]

يحدثنا الشيخ ابو يحي إمام خان نوشهروي السلفي عن البريلوية قائلا: "تدعى هذه الجماعة تقليد الإمام أبى حنيفة رحمه الله، إلا أن المقلدين الديوبنديين أعنى الدارسين بمدرسة ديوبند وأتباع هذه المدرسة يصفونها بالبريلوية."[٣]

و إلى الحقيقة نفسها يشير قولُ أشد المعارضين لهذه الجماعة والتي كتبها دون انتباه كالتالي: "إنها جديدة من حيث النشأة والاسم ومن فرق شبه القارة من حيث التكوين

---

(١) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال : قال رسول الله ﷺ: "ليأتين على أمتي كما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل ، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية، لكان في أمتي من يصنع ذلك. وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة " قالوا: من هي يا رسول الله ؟ قال: " ما أنا عليه وأصحابي. "(أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الإيمان، باب ما جاء فى افتراق هذه الأمة، ج: ٥، ص: ٢٦، الرقم٢٦٤١:، دار إحياء التراث العربي بيروت، والطبراني في المعجم الكبير، الرقم: ٧٦٥٩، ج:٨، ص؛١٥٢، مكتبة الزهراء، موصل.)

(٢) القادري، محمد جلال الدين، خطبات آل انديا سني كانفرنس (مكتبه رضويه، لاهور) ص ٨٥-٨٦

(٣) النوشهروي، ابو يحي إمام خان، تراجم علماء أهل الحديث فى الهند (سبحاني أكيدمي، لاهور) ص: ٣٧٦

والهيئة ولكنها قديمة من حيث الأفكار والعقائد."(١)

ذهب السيد سليمان الندوي الذى كان ميّالا إلى طائفة أهل الحديث إلى أنه ظهرت الجماعتان التاليتان بعد الإمام ولي الله الدهلوي:

(١) جماعة علماء ديوبند ومولانا سخاوت علي الجونفوري وغيره، وقد ظهر منهم الاهتمام بالتوحيد الخالص إضافة إلى تقليد الفقه الحنفي.

(٢) جماعة الشيخ نذير حسين الدهلوي الذى اعتنى بالتوحيد الخالص والرد على البدع، وإنه بدلا من تقليد الفقه الحنفي توجه إلى الإفادة من كتب الحديث والعمل به، ومن هنا اشتهرت هذه الجماعة بأهل الحديث.

و كانت ثمة جماعة ثالثة والتى يذكرها السيد سليمان الندوي على النحو التالى: "أما الفريق الثالث فقد ثبت على اتجاهه القديم وكان يسمي نفسه بأهل السنة، وكان أكثر زعماء هذا الفريق من علماء بريلي وبدايون."(٢)

وقال أحد زعماء طائفة أهل الحديث فى شبه القارة الشيخ ثناء الله الأمرتسري (مدير مجلة أهل الحديث سنة ١٩٣٧م): "يتساوى عدد سكان المسلمين فى مدينة أمرتسر اليوم بغير المسلمين (من السيخ وغيرهم) وكان جميع المسلمين قبل ثمانين سنة على تلك العقائد التى تعد اليوم عقائد البريلويين الأحناف."(٣)

لقد كان الشيخ محمد إكرام منتميا إلى مدرسة السير سيد أحمد خان كما أنه كان مخالفا لأهل السنة (المنعوتين بالبريلوية) فقد كتب هو الآخر تحت عنوان: "الحزب البريلوي" عن الإمام أحمد رضا: "إنه... دافع عن الفقه الحنفي القديم بكل قوة."(٤)

قال المحقق الهندوسي الشهير مالك رام: "كما هو معلوم لدى الجميع أن مدينة

---

(١) إحسان إلهي ظهير، البريلوية، ص: ٧

(٢) الندوي، سليمان، السيد، حياة شبلى، ص: ٤٤-٤٦

(٣) محمد مسعود أحمد، الدكتور: حيات إمام أهل سنت (مركزي مجلس رضا، لاهور) ص ٤٥-٤٦

(٤) محمد إكرام، شيخ، موج كوثر (الطبعة الثامنة ١٩٦٦م) ص: ٧٠

بريلي كانت موطنا للمرحوم مولانا أحمد رضا خان والذى كان عالما متشددا قديم الاتجاه."[١]

لقد اتضح من هذا الكلام أن علماء بريلي وبدايون لم يكونوا مؤسسي طائفة جديدة بل كانوا على طريق السلف الصالح، والماتريدية، والأحناف، والقادرية، ولم يتمكن معارضوا الإمام أحمد رضا بالإتيان بعقيدة ولو واحدة أحدثها البريلويون -على حد قولهم وتهمتهم- والتي لاعلاقة لها بالكتاب والسنة وأئمة أهل السنة من المتقدمين. ولكن ماذا نقول لمن يحاول أن يقلب الحقائق على رغم ما ذكرناه آنفا؟ فقد شهد أناس ليسوا من أتباع الإمام أحمد رضا على أنه كان فضيلة الإمام سائرا على طريق القدماء.

يقول السيد الشريف محمد المدني: "لم يكن الفاضل البريلوي مؤسسا لمذهب جديد، بل كان مقلدا للإمام أبى حنيفة النعمان رحمه الله، وكانت كل كتاباته تعتمد على الكتاب والسنة والإجماع والقياس، كما أنها كانت تستدل بآراء السلف الصالحين والأئمة المجتهدين، وإنه - بفضل الله تعالى - لم ينحرف ولا للحظة واحدة عن سبيل المؤمنين الصالحين."[٢]

فماذا نقول الآن عن معارضي جماعة البريلوية التى هى حديثة باسمها ولكنها قديمة بأفكارها وعقائدها [أي: أنها متبعة للمذهب الماتريدي في العقيدة، والمذهب الحنفي في الفقه، والطريقة القادرية في التصوف]، وإن معارضيها يكفرون هذه الجماعة ويضللون عقائدها أفكارها والتى هى في حقيقة الأمر عقائد أهل السنة والجماعة منذ قديم الزمان، ولم تكن هذه الجماعة طائفة جديدة. أيها القراء الكرام سوف ترون أن العقائد التى نسبت إلى البريلوية ثم وصفت بالكفر والشرك هى فى الحقيقة عقائد مؤيدة بالكتاب والسنة وأقوال المتقدمين من علماء أهل السنة.[٣]

---

(١) مالك رام، نذر عرشي (طبعة دهلي) ص: ١٣

(٢) سيد محمد مدني، تقديم: دور حاضر مين بريلوي أهل سنت كا علامتى نشان (مكتبه حبيبيه، لاهور) ص ١٠-١١

(٣) لقد بيَّن الإمام أحمد رضا فى كتبه عقيدته المتبعة للقرآن والسنة والسلف الصالح مرارا وتكرارا=

لقد قام الإمام أحمد رضا طوال حياته بالدفاع عن مذهب أهل السنة والفقه الحنفي والتصوف الإسلامي دفاعا مجيدا لذا أصبح الانتساب إليه شعارا لأهل السنة والجماعة فى شبه القارة الهندية. كما ألف فضيلته مبيِّنا عقيدة أهل السنة وأعمالهم مستدِلا بالكتاب والسنة وأقوال الأئمة ونصوص الفقهاء، وهذا أمر يمكن ملاحظته من خلال مئات المؤلفات لفضيلة الإمام، إذ أن كل تاليف من تاليفاته متسم بهذا المنهج والأسلوب.

**ظهور دراسات جامعية عن فضيلة الإمام**

لم تظهر بحوث علمية عن الإمام أحمد رضا إلا بعد رحيله إلى الرفيق الأعلى بنصف قرن وذلك بجهود مشكورة من مجلس رضا المركزي بلاهور، والمجمع الإسلامي بمباركفور الهند، وإدارة تحقيقات الإمام أحمد رضا بكراتشي، فقد قامت هذه المنظمات بالعمل الجاد حسب متطلبات العصر الحديث فظهرت نتائج طية في مجال الدراسات الرضوية على النطاق العالمي.

لقد منحت جامعة بتنه فى الهند درجة الدكتوراة لمولانا حسن رضا خان الذى قام بدراسة الجانب الفقهي للإمام أحمد رضا خان، هذا وما زالت البحوث عن الإمام أحمد رضا القادري فى طور الإعداد بكل من جامعة جبل فور (بالهند) وجامعة سند (بباكستان) وجامعة العلامة إقبال المفتوحة (بباكستان).

---

=إلا أنه بالأسف الشديد حاول بعض الناس إثارة الشكوك والشبهات حول عقيدته واستندوا إلى الاتهامات التي لاأساس لها من الصحة، ومن هنا ألف الشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادري رحمه الله كتابه باسم: "من عقائد أهل السنة." وأورد فيه العقائد المنسوبة إلى البريلوية المفتراة عليها، وبيَّن أن عقيدة الإمام أحمد رضا تجاه الموضوعات الآتية: (١) حياة الأنبياء والصالحين بعد الممات. (٢) المعجزة وكرامات الأولياء. (٣) التوسل والاستغاثة بالنبي ﷺ وعباد الله الصالحين. (٤) نورانية الحبيب المصطفي ﷺ وبشريته. (٦) وظهور الروح العظمى في الكون. مستمدة بالبراهين من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة وخالية من المبالغات. وقد طبع هذا الكتاب فى كل من باكستان والهند. ونأمل أن يقوم هذا الكتاب بدوره في رفع الشكوك والشبهات عن عقيدة الإمام أحمد رضا رحمه الله. ويبين عقيدته الصحيحة بوضوح. (المترجم)

لقد كتب الأستاذ محى الدين الالوائى مقالا عربيا قيّما عن الإمام أحمد رضا خان والذى طبع فى مجلة "صوت الشرق" الصادرة من القاهرة عام ١٩٧٥م، هذا وقد تحدثت الدكتورة باربرا متكاف (Dr. Barbara Metcalf) الأستاذة بقسم التاريخ بجامعة كيلى فورنيا الأمريكيه فى مقالها الإنجليزي عن الإمام أحمد رضا خان، إلا أنها لم تقم بدراسة شخصية الإمام دراسة عميقة، وهكذا توجه الأستاذ جى ايم ايس بليان من قسم الإسلاميات من جامعة ليدن بهولندا إلى الدراسات الرضوية حيث يقوم بمطالعة الفتاوى الرضوية بجانب فتاوى الآخرين.[١]

## وقفة مع مؤلف الكتاب: البريلوية

أثارت الشهرة المتزايدة للإمام أحمد رضا القادري قلقا واضطرابا لدى معارضيه فضربوا بأصول الديانة العلمية والإنصاف وجه الحائط ولجأوا إلى الاتهامات والافتراءات لتضليل الرأي العام وتشويه السمعة الطيبة لفضيلة الإمام، فألف أحدهم وهو الشيخ إحسان إلهي ظهير كتابا عن الإمام أحمد رضا القادري باللغة العربية باسم "البريلوية: عقائد وتاريخ ". ولنا عن هذا الكتاب بعض الملاحظات وأهمها ما يأتى:

(١) لم يتحدث مؤلف هذا الكتاب عن أمر من الأمور من منظوره الصحيح بل قامت يد التحريف بجعل الجميل قبيحا حتى علق عليه أحد العلماء الأفاضل بقوله: "تجاوز هذا الكتاب من النقد العلمي إلى التنقيص. "

يقول الحافظ عبد الرحمن المدني السلفي عن مؤلف البريلوية: "لاحظ قراء كتبه أنه يقوم بالتحريف ضمن الاقتباسات من الكتب الأردية والعربية."[٢]

(٢) نسب الرجل فى الباب الثانى والثالث من كتابه هذا إلى البريلوية بعض العقائد والمفاهيم التى كان عليها المتقدمون من علماء أهل السنة والجماعة ولم يعارضها إلا الوهابية المعاصرون المتشددون في الرأي، وقد قام مؤلف البريلوية بالاستخفاف بهذه العقائد إضافة

(١) محمد مسعود أحمد، الدكتور: حيات إمام أهل سنت (مركزي مجلس رضا، لاهور) ص ٤٥-٤٦

(٢) المدني، عبد الرحمن، حافظ: هفت روزه أهل حديث، لاهور ٣ اكست ١٩٨٤ء، ص: ٦

إلى العقائد التى أيدها شيوخه وأكابره -على رغم أنفه- مثل العلامة ابن القيم، والقاضى الشوكاني، والشيخ صديق حسن خان القنوجي، والشيخ وحيد الزمان، وسوف نأتى بهذه النصوص فى كتابنا عن بعض عقائد فضيلة الإمام باسم: "من عقائد أهل السنة".

(٣) لقد حاول مؤلف الكتاب الاستخفاف بكتابات الإمام أحمد رضا العربية بينما ظهر فى بعض الأحيان أنه لم يتمكن من فهم كلام الإمام أحمد رضا، كما يبدو فى أحيان كثيرة أنه لايُتقن الكتابة العربية السليمة. وقد حدثنا الحافظ عبد الرحمن المدني عن هذا الجانب من كتابات الشيخ إحسان إلهي ظهير العربية فيقول: "أما إلمامه بلغة الضاد فأمر لايتجاوز عن دعاويه وإلا فإننا لانجد صفحة من صفحات كتبه خالية من الأخطاء اللغوية والنحوية كما نبه أهل العلم فى مجالسهم على الأخطاء الموجودة فى المؤلفات العربية لإحسان إلهي ظهير."(١)

(٤) لقد تم تكفير عامة المسلمين المتبعين لمذهب أهل السنة والجماعة القاطنين في مشارق الأرض ومغاربها بتكفير البريلوية والحكم عليهم بالشرك، إليكم النص الخطير فى هذا الصدد، يقول إحسان إلهي ظهير: "كنت امتنع عن الكتابة فيهم وخاصة باللغة العربية لظني فى بداية الأمر أن هذه الطائفة لا وجود لها خارج شبه القارة الهندية الباكستانية ... غير أن الظن لم يبق لمدة طويلة حيث وجدت نفس العقائد والمعتقدات... فى البلدان المسلمة الأخرى من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، ومن أفريقيا إلى آسيا بعين ما رأيت عند قومى هذا."(٢)

و إليكم النماذج الأخرى بالأسلوب نفسه من قيام مؤلف البريلوية بتكفير المسلمين على وجه المعمورة بسبب عقائد البريلوية الموجودة -على حد قوله- فى البلدان المسلمة الأخرى من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، ومن أفريقيا إلى آسيا.

(أ) إنه يقول عن عقائد الإمام أحمد رضا وأتباعه: "إنها عقائد لاتمت بصلة إلى

---

(١) المرجع السابق، ص: ٦

(٢) البريلوية، ص: ١٠

الإسلام من قريب ولا من بعيد بل إنها عين العقائد التى كان يعتقدها مشركو جزيرة العرب والوثنيون قبل بعثة الرسول الأعظم -صلوات الله وسلامه عليه- بل ويوجد عند هؤلاء ما لم يكن يوجد فى الجاهلية الأولى من المبالغة والإغراق فى الشرك بالله."(١)

(ب) وقال في الكتاب نفسه: "إن العقائد والمعتقدات التى تميزت بها البريلوية ... انتقلت إلى المسلمين باسم الدين من الوثنيين والنصارى واليهود والمشركين."(٢)

(ج) ومن نماذج تطرف إحسان إلهي ظهير قوله عن الإمام احمد رضا وأتباعه: "إن كفار مكة ومشركي الجزيرة ووثني الجاهلية ما كانوا بأفسد منهم اعتقادا أو أردأ منهم

---

(١) المرجع السابق، ص: ٩ لقد قام الرجل بتشبيه عقائد البريلوية بعقائد مشركي العرب والوثنين قبل بعثة الرسول ﷺ، ثم قال الرجل نفسه: "إن كفار مكة ومشركي الجزيرة ووثني الجاهلية ما كانوا بأفسد منهم اعتقادا أو أردأ منهم معتقدا." ولم يكتف الرجل بهذا الكلام بل تجاوز إلى القول: "بل ويوجد عند هؤلاء ما لم يكن يوجد فى الجاهلية الأولى من المبالغة والإغراق فى الشرك بالله." وذهب الرجل إلى أن هذه العقائد "انتقلت إلى المسلمين باسم الدين من الوثنين والنصارى واليهود والمشركين." هذا -بالأسف الشديد- أسلوب غير علمي، ولم يكتف هذا الرجل بتكفير البريلوية في باكستان فقط بل تجاوز إلى أتباع الصوفية في مشارق الأرض ومغاربها بقوله: "وجدت نفس العقائد والمعتقدات... فى البلدان المسلمة الأخرى من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، ومن أفريقيا إلى آسيا بعين ما رأيت عند قومى هذا." لقد وجه الرجل تهمة التكفير إلى الإمام أحمد رضا وأتباعه إلا أنه سلك طريق تكفير المسلمين علي دأب شيوخه فى الوقت الذى نحن أحوج ما نكون إلى وحدة الكلمة وتوحيد الصف، هذا العنف والتطرف آفة من آفات عصرنا هذا، الأمر الذي يضر المسلمين ويفرق كلمتهم، ويشتت شملهم. أين أدب الخلاف؟ أين المنهجية العلمية؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وكل هذا على رغم ماورد في الحديث النبوي الشريف: "و إنى لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدى ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها وتقتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم." (رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، الرقم: ٣٨١٦، ج:٤، ص: ١٤٨٦، دار ابن كثير اليمامة، بيروت.)

(٢) البريلوية، ص: ٥٥

معتقدا."[١]

نُحيِّرنا افتراءات الشيخ إحسان إلهي ظهير على الإمام أحمد رضا التي منها ما نقله الرجل عن المخالفين للإمام لتضليل الرأي العام، تلك الافتراءات التى لا صلة لها بالحق والصواب، ويبدو أن هذا التطرف دأب مؤلف "البريلوية" ومبعث فخره.

قال الشيخ إسماعيل الدهلوي فى كتابه: تنوير العينين وهو يرد على الالتزام بتقليد إمام معيَّن: "ليت شعرى كيف يجوز التزام تقليد شخص معين مع تمكن الرجوع إلى الروايات المنقولة عن النبي ﷺ الصريحة الدّالة على خلاف قول الإمام فإن لم يترك المقلد قول إمامه ففي عمله هذا شائبة من الشرك."[٢]

فعلق الإمام أحمد رضا خان على هذا الكلام الخطير قائلا: إن كلا من الإمام الرباني مجدد الألفية الثانية الإمام أحمد السرهندي، والإمام ولي الله المحدث الدهلوي، والشيخ عبد العزيز المحدث الدهلوي كان يقلد الإمام المعيَّن وهو الإمام الأعظم الإمام ابو حنيفة النعمان –رضى الله عنه– والثلاثة المذكورون بعاليه هم رواد الشيخ إسماعيل الدهلوي وقادته الذين يعترف الرجل بعظمتهم، ومن هنا لايخلو أمر الشيوخ الثلاثة المذكورين أعلاه من منظور ما أدلى به الشيخ إسماعيل الدهلوي من الحكم فيمن يلتزم بالتقليد الشخصي للإمام المعين من الصورتين التاليتين:

(أ) إما أن يكونوا مشركين (و العياذ بالله) فإذا كان الإمام مشركا فالمقتدى من باب أولى مشرك.

(ب) أو أن يكونوا مؤمنين مسلمين على الرغم من التزامهم بالتقليد للإمام المعين فكان صاحب تنوير العينين ضالا غير ملمٍ بالدين وهو مكفِّر المسلمين، على كل حال فقد ظهر حكمه.[٣]

---

(١) المرجع السابق، ص: ٦٥

(٢) الدهلوي، محمد إسماعيل، تنوير العينين، نقلا عن: المرجع السابق، ص ١٦٥

(٣) أحمد رضا، الإمام، الكوكبة الشهابية (طبعة مراد آباد) ص: ٥٠-٥١

فكان هذا الكلام من الإمام أحمد رضا ردا عقليا إلا أن مؤلف البريلوية لم يذكر نص الإمام أحمد رضا بل ذكر مفهومه كما شاء ثم قال: "أى كفَّر الشهيد الدهلوي لأنه يرى أن التزام التقليد الشخصي لايجوز مع تمكن الرجوع إلى أحاديث النبي ﷺ التى تدل على خلاف قول الإمام، وإن ترك السنة لايجوز مقابل قول شخص من الأشخاص فهذا هو كفر فى نظر البريلوي، وإن كان هذا كفرا فلاندرى ما هو الإسلام".(١) سبحانك هذا بهتان عظيم.

لم يقم فضيلة الإمام بإصدار هذا الحكم كما نسبه إليه مؤلف الكتاب: البريلوية بل بالعكس ذهب الإمام إلى أنه عندما حكم الشيخ محمد إسماعيل الدهلوي على المسلمين الملتزمين بتقليد إمام معين بالشرك فلايسلم هو الآخر من الشرك أو الضلالة، لأنه إذا كان حكمه الذى أصدره بعنف صحيحا يلزم أن يكون الإمام الرباني الشيخ أحمد السرهندي وغيره من علماء الهند الأجلاء الملتزمين بتقليد إمام معين مشركين (على حد قول الشيخ إسماعيل الدهلوي) والعياذ بالله تعالى، فإذا كان الإمام مشركا فالمقتدي (الشيخ إسماعيل الدهلوي)(٢) هو الآخر مشرك، هذا وإن كان الحكم صادرا على غير صواب فثبتت ضلالة صاحبه بالبداهة.

و مما تجدر الإشارة إليه أن الأحكام التى بينها أئمة الدين المجتهدون ليست من باب رأيهم الشخصي بل هي مبنية على ما هو في الكتاب والسنة صراحة، أو هي مستنبطة من الكتاب والسنة بالقياس الصحيح؛ لذا ليس من الصواب قول المتحررين من التقليد: "إننا نتبع الكتاب والسنة والمقلدون يتبعون الأئمة." والحقيقة أن المقلدين يتبعون الأحكام التى بيَّنها الأئمة المجتهدون، بينما المتحررون من التقليد يدَّعون

---

(١) البريلوية، ص: ١٦٦-١٦٧

(٢) لأنه كان يعتبر كلا من الإمام أحمد السرهندي، والإمام ولي الله الدهلوي، والشيخ عبد العزيز الدهلوي أئمة ورُوَّادا له، فهم الأئمة وهذا هو المقتدى، فما دام الرجل مقتديا فهو فى حكمهم فى الهداية والضلالة. (المترجم)

استنباط الأحكام من الكتاب والسنة مباشرة، وهذا منهم يعنى أنهم يعتمدون على فهمهم للكتاب والسنة ولكنهم لايثقون فى فهم الأئمة المجتهدين الذين يتبعهم أغلب المسلمين فى العالم ويمكن شهادة علمهم وفضلهم وتقواهم شهادة مرفقة بالحلف واليمين.

(٧) وجَّه المؤلف طعنا إلى الأمور التى وردت فى كتب الحديث أو كتب السلف الصالحين وذلك من وراء الطعن المزعوم فى البريلوية، نقدم إليكم بعض النماذج من ذكر الأحاديث أو الآثار.

يقول مؤلف هذا الكتاب: "و يقول الآخر: إن الأنبياء أحياء فى قبورهم وهم يمشون فيها ويتماشون، ويصلّون فيها ويتكلمون."(١)

بينما نجد أنه ليس بقول لأحد من البريلويين بل هو حديث نبوي شريف، رواه سيدنا أبو الدرداء -رضى الله عنه- عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه قال: "إن الله حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء فنبي الله حي يرزق."(٢)

و روى سيدنا أنس بن مالك رضى الله عنه أن سيدنا رسول الله ﷺ قال: "مررتُ على موسى ليلة أسري بى عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي فى قبره."(٣)

ينسب إحسان إلهي ظهير أثرا آخر إلى البريلوية بقوله: "و يقول الآخر: "إن الناس لمّا فارقوا المدينة فى وقعة الحرة أياما ثلاثة ولم يدخل أحد المسجد النبوي الشريف كان يسمع الأذان من قبر النبي ﷺ فى الأوقات الخمسة."(٤)

هذا وقد روى الإمام أبو محمد عبد الرحمن الدارمي بسنده عن سعيد بن عبد

---

(١) البريلوية، ص: ٨١

(٢) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الجنائز، باب ذكر وفات النبي صلى الله عليه وآله وسلم، الرقم :١٦٣٧ (ط: دار الفكر، بيروت ) ج:١،ص، ٥٢٤.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى عليه السلام، الرقم: ٢٣٧٥، (ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت) ج:٤، ص: ١٨٤٥.

(٤) البريلوية، ص: ٨١

العزيز أنه قال: "لما كان أيام الحرة لم يؤذن في مسجد النبي ﷺ ثلاثا ولم يُقَم ولم يبرح سعيد بن المسيب ( والذى هو من كبار التابعين) من المسجد وكان لا يعرف وقت الصلاة إلا بهمهمة يسمعها من قبر النبي ﷺ."(١)

و ينسب مؤلف البريلوية أثرا آخر إلى البريلوية بقوله: "و آخر يقول: لما وضعت جنازة أبى بكر -رضى الله عنه- أمام الحجرة الشريفة نادى رسول الله ﷺ والناس قد سمعوا نداءه: أدخلوا الحبيب إلى الحبيب."(٢)

و حقيقة الأمر أن الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله ذكر هذه الكرامة لسيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه قائلا: "فأما أبوبكر فمن كراماته أنه لما حملت جنازته إلى باب قبر النبي ﷺ نودي: السلام عليك يا رسول الله هذا أبو بكر بالباب. إذا قد انفتح وإذا بهاتف يهتف من القبر: أدخلوا الحبيبَ إلى الحبيب."(٣)

هل يمكن أن نوجه السؤال إلى الشيخ إحسان إلهي ظهير والذى يدعى أنه من أهل الحديث وأنه سلفي: ما بالكم لاتقدّرون الأحاديث وأقوال السلف الصالح؟

(٨) نسبتْ فى هذا الكتاب إلى أهل السنة أمور وهم منها براء وبعضها فيما يلى:

(أ) جعلوا الله معطلا معزولا عن الاختيار والقدرة والاقتدار ... وأن الأنبياء والصلحاء والأولياء انتقلت إليهم قدرة الله وملكه واختياراته -حسب زعمهم- ولم يبق عنده شيء."(٤) والحقيقة أن هذا افتراء محض، وهذه العقيدة كفر صريح، وكلام الرجل مبني على قضية افتراضية باطلة وهى أن الله تبارك وتعالى إذا أعطى أحدا من عباده قدرة واختيارا على أمر من الأمور فإنه يصبح معطلا ومعزولا عن الاختيار والقدرة والاقتدار

---

(١) رواه الدارمي في سننه، الرقم: ٩٣، (ط: دارالكتاب العربي، بيروت) ج: ١ ص: ٥٦

(٢) البريلوية، ص: ٨١

(٣) الرازي، فخر الدين محمد بن عبد الله بن الحسن، الإمام، تفسير كبير (ط: عبد الرحمن محمد، مصر) ج: ٢١ ص: ٨٧

(٤) البريلوية، ص: ٦٥

والعياذ بالله تعالى. وكان المطوب أن يأتي الرجل نصا على ما قال.

(ب) "لم يطرأ الموت على رسول الله ﷺ ولا للحظة."(١) هذا أيضا بهتان عظيم وافتراء محض، وإنه بنفسه نقل العقيدة الصحيحة لأهل السنة (الذين وصفهم الرجل بالبريلوية) وهى كالتالى: "إن حياة الأنبياء حياة حقيقية حسية دنيوية يطرأ عليهم الموت لثانية من الثوانى ليصدق وعد الله."(٢) وهكذا وجدنا تناقضا في كلام الرجل.

(جـ) "أنكروا بشرية الأنبياء."(٣) هذا أيضا قول باطل وافتراء محض، فقد قال الإمام أحمد رضا: "الذى ينكر بشرية الرسول ﷺ على الإطلاق فهو كافر."(٤)

هذه هى بعض النماذج والأمثلة للأكاذيب والافتراءات التى جاءت فى كتاب: "البريلوية" وإلا فالكتاب مملوء بمثل هذه الاتهامات.

(٩) يدّعى مؤلف الكتاب: "لم نذكر عقيدة من عقائد القوم إلا من كتبهم المعتبرة الموثوقة لديهم بذكر الصفحات والمجلدات."(٥) هكذا ادَّعى الرجل إلا أنه اعتمد فى كثير من الأحيان على الكتب التالية: تجانب أهل السنة، نغمة الروح، باغ فردوس، مدائح أعلى حضرت. فهل هذه هى الكتب المعتبرة الموثوقة عند القوم؟

(١٠) لقد أتى الرجل فى الباب الخامس من كتابه بالحكايات وحاول أن يوهم القراء أن عقائد أهل السنة مبنية على هذه الحكايات، مع أن من له أدنى إلمام بالدين يعلم أن الحكايات يمكن أن توضح العقيدة إلا أنها ليست صالحة لتكون أساسا للعقيدة.

تلك عشرة كاملة وهى ملاحظات على هذا الكتاب الذى أثار مؤلفه (إحسان إلهي ظهير) كثيرا من الشكوك والشبهات حول شخصية إمام السنة الإمام أحمد رضا البريلوي

---

(١) المرجع السابق، ص: ٨٠

(٢) المرجع السابق، ص: ٨٠

(٣) المرجع السابق، ص: ١٠٢

(٤) أحمد رضا البريلوي، الإمام، الفتاوى الرضوية (طبعة مباركفور، الهند) ج: ٦ ص: ٦٧

(٥) البريلوية، ص: ١١٢

وعقيدته المتبعة للكتاب والسنة والمتقدمين من أئمة الدين.

## شيء عن كتابنا هذا

أيها القراء الكرام سوف تطلعون على حياة الإمام أحمد رضا البريلوي وخدماته الدينية والسياسية فى كتابنا: "البريلوية مالها وما عليها." بالإضافة إلى آراء أهل العلم فى إمام أهل السنة الإمام أحمد رضا البريلوي وعلمه، وقد قمت -بفضل الله وتوفيقه- بدراسة الاتهامات الموجَّهة إلى الإمام أحمد رضا خان على أسس علمية ثم بينت الحقائق، أما من يلبس نظارة العصبية فلايرى حقائق الأشياء كما هى، بل يراها من وراء نظارته كما يريدها هو، فالله قدير على أن ينفعهم أيضا بهذا الكتاب.

و فى كتاب آخر بعنوان: "بيوت من الزجاج."(١) جئنا ببعض الحقائق عن زعماء الشيخ إحسان إلي ظهير من العلماء السلفيين الوهابيين الهنديين وعلاقاتهم مع الحكومة الإنجليزية فى الهند، كما ألقينا الضوء على المراحل التى مرَّت بها هذه العلاقات الودية، وسوف تعرفون بمطالعة هذا الكتاب كيف يعيش أصحاب العقول والأذهان السياسية حياتهم، ولو كان السلفيون الهنديون من المنصفين لما توجَّهوا بتهمة موالاة الإنجليز إلى الإمام أحمد رضا وأحبابه من علماء أهل السنة.

و فى الكتاب الثالث بعنوان: "من عقائد أهل السنة"(٢) سوف يكون الحديث -إن شاء الله تعالى- عن بعض العقائد للإمام أحمد رضا، والتي وجه إليها الشيخ إحسان إلهي ظهيرا نقدا لاذعا دون الالتزام بالمنهج العلمي، وسوف يتضح للقراء الكرام أنه كان فضيلة الإمام متبعا للكتاب والسنة وآراء أئمة الدين المتقدمين.

---

(١) لقد تمت ترجمة هذا الكتاب إلي العربية وسوف تطبع قريبا إن شاء الله. (المترجم)

(٢) لقد تم تأليف هذا الكتاب باللغة العربية، وهو مطبوع في كل من باكستان والهند. (المترجم)

٨ ربيع الثانى ١٤٠٥هـ

**محمد عبد الحكيم شرف القادري**

غرة يناير ١٩٨٥م

# إلى الشيخ عطيه محمد سالم

مما يتميز به المسلم من الأخلاق أن يكون عمله مصدِّقا لما يقوله بلسانه، وهذا هو المستفاد من الكتاب والسنة، وهذا ما يقتضيه العقل السليم، إلا أنه من الموضة فى عصرنا الراهن أنه يتم التنبيه على جمع الكلمة، والتوافق فى القول والعمل، إلا أنه بمجرد الاطلاع على ذكر أحد من المخالفين يُرمى الحزم وجه الحائط ويتم إصدار الفتوى بأشد ما يمكن من لهجة، وإن مثل هذه الفتاوى مقبولة إذا كانت صادرة من منطلق التحقيق والديانة ولكنها إذا صدرت من منطلق الظن والتخمين والكلام المسموع فقط فإنها لن تحظى بالقبول. فقد قال النبي الأكرم ﷺ عن هذا الاتجاه: "كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع."[1]

لقد أعرب الشيخ عطية محمد سالم مقدِّما لكتاب "البريلوية" عن أمنية جميلة قائلا: "و فى هذا الوقت الذى نحن أحوج ما نكون إلى وحدة الكلمة."[2] إلا أنه على الرغم من أمنيته هذه -فى ست صفحات من التقديم- هاجم فى تقديمه هذا على أهل السنة والجماعة بالهند (المنعوتين بالبريلوية) على عكس ما لمسناه فى أمنيته بما يدل على التعارض بين القول والعمل.

إنه أمر محير للغاية أن المُنبِّه على ضرورة وحدة الكلمة وتوحيد الصف ينعت البريلوية بأنهم كفرة ومشركون وإخوة القاديانية وعملاء الإنجليز[3] ومما يثير الاستغراب أن الشيخ عطية محمد سالم هو الآخر ينبه على ضرورة وحدة الكلمة ثم يصف عامة

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، الرقم: ٥، (ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت) ج: ١، ص: ١٠.

(٢) البريلوية، ص: ٥ (تقديم)

(٣) المرجع السابق، ص : ٢-٤ (تقديم)

المسلمين المنتشرين على وجه البسيطة بكل قسوة.

و مما يزيد الأمر قسوة وظلما أن الشيخ محمد عطية سالم لم يكلف نفسه عناء البحث والتحقيق بل أصدر الحكم بناءً على قول أحد الطرفين، فقد اعترف بنفسه بهذا الأمر قائلا: " و لولا صلة الكاتب الفاضل بهذه الطائفة من حيث الجوار والمخالطة وثقتنا به من حيث الأمانة العلمية ... لما كان لنا أن نتصور وجود مثل تلك الطائفة."(١)

ما هي مكانة حكم الرجل الذي لم يكلف نفسه بالتطلع خارج البئر، هل يجوز للقاضي أن يحكم دون الاستماع على أحد الطرفين؟ قال الله تبارك وتعالى في كلامه المجيد: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ.(٢)

هذا واعترف إحسان إلهي ظهير -دون انتباه- عن تواجد البريلوية في أرجاء العالم حيث تحدث عنهم بقوله: "سيجد القارئ عندما يقرأ عقائدهم وتعاليمهم في الكتاب من أي قطر كان كأنه يقرأ عن نفس تلك الفرق التي توجد عنده وفي بلاده بأسماء أخر من التيجانية، والسنوسية والمهدوية، والقادرية، والسهروردية، والنقشبندية، والجشتية، والرفاعية وغيرها من الفرق الكثيرة المنتشرة في البلدان الإسلامية الشاسعة."(٣)

## إحسان إلهي ظهير من منظور حافظ عبدالرحمن المدني

نرى من الأهمية بمكان أن نذكر هنا -دون تعليق- رأيَ واحد من طائفة أهل الحديث في مؤلف البريلوية ولأن الشيخ محمد عطية سالم عند تقديمه للكتاب البريلوية لم يحاول التدقيق في معرفة الأمور ولعله لم يكن يريد أن يطلع على الحقائق. وسوف يتضح من النصوص التي سنقدمها أن تقديم الشيخ عطية محمد سالم أمر بعيد عن البحث والتحقيق.

---

(١) المرجع السابق، ص: ١

(٢) سورة الحجرات: ٤٩

(٣) البريلوية، ص: ٧، (تقديم)

يعد الشيخ فضل حق من زعماء جماعة أهل الحديث بباكستان والذى يصدر مجلة أسبوعية باسم: "أهل الحديث" وبين يديَّ العدد الثالث من شهر أغسطس سنة ١٩٨٤م من المجلة المذكورة آنفا والذى يحتوى على مقال فى خمس صفحات للحافظ عبد الرحمن المدني (المتخرج فى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة) عن مؤلف البريلوية، وقد جاء هذا المقال تحت عنوان: "دعوة إحسان إلهي ظهير إلى المباهلة." وإليكم بعض الاقتباسات من هذا المقال عن الشيخ إحسان إلهي ظهير:

• إن الناس لايُسلِّمون عليه حبًّا له بل بالعكس يُسلِّمون عليه اتقاء شره، فقد بلغ الرجل من البذاءة وضياع الأخلاق لدرجة أنه يسبُّ ويشتم الناس بناءً على أمور صغيرة.

• لست مصابا بالإحباط النفسي حتى أمدح نفسى بمقالاتى وأطبعها فى المجلات مثل إحسان إلهي ظهير، إضافة إلى أن أطلب مثله من الآخرين أن يؤلفوا كتبا فأطبعها باسمي، ولاأحتاج للشهادة على هذا الأمر إلى أناس آخرين بل هم من تلاميذى والذين يؤلفون الكتب بالعربية والأردية فيطبعها إحسان إلهي ظهير باسمه دون أن يذكر أسماء المؤلفين الحقيقيين.

• أليس الأمر عجبا أن طبعت كتب الإنجليزية باسم من لايستطيع أن يتحدث بالإنجليزية أو يقرأها.

• أما إلمامه بلغة الضاد فأمر لايتجاوز عن دعاويه وإلا فإننا لانجد صفحة من صفحات كتبه خالية من الأخطاء اللغوية والنحوية، كما ينبه أهل العلم فى مجالسهم على الأخطاء الموجودة فى المؤلفات العربية لإحسان إلهي ظهير. إن من يطالعون كتبه العربية يجدون تناقضا بين العبارة الأردية وترجمتها العربية.

• ولم ينس أهل الحي السابقون بمسجد "جينيان والى" (حيث ألقى الرجل خطب الجمعة والعيدين لسنوات طويلة) الأيام التى كان إحسان إلهي ظهير يطلب من الأطفال مقابل فلوس قليلة أن ينادوه بلقب العلامة، وإنه حتى اليوم جعل هذا اللقب وسيلة لمعرفة الصداقة من العداوة فينظر الرجل إلى من يناديه بهذا اللقب ومن لايناديه به.

● كنا قد طلبنا من المساندين الكويتيين للذى خلع على نفسه لقب العلامة أن يأتوا به للمباهلة، ولانقبل المباهلة بناء على النقاط المقدمة منه بل نضيف إليها نقاطا أخرى. والتي هى كالآتى:

١. ألم يقم هذا الرجل باستلام مئات آلاف الروبيات وشراء الأراضى بالأسعار الرمزية، والحصول على الرخص للسيارات من حكومة ذوالفقار على بوتو مقابل إطلاعه على بعض الأمور السرية لحركة الاتحاد القومي؟ مع الأخذ فى الاعتبار أن حركة الاتحاد القومى كانت قد نشأت ضد حكومة ذوالفقار على بوتو.

٢. هل يستطيع هذا الرجل أن يبتهل إلى الله ويجعل لعنته على الكاذب فى أموره السرية والظاهرة والتى وصلتنا عن طريق ندمائه؟

٣. واجعلوا قيام الرجل بالإساءة للحكومة الباكستانية من خلال التقريرات التى أرسلها الرجل إلى الحكومة السعودية بشأن "مؤتمر يا رسول الله." بالمسجد الملكي بلاهور إضافة إلى جلسته الطويلة مع الوفد الكويتي.

٤. إنه ألف كتابا ضخما ضد البريلوية والذى تم توزيعه فى البلاد العربية على نطاق واسع إلا أنه فى الأيام نفسها قام بالتحالف السياسي مع البريلوية والذى سمّته الجرائد الباكستانية بالتحالف الثلاثي.

٥. وإنه كذلك على الرغم من تأليفه كتابا فى الرد على الشيعة وُجد الرجل يسعى من أجل حصول التاشيرات لعلماء الشيعة حتى يتمكنوا من السفر إلى البلاد العربية.

٦. وإنه شارك فى حفلة إيصال الثواب والتى أقيمت لوالدة رجل ذي منصب كبير فى الحكومة وذلك على الرغم من قيامه بالرد على مثل هذه الحفلات ووصفها بالبدع، اجعلوا هذا كله ضمن نقاط المباهلة.

أيها القراء الكرام! إن الأمور المذكورة بعاليه معروفة فى الدوائر السياسية، فقد طبعت بعضها فى الجرائد والمجلات، إلا أنه لم يتم إزاحة الستار عن وجه الحقائق في مقال مستقل.

لقد كان شهود العيان "لخدمات" إحسان إلهي ظهير هذه يريدون أن يقولوها مشافهة أمام الرجل، إلا أن الأمر كان قد بلغ إلى المباهلة لذا كان من المناسب إزاحة الستار عن سيرة هذا الرجل والذى يبدو فى زي العلماء، وقد تحولت جماعة أهل الحديث بسببه دون خلاف جوهري فى مسألة شرعية إلى طوائف وجماعات.

لقد كان بإمكاننا إثبات التُّهم المذكورة بعاليه بالسجلات الحكومية وشهود العيان إلا أن إحسان إلهي ظهير حاول أن يقوم بوضع الستائر على سيرته الذاتية، فتحدى ودعا إلى المباهلة مع الأخذ فى الاعتبار أن هذا التحدى والدعوة إلى المباهلة هي الأخرى خدعة.

نحن على يقين أننا سوف نكون من الفائزين فى المباهلة -إن شاء الله- وسوف يشهد جمع غفير على أكاذيبه وافتراءاته، ويبدو كأن هذا الرجل يصل إلى مصيره بأقرب وقت."(١)

لم تنقل خلاصة هذه الفقرات الطويلة من عالم سنّي بريلوي بل نقلت من الحافظ عبدالرحمن المدني (المتخرج فى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة) وهو واحد من طائفة إحسان إلهي ظهير، وتمنعنا المروءة من الإتيان بمزيد من الأمور المذكورة فى المقال الذى أتينا منه ببعض الفقرات ولم نعلق عليها بل اكتفينا بذكرها فقط، لقد حاولنا أن نرد على الاتهامات والافتراءات الموجَّهة إلى الإمام أحمد رضا ملتزمين بالصبر والحلم ولم نقصد إلا إزاحة الستار عن وجوه الحقائق، ليت الشيخ عطية محمد سالم كان قد بذل قليلا من الاهتمام بقول الله عز وجل: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ." (٢)

ليس من المعقول إصدار الحكم ضد أحد الفريقين بالاعتماد على أقوال مخالفه،

---

(١) المدني، عبدالرحمن ، الحافظ، مجلة أهل الحديث الأسبوعية، لاهور، العدد الثالث من شهر أغسطس ١٩٨٤م، ص ٥ - ٧ . (ملخصا)

(٢) سورة الحجرات: ٦

وعندما تصل الخلافات المذهبية بين أهل القبلة إلى درجة التكفير حيث يكفر كل فريق مخالفه فالأنسب فى مثل هذه الظروف هو الإطلاع على أقوال المتَّهم ومعتقداته بصفه مباشرة قبل إصدار أي حكم أو رأى.

لقد ضاق صدر كعب الأشرف بعد موقعة بدر فركب مع سبعين راكبا من اليهود حتى قدموا مكة فنزلوا على أبى سفيان وأصحابه فأحسنوا مثواهم ثم قال لهم أبوسفيان وأصحابه: ماذا تريدون؟ فقالوا: نريد حرب محمد ونقض عهده، فقال أبوسفيان وأصحابه: لا نأمن أن يكون هذا مكرا منكم، فإن كان ما تقولون حقا فاسجدوا لهذين الصنمين، ففعلوا، ثم قال كعب: ليأت منكم ثلاثون ومنا ثلاثون فنلزق أكبادنا بالكعبة فنعاهد رب البيت لنجهدن فى قتال محمد، ففعلوا، ثم قال ابوسفيان لكعب: إنك امرؤ تقرأ الكتاب ونحن أميون فأينا أهدى سبيلا أنحن أو محمد؟ فقال كعب: اعرض عليَّ دينكم، فقال ابوسفيان: نحن ننحر للحجيج ونسقيهم الماء، ونقرى الضيف، ونفك العانى، ونصل الرحم، ونعمِّر بيت ربنا، ونطوف به، ونحن من أهل الحرم، ومحمد فارق دين آبائه والحرم، وقطع الرحم وديننا قديم ودين محمد حادث، فقال كعب: أنتم والله أهدى سبيلا مما عليه محمد. فنزلت الآية.[1] "أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا."[2]

و من هنا نريد أن نقول: إن إصدار الحكم بالاعتماد الكلي على قول المخالف (أحد الفريقين) دون أي تحقيق أمر غير مرضي عند الله تعالى وعند رسوله -صلي الله عليه وسلم- ولايمكن أن يقبله أحد المنصفين من أهل العلم، لقد بيّن أبوسفيان (قبل أن يعتنق الإسلام) محاسن دينه القديم وعيوب دين الحبيب المصطفى ﷺ فهل يستطيع

---

(١) الصاوي، أحمد بن محمد، العلامة، حاشية الصاوي على الجلالين (ط: مصطفى البابي الحلبي، مصر) ج: ١، ص: ٢١٠

(٢) سورة النساء: ٥١، ٥٢

القاضى المتصف بالعقل والإنصاف أن يقضى ويحكم بالاستماع إلى قول المدّعى فقط؟ إذا كان الجواب: "لا" فكيف يتسنى للقاضى عطية محمد سالم أن يصدر الحكم بناءً على قول المدَّعى فقط وهو مؤلف الكتاب "البريلوية"؟

لقد أصدر الشيخ عطية محمد سالم حكما ضد أهل السنة والجماعة (المنعوتين بالبريلوية) بناءً على اتهامات المخالف دون القيام بالبحث والتحقيق، وهذا يدل على تفكير غير علمي وغير ملتزم. إنه يزكى مؤلف البريلوية قائلا: "أما ما يمكن أن أقدمه للقارئ الكريم فهي كلمات موجزة ومواقف محددة، أما الكلمات فهى عن كاتب هذا الكتاب وجهوده العلمية وجهاده لتلك الفرق وما قدمه للمسلمين فى القارة الهندية وخارجها فى هذا العصر فى قوة أسلوب وتحقيق علمي حيث كتب عن زميلة البريلوية ومعاصرتها والتى لم تبعد عنها كثيرا وهى القاديانية ثم البابية ... ولهذا فكتاباته [١] كلها اتسمت بالرزانة والاعتدال ومدعمة بالأدلة وصدق المقال."[٢]

ليت الشيخ محمد عطيه سالم كلَّف نفسه بمطالعة كتب أهل السنة والجماعة (الذين وُصفوا بالبريلوية) لكان حكمه بكل تأكيد مختلفا.

## عصر الزوال أو الكمال؟

يعد العصر الذى ولد فيه إمام أهل السنة والجماعة بالهند الإمام أحمد رضا البريلوي (١٢٧٢هـ/ ١٨٥٦م=١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م) عصر الزوال من الناحية السياسية وعصر النهضة من الناحية العلمية، والأدبية، والفكرية. وقد ظهرت فى هذه الفترة شخصيات علمية جليلة فى آفاق الهند المتحدة والتى لم تشهد العصور اللاحقة مثلها.

لقد قام الشيخ عبدالحي اللكنوي بجمع التراجم لأعلام الهند ونجد أنه تم تخصيص المجلد السابع والثامن لتراجم علماء القرن الثالث عشر والرابع عشر، والناظر

---

(١) أي كتابات إحسان إلهي ظهير. (المترجم)

(٢) البريلوية، ص: ٢، ٣ (تقديم)

فى هذين المجلدين سوف يصدِّق رأينا. يقول الشيخ أبوالحسن علي الندوي فى مقدمة المجلد الثامن: "إن هذا الجزء هو أكثر تنوعا واتساعا فى التراجم من كل عصر مضى، ففيه كبار العلماء ونوابغ المؤلفين، وشيوخ أجلاء، ومربون، وأهل القلوب، ومعلمون كبار، وأصحاب الدرس والتخريج، ومنهم قادة الفكر الحديث، ورواد حركات ونهضات يحتدم حولهم الجدال ويكثر عنهم القيل والقال، ومنهم أدباء وشعراء، ومنهم من خاض المعارك السياسية واكتوى بنارها وأوارها."(١)

و يبدو كأن الشيخ عطية محمد سالم لم يطلع على تاريخ المسلمين فى الهند لذا وصف عصر الإمام أحمد رضا بعصر الانحطاط والزوال بكل ما فى الكلمة من معنى، إنه يقول: "إن تاريخ حياة مؤسس هذه الطائفة ... ليس تاريخ نهضة علمية فى الهند بل ولا فكرية أو حتى أدبية."(٢)

هذا رأى كاتب كلمة التقديم عن عصر الإمام أحمد رضا، أما رأى مؤلف الكتاب فى هذا العصر فإنه يصفه بالعصر الذهبي الذي احتوى على تواجد علماء بارزين، إنه يقول: "ثم بعد الانتفاضة التى سميت بانتفاضة عام ١٨٥٧م والتى سمّاها المستعمرون "الغدر" قُدِّم الوهابيون وعلماؤهم وزعماؤهم وقادتهم إلى المشانق جملة لاستئصال شأفتهم وقطع دابرهم سنة ١٨٦٣م إلى ١٨٦٥م وممن سجن فى تلك الآونة كانوا علماء بارزين لأهل التوحيد عامة ولأهل الحديث خاصة مثل الشيخ جعفر تانيسري، والشيخ عبدالرحيم، وعبدالغفار، وشيخ المسلمين الشيخ يحي علي صادق بوري، والشيخ أحمد الله وغيرهم ثم بعدهم قائد أهل الحديث وزعيم متبعي السلف الصالح، العلم الرفيع شيخ الكل الشريف نذير حسين المحدث الدهلوي."(٣)

---

(١) اللكنوي،عبدالحي، الشيخ، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، (ط: نور محمد كراتشي ١٣٩٢هـ) ج: ٨، ص: ٨

(٢) البريلوية، ص: ٣ (تقديم)

(٣) المرجع السابق، ص: ٣٧

لقد وصف الشيخ عطية محمد سالم عصر الإمام أحمد رضا بالعصر العقيم الذى لايليق بالذكر فكأنه من خلال تقديمه هذا يكذِّب المؤلف قائلا: "إنه من عادة المستعمر أن يقتل كل حركة يلمس فيها حياة أو تحركا نحو الحياة، فلم يكن لهذه الطائفة أن تظهر فى ظل الاستعمار إلا على رغبة ومسايرة بل وخدمة للمستعمر."(١)

أيها القراء الكرام! سوف تلاحظون مدى تقدُّم أهل الحديث (روَّاد الشيخ إحسان إلهي ظهير) فى عصر الاحتلال الإنجليزي للهند، وسوف تطلعون على علاقاتهم مع الإنجليز في الكتاب المخصص للتعريف بهذه الظاهرة، (٢) وإننا نكتفى بذكر قصة واحدة تدل على علاقة واحد من رواد الشيخ إحسان إلهي ظهير بالإنجليز، فقد ذُكر أنه ألقى القبض على الشيخ نذير حسين الدهلوي إلا أنه تم أطلاق سراحه بعد مدة يسيرة ولكن لماذا؟ يقول الشيخ إحسان إلهي ظهير: "و لكنهم كانوا يخافون هيبته العلمية ومقامه الشامخ، ورسوخه فى المسلمين، فاضطربوا فى أمره كي لايثور المسلمون وتقوم قيامتهم."(٣)

فلنفكر فى أمر الشيخ نذير حسين الدهلوي فى ضوء ما قاله الشيخ عطية محمد سالم عن الاستعمار وأنه سيقوم بقتل كل حركة يلمس فيها حياة أو تحركا نحو الحياة، هنا يطرح السؤال نفسه: كيف اكتسب الشيخ نذير حسين الدهلوي هيبته العلمية ومقامه الشامخ ورسوخه فى المسلمين فى ظل الاستعمار؟

## مرزا غلام قادر بيك من منظور الشيخ عطيه محمد سالم

لقد درس الإمام أحمد رضا بعضا من الكتب الابتدائية على يد مولانا مرزا غلام قادر بيك رحمه الله فقال عنه المخالفون للإمام نظرا للتشابه فى الاسم: "إنه أخ للمرزا غلام

---

(١) المرجع السابق، ص ٣ (تقديم)

(٢) اسمه: "بيوت من الزجاج." وهو مطبوع باللغة الأردية، ولم يستطع أحد أن يكذِّب الحقائق المخزية المرَّة الواردة فيه. (المترجم)

(٣) البريلوية، ص: ٣٨

أحمد القادياني." والعياذ بالله تعالى. ثم قاموا بنشر هذا الكلام بكل قوة.

وحقيقة الأمر أنه مات أخ المرزا غلام أحمد والذى كان يحمل اسم غلام قادر سنة ١٨٩٧م فى مدينة كلكته وكان أستاذ الإمام أحمد رضا مرزا غلام قادر بيك على قيد الحياة، وقتئذ والتفصيل سوف يأتى فى الصفحات القادمة، فانتهز المخالفون للإمام فرصة التشابه بين الاسمين فوصفوا مسلمًا ذا عقيدة صحيحة بالقادياني وحكموا عليه بالكفر، ولم يكن تكفير المسلم دون أي دليل أو مبرر سببا للقلق فى قلوبهم، بل بالعكس كان الأمر بالنسبة لهم بسيطا، لأنه لايعود هذا الأمر الخطير (تكفير المسلمين) إلى قلوب أناس يكفِّرون عامة المسلمين بكل طمأنينة ولايشعرون بشئ من القلق والاضطراب وتقوى الله -عز وجل- فكيف تقلق قلوبهم بتكفير مسلم واحد.

لقد أدلى الشيخ عطية محمد سالم عن فصيلة الإمام -نظرا للدعاية الكاذبة- بقوله: "كان أول معلم له هو مرزا غلام قادر بيك الذى هو أخ للمرزا غلام أحمد القادياني فيصدق عليه القول بأن القاديانية والبريلوية فى خدمة المستعمر شقيقان."[١]

إذا كان الدليل واجبا لإثبات الدعوى فإننا نطالب معارضي الإمام أحمد رضا بدليل يصدِّق دعواهم بشأن مولانا مرزا غلام قادر بيك، ونحن على يقين أنهم لن يتمكنوا من الإتيان بالدليل حتى يوم القيامة.

## استدلال نادر للشيخ عطية محمد سالم فى قضية التكفير

لاندري لأي استعداد علمي عُيِّن الشيخ عطية محمد سالم قاضيا إذ أنه يحكم بناءً على الأمور المسموعة ولايهتم بالدلائل والشواهد، وإنه يستدل بالمنطق بحيث لايوافقه طالب فى الفصول الابتدائية فى أمر هذا الاستدلال، إليكم نموذج من استدلاله المنطقي والذى يبرز لأهل العلم مدى الضَّعف فى الاستدلال، إنه يقول:

فإذا كفَّروا الديوبنديين.

---

(١) المرجع السابق، ص: ٤ (تقديم)

و الديوبنديون أحناف.

و هؤلاء البريلويون أحناف.

فيكون البريلويون كفارا.

و هذا قياس منطقي واضح.(١)

لو كان الشيخ عطية محمد سالم قد درس كتابا من الكتب الابتدائية فى علم المنطق لما وصف هذا القياس بالمنطقي، فإنه حسب هذا المنطق يمكن أن يقول أحد: "الشيخ عطية محمد سالم والسلفيون يحكمون على البريلوية بالكفر والشرك.

و البريلويون ينطقون بالشهادتين.

و السلفيون أيضا ينطقون بالشهادتين.

فيكون السلفيون كفارا ومشركين.

و هذا قياس منطقي واضح."

يوصف هذا القياس حسب المصطلح المنطقي بالشكل الثانى للقياس الاقتراني الحملي والذى يعدُّ فيه الحد الأوسط وكل من الصغرى والكبرى محمولا، ولكنه يشترط للإتيان بالنتيجة فى هذا الشكل أن يختلف كل من المقدمتين فى الإيجاب والسلب يعنى أن تكون إحداهما موجبة والأخرى سالبة. يقول العلامة سعد الدين التفتازاني: "و فى الثاني اختلافهما فى الكيف وكلية الكبرى."(٢)

هذا وكل واحد من المقدمتين فى القياس الذى جاء به الشيخ عطية محمد سالم موجبتان، إنه يقول:

الديوبنديون أحناف.

و هؤلاء البريلويون أحناف.

---

(١) البريلوية، ص: ٤ (تقديم)

(٢) التفتازاني، مسعود بن عمر، سعد الدين، التهذيب مع الشرح (ط: سكندر علي، كراتشي) ص: ٤٦

هذا القياس بعيد عن الصحة من البداية، حتى ولو كان صحيحا لكانت النتيجة: الديوبنديون بريلويون.

ما أعظمه من منطق؟! وما أحسنه من استدلال؟!

كان هذا الاستدلال عقليا فلننظر إلى الاستدلال النقلي الذى جاء به الشيخ عطية محمد سالم، إنه يقول: "و قديما قال العلماء: من سبَّ جنسه فقد سبَّ نفسه، فهم قد كفروا أنفسهم من حيث لايشعرون."(١)

لايوصف بيان الحكم الشرعي بالسِّباب، وإننى بغض النظر عن هذا الأمر أقول: "مَن رأى الديوبندية من جنس البريلوية فقد أخطأ." وقد قال الشيخ عطية محمد سالم بنفسه: "الديوبندية يشتركون معهم فى النسبة إلى المذهب الحنفي."(٢)

لذا لايمكننا أن نقول: "إن الديوبندية من جنس البريلوية." كما لانقول: "إن البريلوية من جنس الديوبندية." كل واحد منهما نوع مستقل منفصل عن الآخر، ولايُحكم على نوع بحكم نوع آخر.

## القائد الأعظم، محمد إقبال وضياء الحق

انقسم الزعماء السياسيون فى أحزاب مختلفة أيام حركة استقلال باكستان، فكان بعضهم من مؤيدي الإنجليز ومسانديهم كما كان البعض الآخر من أعداء الإنجليز إلا أنهم كانوا -قلبا وروحا- من الموالين للهنادكة وحلفائهم. وكانت وجهة نظر الإمام أحمد رضا وعلماء أهل السنة أن كلا من الإنجليز والهنادكة عدو للإسلام والمسلمين فالموالي للهنادكة كالذى فرَّ من المطر ووقف تحت الميزاب، فالهنادكة قوم والمسلمون قوم آخر، عرفت هذه النظرية فيما بعد بنظرية تمايز القوميتين والتي جعلها القائد الأعظم لمسلمي شبه القارة محمد علي جناح، والعلامة محمد إقبال شعارًا لحركة استقلال باكستان، وإنه

(١) البريلوية، ص: ٤ (تقديم)

(٢) المرجع السابق، ص: ٤

بناء على هذه النظرية استقلت باكستان فيما بعد.

لقد تم عقد اجتماع تاريخي لمنظمة المؤتمر السني بعموم الهند سنة ١٩٤٦م حضره عدد كبير من علماء أهل السنة (الذين وُصفوا بالبريلوية) ومشايخ الطرق الصوفية وأيدوا حركة استقلال باكستان، وفى تلك الآونة لم تحظ الرابطة الإسلامية بمثل هذا التأييد القوي من منظمة سياسية أو مذهبية أخرى.

ولننظر إلى عدم إلمام الشيخ عطية محمد سالم بالتاريخ إذ يقول عن البريلوية: "فقد كفروا مؤسس باكستان محمد علي جناح، والشاعر الإسلامي الباكستاني محمد إقبال بل وحاكم باكستان اليوم محمد ضياء الحق واعتقد أن هذا منهم طبيعي لأن هؤلاء كانوا أعداء لأوليائه المستعمرين، وهم الذين جاهدوا فى إخراجهم من البلاد."[١]

تشهد حركة استقلال باكستان على أنه لولا علماء أهل السنة والجماعة ومشايخ الطرق الصوفية (الذين وُصفوا بالبريلوية) لما حظيت هذه الحركة بالنجاح ولكانت خريطة باكستان مختلفة عما هى عليه الآن. وسوف يأتى التفصيل فى الصفحات القادمة تحت عنوان: "السياسة الإسلامية"

يستشهد مخالفو أهل السنة (المنعوتين بالبريلوية) فى أمر تكفير القائد الأعظم محمد علي جناح والعلامة محمد إقبال بكتاب اسمه "تجانب أهل السنة"[٢] فنقول: كان هذا الرأى مما انفرد به مولانا محمد طيب ولم يكن رأيا وقرارا جَماعيا لعلماء أهل السنة، لذا لانرى من الإنصاف أن يقول قائل: إن البريلوية كفَّروا القائد الأعظم والعلامة محمد إقبال.

يكتب مؤلف الكتاب "البريلوية": "ما ننقل هذه العقائد والمعتقدات وأدلتهم لثبوتها وجوازها إلا من البريلوي أحمد رضا المسمِّي نفسه بعبد المصطفى أو من خاصته

---

(١) البريلوية، ص: ٥

(٢) المرجع السابق، ص: ٥، ٢٠٧

وكبار زعماء هذه الطائفة المعتمدين عند القوم عامتهم وخاصتهم والشخصيات البارزة والموثوقة لديهم بدون نزاع وجدال."(١)

لقد وعد الرجل بالمنهجية العلمية إلا أنه لم يلتزم بما وعد، فهل كانت شخصية مؤلف الكتاب: "تجانب أهل السنة" مولانا محمد طيب من الشخصيات البارزة الثقات لدى أهل السنة والجماعة (الذين وصفوا بالبريلوية) بدون نزاع وجدال؟ هل من الإنصاف نسبة أقوال واحد من علماء أهل السنة إلى جميعهم؟

حدثنا العلامة العلامة غلام رسول السعيدي عن مولانا محمد طيب بقوله: "لايعدّ مصنف الكتاب: "تجانب أهل السنة" مولانا محمد طيب الهمداني من العلماء البارزين المعتمدين من الناحية العلمية، لقد كان صهرا لمولانا حشمت علي، ولم تتجاوز مكانته العلمية من كونه إماما بمسجد صغير فى قرية شرقبور، وما كتبه فى "تجانب أهل السنة فهو رأيه الشخصي، وقد كان تأييد علماء أهل السنة فى المؤتمر العظيم بمدينة بنارس لحركة إنشاء باكستان ردا عمليا لآراء مولانا حشمت علي وصهره مولانا محمد طيب السياسية، لقد تجاوز عدد العلماء المؤيدين لحركة إنشاء باكستان عن خمسة آلاف، لذا لاتنسب آراء رجل غير بارز وغير معتمد عند الجميع إلى جميع العلماء والمشايخ حيث لايعدّ رأيه حجة لنا، كما أننا لانوافقه فى آرائه السياسية."(٢)

قال العلامة السيد الشريف أحمد سعيد الكاظمي رحمه الله عن تجانب أهل السنة: "تجانب أهل السنة تصنيف لرجل غير بارز، وهذا الكتاب ليس معتمدا لدينا، لذا نرى من الخطأ إدخال هذا الكتاب فى الكتب المعتمدة لدى أهل السنة والجماعة، ولايعد رأيا من الآراء المذكورة فيه رأيا لجميع أهل السنة بالضرورة، ولسنا مسئولين عن كل ما فيه."(٣)

---

(١) المرجع السابق، ص: ٥٦

(٢) السعيدي، غلام رسول، العلامة، ماهنامه فيضان، فيصل آباد، عدد إبريل ١٩٧٨م، ص: ٢٧ - ٢٨

(٣) المذكرة الخطية المكتوبة بيد العلامة أحمد سعيد الكاظمي بتاريخ ٢٩ اكتوبر ١٩٨٢م موجودة

و مما هو جدير بالذكر فى هذا المقام أن أكثر علماء ديوبند وعلماء أهل الحديث خالفوا حركة إنشاء باكستان والقليلون منهم أيدوا هذه الحركة، فقد انضم الشيخ داؤد الغزنوي (من علماء أهل الحديث) والشيخ شبير أحمد العثماني (من علماء ديوبند) إلى الرابطة الإسلامية بعد فترة طويلة من نشأة حركة استقلال باكستان، أما علماء أهل السنة فكانوا من مؤيدى الرابطة الإسلامية من بداية هذه الحركة، أما الشيخ حشمت علي خان فلم يخالف نظرية إنشاء باكستان كما أنه لم يؤيد المؤتمر الهندي الوطني، فقد كان يرى أن الرابطة الإسلامية تحتوى على الطوائف الدينية المنحرفة التى تنتسب إلى الإسلام. ولما قامت منظمة المؤتمر السني بعموم الهند بتأييدها للرابطة الإسلامية خالف مولانا حشمت علي خان تأييد هذا المؤتمر (للسبب الذى ذكرناه آنفا) وكانت منظمة المؤتمر السني بعلمائها ومشايخها الذين تجاوز عددهم عن خمسة آلاف تؤيد الرابطة الإسلامية وترفض موقف الشيخ حشمت علي ومولانا محمد طيب رحمهما الله ولم يقبل رأيهما السياسي، وكان الشيخ حشمت علي هو الآخر قد تراجع عن مخالفة الرابطة الإسلامية فيما بعد.

حدثنا العلامة السيد أحمد سعيد الكاظمي عن موقف الشيخ حشمت علي خان من حركة باكستان بقوله: "لقد عرف عن الشيخ حشمت علي خان أنه كان قد ذهب إلى مدينة بريلي إلى مفتى الهند الأعظم العلامة مصطفى رضا خان رحمه الله وتراجع عن مخالفة قرارات المؤتمر الذى تم عقده فى مدينة بنارس باهتمام منظمة المؤتمر السني بعموم الهند من أجل تأييد حركة إنشاء باكستان." [1]

أما موقف علماء ديوبند من حركة إنشاء باكستان فيمكن أن نعرفه مما كتبه الشيخ شبير أحمد العثماني فى رسالته الموجَّهة إلى الشيخ حفظ الرحمن السيوهاروي، إنه يتسائل: "ماذا فعلتم بالنسبة لما فعله طلاب دار العلوم ديوبند؟ فقد وضعوا الملصقات على

بحوزة كاتب السطور (محمد عبد الحكيم شرف القادري)

(١) المرجع السابق

الجدران والتي كانت محتوية على الشتائم الغليظة، والكلمات الفاحشة والكاريكاتيرات المهينة لنا، حتى إننا وُصفنا بأبى جهل وأهنًا غاية الإهانة."[١]

من هذا الكلام الخطير يمكن أن يعرف كل عاقل مدى حدة الغضب فى دارالعلوم ديوبند على الشيخ شبير أحمد العثماني وأصحابه لا لذنب ارتكباه بل لتأييدهما حركة استقلال باكستان فقط.

حدثنا مجاهد الملة مولانا عبدالستار خان النيازي عن دور علماء أهل الحديث فى حركة استقلال باكستان بقوله: "يعرف الجميع أن أكثر الأكابر من علماء أهل الحديث خالفوا حركة إنشاء باكستان مخالفة شديدة، إضافة إلى أنهم كانوا زعماء للجماعات المعادية لنشأة باكستان، نستثنى منهم شخصية مولانا السيد إسماعيل الغزنوي الذى أيّد حركة إنشاء باكستان إلا أن دوره هذا لم يكن بارزا، والزعيم السلفي الثانى من أهل الحديث هو مولانا السيد محمد داؤد الغزنوي الذى كان رئيسا للمؤتمر الهندي الوطني بإقليم بنجاب ونال عضوية البرلمان كواحد من أعضاء المؤتمر الهندي الوطني، وقد سلطت على المسلمين وزارة خضر حيات بمساعدة مولانا أبي الكلام آزاد، إلا أن أتباع أهل الحديث كانوا من المؤيدين لحركة إنشاء باكستان، وأخيرا تحت ضغط هؤلاء الناس انضم مولانا السيد محمد داؤد إلى الرابطة الإسلامية وحركة إنشاء باكستان."[٢]

و لم يكن بوسع الشيخ إحسان إلهي ظهير أن ينكر علاقة الشيخ محمد حسين البطالوي مع الإنجليز لذا رأى أن يتخلص من المشكلة بما يلى: "أما معاملة الكلمتين[٣] اللتين ألقى بهما الشيخ محمد حسين البطالوي فإننا فى هذا الأمر لانلوذ بالتأويلات

(١) القاسمي، طاهر أحمد، مكالمة الصدرين (ط: دارالإشاعت، ديوبند) ص: ٢١

(٢) النيازي، عبد الستار خان، نعره حق (مكتبه رضوية، كجرات) ص: ٤٥

(٣) كلمة التهنئة بمناسبة اليوبيل الذهبي لحكومة الملكة فيكتوريا وكلمة الوداع للحاكم العام بالهند اللورد دفرن. قام بإلقائهما الشيخ محمد حسين البطالوي. (المترجم)

والتحريفات على نهج الأمة القاديانية بل نقول بصراحة: "لو قام أحد أو مجموعة من الأفراد بهذه المهمة فقد أخطأ، وإننا لانعدُّه معصوما ولا صاحب شريعة، وليس كل رأي من آرائه حجة لنا، إذ أنه يوجد فى كل قومٍ بعض الأفراد الذين يمكن أن تصدر عنهم بعض الزلات والأخطاء، وهذا الاتجاه الفردي لايعيب القوم بأكمله، ولايصح طعن جماعة بالأفراد."(١)

لماذا لا يُقبل هذا الكلام منا عندما نحاول أن نبرئ علماء أهل السنة عن مخالفة حركة استقلال باكستان؟ كيف تُحمَّلُ مسئولية ما قاله بعض الناس على عاتق الجماعة كلها؟ وقد تبرأ علماؤنا من تحمُّل مسئولية كتاب: "تجانب أهل السنة" إلا أن مؤلف الكتاب: "البريلوية" ليس مستعدا لقبول هذه البراءة.

و هنا نستلفت الانتباه إلى أن مسئولية الكلمتين حمِّلت على عاتق محمد حسين البطالوي وحده مع أنه لم يكن وحيدا فى هذا الأمر بل بالعكس كان كبار علماء أهل الحديث بجانبه في كلمة الوداع للحاكم العام للهند اللورد دفرن، وإليكم أسماؤهم: "الشيخ نذير حسين الدهلوي، محمد يونس خان (عليكره) قطب الدين، الشيخ محمد سعيد (بنارس) إلهي بخش (لاهور) الشيخ السيد نظام الدين زعيم أهل الحديث."(٢)

لقد كان جميع زعماء أهل الحديث جنبا بجنب فى هذا التوديع بالحاكم العام بعموم الهند اللورد دفرن إلا أن مسئولية الجريمة الاجتماعية حمِّلت على عاتق فرد واحد وهو محمد حسين البطالوي وهو على عكس المعاملة مع أهل السنة والجماعة (الذين وصفوا بالبريلوية) حيث حمِّلت مسئولية الفرد الواحد على عاتق الجميع، ما أعجبه من أمر؟!

و من الجدير بالذكر أن أول اسم فى قائمة المرحِّبين هو للشيخ نذير حسين الدهلوي،

---

(١) إحسان إلهي ظهير، مرزائيت اور إسلام (إدارة ترجمان السنة، لاهور) ص: ٢٣٣

(٢) البطالوي، محمد حسين، إشاعة السنة، المجلد الحادى عشر، العدد الثانى، ص: ٤١ - ٤٢

وهل تعرفون من هو؟ وما مكانته فى طائفة أهل الحديث؟ يعرِّفنا به الشيخ إحسان إلهي ظهير قائلا: "قائد أهل الحديث وزعيم متبعى السلف الصالح، العَلَم الرفيع، شيخ الكل الشريف نذير حسين الدهلوي."(١) والذي يحدثنا عنه مؤلف الكتاب: "البريلوية" فى مقام آخر بقوله: "المحدث الجليل والعالم النبيل شيخ الطائفة المنصورة فى عصره الرباني، سلالة الرسول، الشريف نذير حسين الدهلوي الذى حمل لواء السنة فى شبه القارة الهندية الباكستانية. وبدَّد غيوم الجهل والضلالة ونوَّره بنور الكتاب والسنة، وجلس مجلس الشاه ولي الله المحدث الدهلوي ونقَّح تعليماته وهذَّب وجدَّد شوق الهنديين إلى الكتاب والسنة."(٢)

إن تواجد شيخ الكل فى مجموعة المودعين للحاكم العام يمثل الجميع فكأن جماعة أهل الحديث كلها حضرت هذه الحفلة، إضافة إلى زعماء أهل الحديث من علي كره، وروبر، وبنارس، ولاهور، ومدراس، وإنه بعد الإطلاع على هذا التوديع الجَماعي يُعدُّ تحميل الشيخ محمد حسين البطالوي مسئولية هذه الكلمة مساويا لإراقة دم الإنصاف، ثم إن محمد حسين البطالوي ليس من عامة أهل الحديث بل لقِّب بمحامي أهل الحديث، وكان لصوته دويّ يُسمع فى الهند كلها.

## التكفير المزعوم لرئيس باكستان الأسبق

يزعم الشيخ عطية محمد سالم أن البريلوية كفَّروا حاكم باكستان محمد ضياء الحق أيضا.(٣) والدليل على هذا الادعاء الباطل أنه لما زار باكستان كل من الإمام بالمسجد النبوي والإمام بالحرم المكي صلّى خلفهما الرئيس الباكستاني وأمير منطقة بنجاب سوار خان، فسأل سائل عن حكم من صلى خلفهما فردَّ عليه المفتي السيد شجاعت علي

(١) البريلوية، ص: ٣٧

(٢) المرجع السابق، ص: ١٦٢ (ملخصا)

(٣) المرجع السابق، ص: ٥

القادري بقوله: "إن الحضرة النوراني الفاضل البريلوي رضى الله تعالى عنه أفتى بتكفير ورِدَّة من يعتقد أن الوهابية النجديين مسلمون أو يصلى خلفهم."(١)

و يظهر بطلان هذا الادعاء المضحك من أن الحكومة الباكستانية عيّنت السيد شجاعت علي القادري قاضيا بالمحكمة الشرعية الفيدرالية، فهل يجوِّز العقل السليم أن يقوم الرئيس الباكستاني محمد ضياء الحق بتعيين من أفتى بكفره قاضيا بالمحكمة الشرعية؟ كأنَّ التكفير صنيع محمود يُكرم عليه بمنصب القضاء.

يقول السيد شجاعت علي القادري: "طبعت باسمي فتاوى كثيرة لايثق فيها رجل ذوعقل والتى نفيت نسبتها إليَّ مرارًا وتكرارًا، منها على سبيل المثال أننى قمت بتكفير الرئيس الباكستاني الجنرال محمد ضياء الحق."(٢)

هذا ويتم توزيع كتب مثيرة للخلافات الطائفية في باكستان والتى تصف عامة المسلمين بالمشركين وعباد الأصنام وإليكم ملخص بعض الأقوال الواردة فيها والمليئة بالعنف الطائفي:

- "إن وضع الأزهار على قبور الصالحين وتقديم النذور عندها فى باكستان أمر يقضي على علاقة المسلمين بالله تعالى، ومثل هذا البلد لايستحق أن يسمى إسلاميا."(٣)
- الدعاء عند قبور الصحابة وأهل البيت والتبرك بغار حراء أو غار ثور حرام.(٤)
- إن من يولِّي وجهه نحو قبر الرسول ﷺ فإنه بعمله هذا اتخذ القبر النبوي قبلة

---

(١) البريلوية، ص: ٢٠٨

(٢) مذكرة خطية كتبها السيد شجاعت علي القادري بتاريخ ١١ يوليو سنة ١٩٨٤م (و المذكرة موجودة فى حوزة كاتب السطور محمد عبد الحكيم شرف القادري)

(٣) محمد صادق خليل، محمد بن عبد الوهاب (ط: فيصل آباد) ص: ١٦

(٤) عبد العزيز بن عبد الله، حج اور زيارت كي شرعي آداب (ط:مطابع نصر، الرياض) ص: ٤

وكعبة، وهذا هو الشرك الأكبر، وهذه هى عبادة الأصنام.(١)

- إن القادمين من خارج المملكة يعبدون قبر النبي ﷺ باعتباره وثنا.(٢)
- انتشر الشرك فى العالم الإسلامي بشكل الاعتقاد فى قبور الصالحين.(٣)
- لا بد من وجود جدار بين القبر الشريف والمسجد النبوي حتى يطمئن الموحدون.(٤)
- إن اتخاذ الأنبياء والصالحين شفعاء تساوي عقيدة المشركين تماما.(٥)
- تجاوز المتبركون بقبور الصالحين من مسلمى عصرنا من مشركى العرب.(٦)

يقول الشيخ عطية محمد سالم: "و فى هذا الوقت الذى نحن أحوج ما نكون إلى وحدة الكلمة وتوحيد الصف يقوم البريلوي يكفر كل من سواه."(٧)

هذا بهتان صريح بأنه كان الفاضل البريلوي يكفِّر كل من سواه، إذ أنه كفَّر من أهان ربَّه -جل جلاله- أو قام بالإساءة إلى الحبيب المصطفى ﷺ وكفَّر كذلك من اطلع على كفرهما ثم صدَّقهما.

وجَّه الشيخ عطيه محمد سالم تهمة التكفير إلى الإمام أحمد رضا إلا أنه لم يفكر فى معاملة السلفيين النجديين الذين يكفرون كل من سواهم من مسلمى العالم، وقد ذكرنا بعض النصوص آنفا.

---

(١) المكي، محمد سلطان المعصومي، المشاهدات المعصومية (ط: إدارة البحوث العلمية السعودية) ص: ٧

(٢) المرجع السابق، ص: ٧

(٣) اليمني، محمد بن إسماعيل، تطهير الاعتقاد (ط: إدارة البحوث العلمية السعودية) ص: ٤

(٤) عبد العزيز بن عبد الله، حج اور زيارت كى شرعي آداب (مطابع النصر، رياض) ص: ٤

(٥) الألباني، ناصر الدين، قبرون بر مسجدين (ضياء السنة، لائل بور) ص: ١٢٥

(٦) السلفي، أحمد بن حجر آل ابوطامي، التوحيد (الدار السلفية، بومبائى) ص: ٧٥

(٧) عبد الرحمن بن حسين، هداية المستفيد شرح كتاب التوحيد (ط: أنصار السنة، لاهور) ج: ١، ص: ٤٥٥

## كل هذا من آل الشيخ

إن مقاليد الأمور السياسية والإدارية كلها بالمملكة العربية السعودية بيد آل سعود، أما الأمور الدينية فهى بيد آل الشيخ، وإن كلا من الدعاية الطائفية والكتب المثيرة للطائفية المطبوعة فى المملكة العربية السعودية والصادرة إلى البلاد الإسلامية مفروضة على الأمة الإسلامية من آل الشيخ، وإذا كانت الحكومة الباكستانية تكره نار الطائفية فعليها أن تفاوض الحكومة السعودية مباشرة فى هذا الأمر حتى يتم تنبيه آلِ الشيخ، ولا بد من فرض الحظر على طبع الكتب المثيرة للخلافات الطائفية والجدل وذلك من أجل الحفاظ على الأمن الداخلي لجمهورية باكستان الإسلامية.

و مما تجدر الإشارة إليه أن العلماء النجديين المتشددين يكفرون عامة المسلمين ويحكمون عليهم بالشرك نظرا للأمور التي هي ليست من الشرك ثم يتوقعون منهم الصداقة، والأخوة، والحب كرد فعل، ولكنهم مقابل عنفهم هذا إذا وجدوا عنفا مثله فلايكون رد الفعل ظلما واعتداءً، وإنهم إذا اتصفوا برحابة الصدر وابتعدوا عن ضيق الأفق فسوف يجدون صدور عامة المسلمين أكثر رحابة من صدورهم.

## لماذا هذا الإفراط فى أمر التشريك؟

إن العلماء النجديين وأهل الحديث مفرطون فى أمر التشريك، فإنهم يحكمون على من سواهم من مسلمى العالم بالشرك فى كثير من الأمور التى لا صلة لها بالشرك وذلك على الرغم مما قاله النبي ﷺ فى هذا الصدد وتمام الحديث كالتالي: "عن عقبة بن عامر -رضى الله عنه- قال صلى النبي ﷺ على قتلى أُحد بعد ثمانى سنين كالمودِّع للأحياء والأموات ثم طلع على المنبر فقال: إنى بين أيديكم فرط وأنا عليكم شهيد، وإن موعدَكم الحوض، وإنى لأنظر إليه من مقامي هذا، وإنى لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدى ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها وتقتلوا فتهلكوا كما هلك من

كان قبلكم."(١)

روى شداد بن أوس -رضى الله عنه- قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "أتخوف على أمتى الشرك والشهوة الخفية، قال: قلت: يارسول الله أمشرك أمتك من بعدك؟ قال نعم. أما أنهم لايعبدون شمسا، ولا قمرا، ولا حجرا ولا وثنا ولكن يراءون بأعمالهم."(٢)

هل رأيتم أيها القراء الكرام! كيف نفى النبي ﷺ عن أمته الشرك في العبادة؟ إلا أن المتشددين المفرطين يرون الشرك فى كل مكان، لقد نبهنا الرسول ﷺ على خطورة المال والذهب ولكنه لا يهتم أحد بالحديثين.

و هكذا أريقت بليارات الدولارات فى حرب العراق وإيران، وقد وجدت مصانع السلاح الأمريكية والروسية سوقا رائجة لمنتجاتها في هذين البلدين، وما زالت دماء الفريقين تراق منذ سنوات طويلة وتتدفق أموال البلدين الإسلاميين إلى غير المسلمين. (٣)

يقول الشيخ عطية محمد سالم: "إنى أوجه ندائي إلى جماعة تلك الطائفة أن ترجع من حيث بدأت وتنظر من جديد إلى مذهبها ومعتقد إمام المذهب رحمه الله وخاصة فى كتابه الفقه الأكبر فى العقيدة، وتتأمل كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وآله وسلم- وسيرة سلف الأمة الصالح لعل الله أن ينير بصائرهم."(٤)

سوف نقدم كلا من العقائد والأعمال لأهل السنة والجماعة فى ضوء الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالحين، فنقوم بما فى وسعنا وليس بمقدورنا إقناع من يصر

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، الرقم: ٣٨١٦، (ط: دار ابن كثير اليمامة، بيروت) ج:٤، ص: ١٤٨٦.

(٢) أحمد بن حنبل، المسند، الرقم: ١٧١٦١ (ط: مؤسسة قرطبة، مصر) ج: ٤، ص: ١٢٣.

(٣) لقد تم تأليف الكتاب الذي بين أيدينا في العام الخامس والثمانين من القرن العشرين (١٩٨٥م)، ومن هذا المنطلق نقرأ ما كتبه المصنف رحمه الله. (المترجم)

(٤) البريلوية، ص: ٦ (تقديم)

على خطئه، والله -جل مجده- هو الهادى وهو ولي التوفيق وصلى الله تعالى على حبيبه سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

## الإمام أحمد رضا البريلوي مفكرا إسلاميا وإماما لأهل السنة

ولد الإمام أحمد رضا البريلوي فى العاشر من شهر شوال سنة ١٢٧٢هـ الموافق للرابع عشر من شهر يونيو عام ١٨٥٦م فى مدينة بريلي (يو بى - الهند) [1] وكان والده مولانا محمد نقي علي خان القادري وجده مولانا محمد رضا علي خان النقشبندي من كبار علماء أهل السنة وأولياء الله الصالحين.

ظل الإمام أحمد رضا ملتزما باتباع الحبيب المصطفى ﷺ طوال حياته لدرجة أن محبيه والمخالفين له اعترفوا بأنه كان محبا صادقا ومتبعا حقا للحبيب المصطفى ﷺ وليس هذا فحسب بل أدخلت مؤلفاته ومدائحه النبوية حلاوة حب الرسول ﷺ فى القلوب.

### لقب عبد المصطفى

وكان الإمام أحمد رضا رحمه الله يستخدم لنفسه لقب "عبد المصطفى" مع اسمه فى مؤلفاته وخطاباته، وقد تكلم البعض فى جواز هذا اللقب وحرمته؛ لذا كان من المناسب بيان الحكم الشرعي فى هذه المسألة.

تستخدم كلمة العبد فى معنيين تاليين:

(١) العابد (٢) المولى والخادم

فلاتصح إضافة هذه الكلمة بالمعنى الأول إلا إلى الله تبارك وتعالى، فالإضافة بهذا المعنى إلى غير الله تعالى شرك، أما إضافتها بالمعنى الثانى إلى الذين أنعم الله عليهم فهو جائز لا علاقة له بالشرك نظرا لصحة النية وسلامة العقيدة من شائبة الشرك.

---

(١) محمد مسعود أحمد، الدكتور، حياة مولانا أحمد رضا خان (ط: إسلامي كتب خانه، سيالكوت) ص: ٩٣

قال الله تعالى: "وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ."(١)

و قال فى مقام آخر: "قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ."(٢)

يقول الحاج إمداد الله المهاجر المكي: "يمكن استخدام كلمتي عباد الرسول مكان عباد الله لأن النبي ﷺ كان واصلا بالحق -جل جلاله- كما أمر الله -تبارك وتعالى حبيبه -صلي الله عليه وسلم- بقوله: "قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِيْنَ اَسْرَفُوْا" فإن لفظ النبي ﷺ المذكور فى الآية هو المرجع لضمير المتكلم."(٣)

و قال الشيخ أشرف علي التانوي: "و القرينة تدل على أنه ﷺ هو المراد، لأن الله -تبارك وتعالى- يقول فى الجزء الأخير من الآية "لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ." ولو كان الله -تبارك وتعالى- مرجع الضمير لقال: "لاتقنطوا من رحمتى" حتى يكون الجزء الأخير من الآية مطابقا للجزء الأول "يَا عِبَادِيَ "(٤)

هذا وقد استخدم سيدنا أبوهريرة -رضى الله عنه- كلمة العبد بالمعنى الثاني (المولى والخادم) وإليكم تمام الحديث: عن أبى هريرة -رضى الله عنه- قال: خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر ففتح الله علينا فلم نغنم ذهبا ولا ورقا، ولكن غنمنا المتاع والطعام والثياب ثم انطلقنا إلى الوادي ومع رسول الله ﷺ عبدٌ له وهبه له رجل من جذام يدعى رفاعة بن زيد من بني الضبيب فلما نزلنا بالوادي قام عبد رسول الله ﷺ يحُلُّ رحله."(٥) نجد فى هذا الحديث نسبة "العبد" إلى النبي الأكرم ﷺ بكل صراحة بمعني المولى

---

(١) سورة النور: ٣٢

(٢) سورة الزمر: ٥٣

(٣) إمداد الله، المهاجر المكي، الحاج، شمائم إمدادية (ط: قومي پريس، لكناؤ) ص: ١٣٥

(٤) المرجع السابق، ص: ١٣٦

(٥) صحيح الإمام مسلم ، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم الغلول وأنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، الرقم:١٠٥ ، دار إحياء التراث العربي، بيروت. ج: ١، ص: ١٠٨

والخادم.

قال القاضي الشوكاني: "و قد ذهب الجمهور إلى أنه يجوز للسيد أن يُكرِه عبدَه وأمتَه على النكاح."[١]

فى هذه العبارة تم استخدام كلمتَى العبد والأمة بمعنى الخادم والخادمة، وقد ورد استخدامهما فى كتب الفقه كثيرا، ومن هنا علم أن التسمية بعبد النبي وعبد الرسول بمعني المولى والخادم ليس شركا.

قال قائل عن تسمية الإمام أحمد رضا: "سُمّي بمحمد، وأمُّه سمته أمَّن مياں ووالده أحمد مياں، وجده أحمد رضا ولكنه لم يرض بهذه الأسماء فسمى نفسه عبد المصطفى وكان يلتزم باستعماله."[٢]

لا يصح هذا الكلام بوجه من الوجوه بأن الإمام أحمد رضا لم يرض بهذه الأسماء إذ أنه كان يكتب اسمه دائما "أحمد رضا" عند التوقيع إلا أنه كان يبتدئ اسمه بعبد المصطفى حتى يعرف الجميع أنه مولى الحبيب المصطفى ﷺ وخادمه، وإنه لم يكره الاسم الذى اختارته له أمه وما اختاره له ابوه وجده.

## طفولة الإمام التى يُغبط عليها

أخبرنا الدكتور مختار الدين عن ذكاء الإمام أحمد رضا فى طفولته قائلا: "لقد كانت طفولة الإمام أحمد رضا مختلفة تماما عن أطفال آخرين، فقد أكمل قراءة القرآن ولما يتجاوز السنة الرابعة من عمره."[٣]

وقد أخبر الشيخ نسيم البستوي بجانب آخر من جوانب الطفولة الزكية للإمام، إنه يقول: "لقد ألقى كلمة مبسوطة لأول مرة أمام الجمع الغفير عن المولد النبوي الشريف

---

(١) الشوكاني، محمد بن علي، تفسير الفتح القدير (ط: دار المعرفة، بيروت) ج: ٤، ص: ٢٩

(٢) البريلوية، ص: ١٣

(٣) أنوار رضا، ص: ٣٥٥ (مقال للدكتور مختار الدين أحمد)

فى شهر ربيع الأول ولما يتجاوز السادسة من عمره."[1]

و يحدثنا الشيخ ظفر الدين البهاري عن قيام الإمام بإكمال الدراسة فى سن مبكرة، إنه القائل: "لقد أكمل دراسة العلوم الإسلامية والعربية الرائجة آنذاك وكان عمره وقتئذ ثلاث عشرة سنة وعشرة أشهر."[2]

لقد أخبر الإمام أحمد رضا ذات مرة عن نفسه بقوله: "لقد كنت واقفا أمام مسجدى وكان عمرى وقتئذ حوالى ثلاث سنوات إذ ظهر شخص فى زيّ عربي فكلمنى بالعربية فقمت بالردعليه بالعربية الفصحى. ثم بعد ذلك لم يُر ذاك الرجل."[3]

والذين لايرون صحة الكرامات ينظرون إلى مثل هذه الأمور بنظرة الاستنكار[4] وذلك على الرغم من اعترافهم بمولد الإمام أحمد رضا فى بيت علمي[5] فما الذى يثير الاستغراب؟ ما المانع من أن يتمكن طفل من المحادثة بالعربية الفصحى والذى تربي على يد والده وجدِّه العالمين؟! إنهم يثبتون الكرامة والعلم اللدني لواحد من زعمائهم[6] ولكنهم يستبعدون المحادثة العربية من الإمام أحمد رضا فى طفولته، فلايعدُّونها من الكرامات ولا من العلم اللدني.

**تهمة سواد اللون**

قال إحسان إلهي ظهير عن لون الإمام أحمد رضا: "إنه كان أسود اللون، شديد

(١) بستوي، نسيم، مولانا، أعلى حضرت بريلوي، ص: ٣٠

(٢) بهاري، ظفر الدين، مولانا، حيات أعلى حضرت، ص: ٢٢

(٣) المرجع السابق، ج: ١، ص: ٢٢

(٤) البريلوية، ص: ١٩

(٥) المرجع السابق، ص: ١٣

(٦) أثبت محمد إسماعيل الدهلوي (فى كتابه: صراط مستقيم بالفارسية ص: ١٦٥-١٦٦) العلم اللدني علوم الكتاب والسنة لشيخه ومرشده سيد أحمد البريلوي من باب الكرامة والذى لم يسعد بدراسة العلوم الإسلامية والعربية، وكل واحد منهما ممن يثق فيهم مؤلف البريلوية. (محمد عبد الحكيم شرف القادري)

السواد وإن مخالفيه كانوا يعيرونه دائما بسواد وجهه ... وأقر بذلك ابن أخيه."(١)

يخبرنا مولانا حسنين رضا خان (والذي استند إليه مؤلف البريلوية) عن لون عمه الإمام أحمد رضا بقوله: "كان لونه فى بداية عمره ساطعا أسمر إلا أن جهوده المضنية المتواصلة ليل نهار ذهبت بنضارة لونه."(٢) وهذا معلوم أن الجهد المتواصل يذهب بنضارة اللون ولكن أين كتب مولانا حسنين رضا عن عمه فضيلة الإمام أنه كان أسود اللون شديد السواد، أما المخالفون فلا عبرة لكلامهم لأن مخالفتهم تكفى لتحويل الجميل إلى القبيح.

لقد بين الدكتور عابد أحمد علي مشاهدته بقوله: "ما زال منظر جلوس الشيخ أحمد رضا على المنبر ووجهه المبارك فى عينيَّ، لقد كان فضيلته رفيع القامة، اجتمعت الحمرة مع البياض فى وجهه الجميل، وقد ابيضت لحيته كلها إلا أنها كانت تبدو جميلة."(٣)

وكذا كان الأديب والناقد الأردي المشهور نياز فتح بوري قد سعد بزيارة الإمام فعبر عن مشاهدته بقوله: "كان نور علمه ظاهرا من وجهه، كما كانت الهيبة العلمية بارزة من وجهه الجميل على الرغم من تواضعه."(٤)

**تهمة الإصابة بالصداع والحمي بصفة دائمة**

يقول القائل عن الإمام أحمد رضا متهما إياه بالإصابة بالصداع والحمي بصفة دائمة : "و كان يشكو دائما ... الصداع الشديد والحمى."(٥) من أين جاءت كلمة دائما وكلمة الشديد؟ وقد ورد فى ملفوظات الإمام قوله: "الحمد لله أننى مصاب بالحمى

---

(١) المرجع السابق، ص: ١٤

(٢) بستوي، نسيم، أعلى حضرت بريلوي (مكتبه نبويه، لاهور) ص: ٢٠

(٣) عابد أحمد علي، الدكتور، مقالات يوم رضا (أكاديمية رضا، لاهور) ج: ٣، ص: ١٧

(٤) جشتي، مريد أحمد، خيابان رضا (عظيم ببلى كيشنز، لاهور) ص: ١٧ (تقديم: بقلم الدكتور محمد مسعود أحمد)

(٥) البريلوية، ص: ١٤١

والصداع فى أكثر الأحيان."[١]

**تهمة انطفاء العين**

وجَّه الرجل تهمة أخري إلى عين الإمام أحمد رضا: "و كانت عينه اليمنى ... انطفئت لنزول الماء فيها."[٢] هذا الكلام أيضا يخالف الواقع، وحقيقة الأمر أن الإمام أحمد رضا ظل يطالع كتبا صغيرة الخط لمدة شهر كامل سنة ١٣٠٠هـ، وأنه اغتسل يوما نظرا لشدة الحرارة، فأحسَّ بمجرد وقوع الماء على رأسه كأنه نزل شيء من الدماغ إلى العين اليمنى، وعندما أغمض الإمام عينه اليسرى وأبصر بعينه اليمنى أحسّ بحلقة سوداء وسط الشئ المرئي."[٣] وعندئذ قال مولانا السيد إشفاق حسين السهسواني بعد الفحص الطبي: "سوف ينزل الماء بعد عشرين سنة". وقال طبيب آخر: "سينزل بعد أربع سنوات". وكان الإمام أحمد رضا قد قرأ الدعاء النبوي عند رؤية المريض الذى أصيبت عينه بالرمد: "الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاك به وفضلنى على كثير ممن خلق تفضيلا ."[٤] فكان على يقين أنه لن يصيبه الرمد. فانظر أيها القارئ الكريم إلى اليقين المحكم لدى الإمام أحمد رضا، إنه يقول: "كنت واثقا فيما قاله الحبيب المصطفى ﷺ فلم تكن ثقتى لتزول بقول الأطباء، فالحمد لله على أنه مضت أعوام ثلاثون ولم تتزايد الحلقة التى رأيتها فى العين ولن تتزايد بعونه تعالى، وإننى لم أقلل مطالعة الكتب ولن أقلل إن شاء الله تعالى."[٥] هذه هى الحكاية الإيمانية بتمامها إلا أن المخالف كتب على عكس ما رُوي: "و انطفئت

(١) محمد مصطفى رضا خان، ملفوظات (حامد ايند كمبنى، لاهور) ص: ٦٤

(٢) البريلوية، ص: ١٤

(٣) الملفوظات، ص: ٢٠

(٤) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا رأى مبتلى، الرقم: ٣٤٣١، ٣٤٣٢ (ط:دار إحياء التراث العربي، بيروت)، ج: ٥، ص: ٤٩٣

(٥) المرجع السابق، ص: ٢١

(عينه) لنزول الماء فيها."[١]

لا قدر الله إذ لحقت هذه المشكلة بأحد من العلماء هل يطعن فى علمه بناءً على المرض الذى ألمّ بعينه؟ [٢] إن رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الشيخ عبد العزيز بن باز مكفوف البصر، ورئيس هيئة القضاء بالرياض الشيخ محمد إبراهم مكفوف، وأحد الخطباء بالمسجد النبوي الشريف مكفوف[٣] فماذا يقال عنهم؟

## تهمة التشبيه بالأنبياء

لقد وجهت تهمة إلى أهل السنة (المنعوتين بالبريلوية) دون أساس علمي وهى أنهم: "يريدون تشبيه زعيمهم بالأنبياء والرسل، حيث إنهم يعلّمون بدون تعليم الخلق إياهم، بل وأكثر من ذلك يحاولون أن يزيدوه عليهم ويرفعوه فوقهم ... وفعلا هذا ما قصدوه وهذا ما يريدونه ... بأن أحمد رضا لم يكن يحتاج إلى تعليم المتعلمين وتدريس المدرسين، لأن الله نفسه علمه منذ ولادته أو لعله قبل ولادته."[٤]

إنها محاولة فاشلة من مؤلف البريلوية، فقد حاول أن يوهم قراء كتابه أن أهل السنة (الذين وًصفوا بالبريلوية) يريدون تشبيه إمامهم بالأنبياء والرسل ويحاولون أن يرفعوه عليهم والعياذ بالله تعالى، أما الحقيقة الثابتة فى هذا الموضوع فيمكن معرفتها من العقيدة التى بينها مولانا أمجد علي الأعظمي (أحد خلفاء الإمام أحمد رضا) بكل

(١) البريلوية، ص: ١٤

(٢) هنا يطرح السؤال نفسه: هل سواد اللون، أو إصابة العالم الديني بالصداع والحمى بصفة مستمرة، أو انطفاء عينه عيب في علمه؟ هذه الأمور طبعية إلا أنها لم تكن موجودة فى شيخنا هذا، حتى ولو كانت موجودة لما وصفها عالم محقق بالعيوب العلمية التي لاتليق بعالم ديني، إلا أن شدة التعصب دفعت الشيخ إحسان إلهي ظهير إلى أن يتهم فضيلة الإمام بمثل هذه الاتهامات والافتراءات الكاذبة. وفقنا الله لاتباع المناهج العلمية، ورحابة الصدر، وسعة الأفق، وأدب الخلاف فى الخلافات العلمية. (المترجم)

(٣) منظور أحمد شاه، مولانا، حضور الحرمين (مكتبه فريديه، ساهيوال) ص: ٦٣

(٤) البريلوية، ص: ١٧

صراحة بقوله: "لايمكن لولي أن يصل إلى مرتبة النبي مهما ارتفعت مكانته، والذى يرفع غير النبي على النبي أو يسِّويه مع النبي فهو كافر."(١)

أيها القراء الكرام! لاحظوا واقرءوا العقيدة الصحيحة التى بينها مولانا أمجد علي الأعظمي جيدا ثم انظروا فيما حاول مؤلف الكتاب: "البريلوية" نسبته إلى أهل السنة (المنعوتين بالبريلوية) وإمامهم الإمام أحمد رضا رحمه الله.

## تهمة المبالغة في بيان أحوال الإمام

لقد قام مؤلف الكتاب: "البريلوية" بإيهام قرائه أن محبي الإمام أحمد رضا بالغوا مبالغة شديدة فى بيان أحواله، وأرى من المناسب أن أقدم بعض النماذج من كتب المخالفين للإمام أحمد رضا حتى يتضح من بالغ فى بيان أحوال مشايخه وكم بالغ؟

يقول الشيخ فضل حسين البهاري: " مولانا السيد محمد نذير حسين أدامت بركاته على كافة الخلق."(٢)

يقول الشيخ عبد الجبار عمر بوري فى مدح الشيخ نذير حسين الدهلوي:

أحيي طريق الحق بعد مماته * و وجوده من آية الرحمن

أحسن به من فائق أقرانه * ما نِدّه فى عالم الإمكان(٣)

ماذا يبدو من البيتين؟ يبدو كأن نظير الكمالات العالية للنبي ﷺ ممكن، إلا أن نظير كمالات الشيخ نذير حسين الدهلوي ليس فى عالم الإمكان، لأنه آية من آيات الرحمن؟!

و يقول الشيخ طلاء محمد البشاوري مادحا الشيخ نذير حسين الدهلوي بالفارسية ما ترجمته كالآتى:

(١) إنه شيخ أجل، ومصباح الأمل، ورجل صادق العمل، غوث الأرض وغياث الزمان وشيخ ذو صفاء.

---

(١) الأعظمي، أمجد علي، بهار شريعت (ط: شيخ غلام علي، لاهور) ج: ١، ص: ١٥

(٢) البهاري، فضل حسين، الحياة بعد المماة (مكتبه شعيب، كراتشى) ص: ٥٢٣

(٣) المرجع السابق، ص: ٤٩٧

(٢) إنه بدر جلي، صفي وولي، ومن عترة سيدنا علي، وعارف كل خفي وجلي، وهو معدن السخاء.

(٣) إن أحكام الشرع والدين مقصورة على قبولك كما أن البرهان المطلوب مقصور على أصول الهندسة.

(٤) ولا نظير لفكرك فأنت حلّال المشاكل، ولك عقل بعيد الملاحظة فأنت كشاف المدّعى.[١]

لايسلم من فتاوى الشرك مَن يستخدم (من أهل السنة المنعوتين بالبريلوية) الكلمات التالية: غوث الأرض، وغياث الزمان، وعالم كل خفي وجلي، وحلّال المشاكل للأنبياء والأولياء إلا أن استخدام كل هذه الكلمات جائز للشيخ نذير حسين الدهلوي، وأكثر من هذا أن أحكام الشرع والدين مقصورة على قبوله، ولو لم يقبلها الشيخ نذير حسين الدهلوي فماذا سيحدث؟

و أظهر الشيخ صديق حسن القنوجي بلاغته عند قيامه بمدح زوجته "نواب شاه جهان" فيقول: "و أحيت السنن وأماتت البدع ... إلى أن سالت فيوضها العامة لكل حاضر وبادى، وجالت خيول جودها فى كل بادية وواد ... جامعة للفضائل قلما تجتمع فى رجل فضلا عن النسوان، حاوية للفواضل التى قصرت دون تبيانها لسان الترجمان، وهذه ذرة من ميدان مناقبها العلمية."[٢]

أيها القراء الكرام! الذى لايعرف ما هى المبالغة؟ فليقرأ العبارة المذكورة أعلاه فإنه سوف يعرف حقيقة المبالغة، واقرؤا ما قيل عن الشيخ صديق حسن القنوجي، فقد تم الثناء عليه بما يلى: "تمكن من أعنة البيان ما لم يتمكن عليه الأعيان، فجاء فى عصره عديم النظير فيما يكون وكان."[٣]

---

(١) المرجع السابق، ص: ٤٧٤ - ٤٧٩

(٢) القنوجي، صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج: ٣، ص: ٢٨٦ - ٢٨٧

(٣) المرجع السابق، ج: ٣، ص: ٢٩١ (الخاتمة بقلم الشيخ عبد البارى السهسواني)

و مدحه الشيخ عبد البارى السهسواني قائلا:

هو حجة الله قاهرة * هو بيننا أعجوبة الدهر

هو آية فى الخلق ظاهرة * أنواره أربت على الفجر

و الشيخ عبد البارى على الرغم من قوله هذا يصرح قائلا: "و ثنائى هذا عليه ليس من المبالغة فى شىء."(١)

## قوة الذاكرة لفضيلة الإمام

أخبرنا الشيخ نسيم البستوي عن قوة الذاكرة للإمام أحمد رضا قائلا: "يعلم زوّار الإمام أحمد رضا قوة ذاكرته جيدا، وكان كل من يطالع كتبه يستغرب من قوة ذاكرته واستحضاره العلمي، فقد حفظ القرآن الكريم فى شهر واحد فقط."(٢)

لقد قام فضيلة الإمام بمطالعة مجلدين للفتاوى الحديثية ثم رجّعهما إلى مولانا وصى أحمد المحدث السورتي، وعندما عرض عليه المحدث السورتي أن يأخذ المزيد من الوقت لمطالعة الكتاب ثم يرجِّعه إليه، عندئذ قام الإمام بالرد عليه قائلا: "أما عبارة الكتاب فإنه يمكننى استحضارها وكتابتها حيثما شئت، أما مفهومها فمدخر فى الذاكرة طوال العمر."(٣)

لقد تشرف فضيلة الإمام بالسفر إلى الحرمين الشريفين للمرة الثانية عام ١٣٢٣هـ فقام فضيلته خلال إقامته بمكة المكرمة بإملاء كتاب عظيم باسم "الدولة المكية" فى ثمان ساعات متواصلة (٤) وذلك على الرغم من عدم تواجد الكتب معه، وكان فضيلة الإمام وقتئذ مصابا بالحمى إلا أنه أثبت موقفه من علوم الحبيب المصطفى ﷺ بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وأقوال الائمة مع أنه كان فضيلته وقتئذ على أهبة الاستعداد للسفر

---

(١) المرجع السابق، ج: ٣، ص: ٢٩٤ - ٢٩٥

(٢) بستوي، نسيم أحمد، أعلى حضرت بريلوي، ص: ١٠١-١٠٢

(٣) المرجع السابق، ص: ٨٢

(٤) أحمد رضا، الإمام، الدولة المكية (ط: مكتبة ايشيق، التركيا) ص: ١٥١

إلى المدينة المنورة.[(١)]

و يظهر من مطالعة كتبه أن الله -تبارك وتعالى- كان قد أكرمه بقوة الاستحضار والذاكرة القوية التى تحير العقول، إلا أن النظر إلى هذا الأمر من وراء نظارة العصبية يأتى بالانطباع التالى: "كان غائب الدماغ سيئ الذاكرة نسّاءً حتى قيل عنه، والقائل تلميذه ومريده: "ومن عادات البريلوي أنه كان يكتب ويضع نظارته على عينيه عند الكتابة والقراءة وفى أوقات الفراغ كان يرفعها من عينيه ويتركها على الجبين، فمرة حضره أشخاص ... أثناء كتابته فرفع النظارة ووضعها على ناصيته كالعادة ثم اشتغل معهم بالحديث، ولما فرغ منهم أراد أن يكتب ففتش عن النظارة فلم يجدها ونسي أنها على جبينه فتحير وتعطل وفجأة مسح وجهه بيده فنزلت النظارة على الأنف وتذكر أنها كانت على الجبين."[(٢)]

و حقيقة الأمر أن الإنسان الغارق فى التفكير العميق قد لايتنبه إلى الأشياء الموجودة على مقربة منه، فقد روى عن الإمام مسلم أنه كان مشغولا فى البحث عن حديث فأكل كمية كبيرة من التمر دون انتباه فكان هذا الأكل سببا لرحيله إلى دار الآخرة، ومن هنا فإن الاستدلال بعدم انتباه الإمام -عند البحث فى المسائل العلمية الدقيقة إلى النظارة- على غلبة النسيان بصفة مسمرة أمر غير معقول ولايؤيده العقل السليم.

### قوة الإيمان لدي فضيلة الإمام

لقد ورد فى الحديث النبوي الشريف: "قال النبي ﷺ "من رأى صاحب بلاء فقال: "الحمد لله الذي عافانى مما ابتلاك به وفضّلنى على كثير ممن خلق تفضيلا." إلا عوفي من البلاء كائنا ما كان ما عاش."[(٣)]

و كان الإمام أحمد رضا قد قرأ هذا الدعاء عند رؤية الكثيرين من مرضى الطاعون،

---

(١) المرجع السابق، ص: ٩

(٢) البريلوية، ص: ١٤

(٣) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا رأى مبتلى، الرقم: ٣٤٣١، ٣٤٣٢، ج: ٥، ص: ٤٩٣

وكان على يقين أنه لن يلحقه هذا المرض ببركة قراءة الدعاء المذكور أعلاه، وإنه ذات مرة أكل كبابا من لحم بقرة، والذى كان لايتناسب مع طبعه طبّيا إلا أن فضيلة الإمام ﷺ لم يرفض أكل الكباب جبرا لخاطر المستضيف كما أنه لم يطلب من صاحب البيت أن يأتى له بشئ آخر وأكل ما قدّم له، فتورّمت لثتاه لدرجة أنه عجز عن الكلام وظهرت وراء أذنه غُدَّة كعلامة للطاعون، كما أصيب فضيلة الإمام بحُمّى شديدة، وكانت مدينة بريلى وقتئذ مصابة بالطاعون، ولما تم استدعاء الطبيب فإنه قال بعد الفحص الطبي: "هذا هو الطاعون." وكان الإمام أحمد رضا على اطمئنان ويقين أنه ليس بالطاعون. وعندما ازداد قلقه فى الجزء الأخير من الليل أقبل فضيلة الإمام يناجى ربَّه بقوله: "اللهم صدِّق الحبيب وكذّب الطبيب." فسمع فضيلة الإمام همسة فى أذنه فى هذه اللحظات المستجابة، كأنه قال له قائل: "استخدم السواك والفلفل الأسود." وإنه عند استخدام هذين الشيئين تقيّأ دما وعوفى الإمام من المرض، فأرسل فضيلته إلى الطبيب رسالة قائلا: "لقد ذهب طاعونك المزعوم."

## غيرته فى حب الرسول ﷺ

لقد أكرم الإمام أحمد رضا -قدس سره- بالحب لله -تبارك وتعالى- وحب حبيبه ﷺ، والحب عاطفة لطيفة لاتقبل أدنى إساءة للحبيب، فلننظر كلمات الإمام أحمد رضا التى كتبها فى وصاياه معبرا عن حب الله تعالى وحب رسوله ﷺ قائلا: "ابتعدوا عمن تجدوا منه أدنى إساءة لله تعالى ورسوله ﷺ حتى ولو كان ذلك المسئ حبيبا إليكم، والذى تجدوا منه أدنى إساءة للرسول ﷺ أخرجوه من قلوبكم حتى ولو كان ذلك الرجل شيخًا معظمًا لديكم."[1]

يعلق الأستاذ الدكتور محمد مسعود أحمد على ما قاله فضيلة الإمام بقوله: "لا شك أن الإمام أحمد رضا انتقد بعضا من كتابات معارضيه، وكانت لهجته تشتد أحيانا، إلا

(١) حسنين رضا خان، مولانا وصايا شريف (ط: مكتبه أشرفيه، مريدكي) ص: ١٩

أنها لم تتجاوز آداب الخلاف، وكان ﷺ يدافع عن عِرض الرسول ﷺ بينما كان مخالفوه يدافعون عن عِرض أسلافهم، شتان بين هدف الإمام ومخالفيه."(١)

تحدث الأستاذ الدكتور محمد مسعود أحمد عن فضيلة الإمام فى أسلوب إيجابي إلا أن المخالف قام بتحريف الكلام وقدمه بشكل سلبي مذموم، فإنه يصوّر أن الإمام كان: "سريع الانفعال، شديد الغضب، طويل اللسان."(٢)

نعترف أن فضيلة الإمام كان غيورا فى أمر الأدب تجاه الرب -جل جلاله- والرسول ﷺ وهنا يطرح السؤال نفسه: "على من كان الإمام شديدا؟" فالإجابة تتلخص فى أن الإمام كان شديدا على المسيئين لله -جل جلاله- ورسوله ﷺ، إلا أنه كان رأفة مجسدة لأهل الإيمان وأصحاب الحب لله تعالى ورسوله ﷺ ولاندري من أين جاء المفتري بالوصفين التاليين: "سريع الانفعال، طويل اللسان." وهذا هو اختراعه الذى لا صلة له بالحقيقة والصواب. وأنه لم يكتف بهذا القدر من التحريف بل تجاوز إلى أن يقول عن الإمام أنه كان: "لعانا، سبابا، فاحشا."(٣)

هذا تحريف صريح وتلبيس قبيح، لا علاقة لهذه الكلمات بما قبلها من العبارة ولا بما بعدها، تلك الكلمات التى استدل بها الرجل، بل هذا كله اختراع منه، وقد حاول أن يظهر لقراء كتابه أنه نقل هذا الكلام من مصدر موثوق معنيٍّ بالإمام أحمد رضا، إلا أنه لا مصدر لهذا الكلام، وهذا الأسلوب يخالف الأمانة العلمية تماما.

### الحذر والاحتياط

يعترف مؤيدو الإمام أحمد رضا ومخالفوه بتمكنه من الإفتاء واطلاعه على الجزئيات الفقهية، يقول الشيخ أبو الحسن علي الندوي: "يندر نظيره فى عصره فى

(١) محمد مسعود أحمد، الأستاد، فاضل بريلوي علماء حجاز كى نظر مين (ط: مركزي مجلس رضا، لاهور) ص: ١٩٩، ٢٠٠

(٢) البريلوية، ص: ١٥

(٣) المرجع السابق، ص: ١٥

الاطلاع على الفقه الحنفي وجزئياته، يشهد بذلك مجموع فتاواه وكتابه: كفل الفقيه الفاهم فى أحكام قرطاس الدراهم."[١]

لقد كان الإمام أحمد رضا المطلع على جزئيات الفقه الحنفي يسلك سبيل الاحتياط فى أمر التكفير، وعن هذا الأمر تحدث الأستاذ عبد النبي كوكب قائلا: "فى أي أسلوب تحدثتُ عن خطورة فتوى التكفير وعن احتياط الإمام أحمد رضا وإحساسه بالمسئولية تجاه التكفير فقد كتبتُ فى التقديم لمقالات رضا (ص: ١٢) بصراحة أن الإمام ما كفَّر بعضا من علماء ديوبند إلا بناءً على بعض العبارات التى جاءوا بها، وكان هذا التكفير بعد التأكد من أنها عبارات مؤدية إلى الكفر فعلا عند مفتى الشرع ولم يكن فيها المجال للتأويل، ثم بينت فى التقديم نفسه (ص: ١٣) أن الإمام أحمد رضا كان يعرف خطورة التكفير فكان يسلك سبيل الاحتياط حتى أنه أظهر موقفه من التكفير بعبارات من تأليفه: "سبحان السبوح" وكان يرى أنه لايتم التكفير إلا إذا لم يبق احتمال واحد للحكم بالإسلام ... وقلت: ما أصدر الإمام أحمد رضا الحكم بالتكفير على بعض العبارات لعلماء ديوبند إلا بالنية الصالحة والأمانة الشرعية إلا أنه كان مدفوعا إلى هذا الأمر بحكم الشريعة لأنه كان يرى أن تلك العبارات لم تكن صالحة للتأويل."[٢]

هذا ما قاله الأستاذ عبد النبي كوكب إلا أن الناقد المتحيز استدل بقوله هذا على ما هو برئ منه، إنه يقول: "إن الموالين له والمناصرين لمعتقداته وأفكاره يضطرون إلى القول: "إنه كان قاسيا فظا على المخالفين ولم يكن يراعى الاحتياط الشرعي فى ذلك."[٣]

## اهتمام فضيلة الإمام باتباع السنة

يعرف المطلعون على حياة الإمام أحمد رضا مدى اهتمامه البالغ وشغفه بالسنة

(١) اللكنوي، عبد الحي، العلامة، نزهة الخواطر، ج: ٨، ص: ٤١ (التكملة للشيخ أبى الحسن علي الندوي)

(٢) قاضى، عبد النبي كوكب، ماهنامه رضاء مصطفى (جمادى الأولى ١٣٩٦هـ) ص: ٩-١١

(٣) البريلوية، ص: ١٥ (نقلا عن مقالات يوم رضا، ص: ٢٠)

المطهرة، ويمكننا أن نعرف نزعته هذه بجعل أعماله اليومية فى ميزان السنة النبوية فنجده مطبوعا على اتباع السنة حتى فى أمور طبيعية، وقد كان فضيلته يصاب بالحمى فى أكثر الأحيان، فكان هذا الأمر خارجا عن إرادته إلا أنه بحث فى هذا الأمر الطبعي أيضا جانبا من جوانب الاتباع، إنه يقول: "إن الصداع والحُمّى من الأمراض التى كانت تلازم الأنبياء ومن هنا قام أحد الأولياء يصلي النوافل طوال الليلة شكرا لله تعالى وقال: "الحمد لله الذى وهبني مرضا كان يلازم الأنبياء." كل مرض يؤلم موضعا معيَّنا من الجسد يكون كفارة لذلك الموضع من الجسد إلا أن مرض الحمى يسري فى الجسد كله فتزول به الذنوب من الجسد كله، والحمد لله تلازمنى الحرارة والصداع فى أغلب الأحيان."[1]

هذا هو اهتمام الإمام بالسنة إلا أن كاتبا متحيزا يقدِّم هذا الكلام بأسلوب آخر فيه التحريف، وانظروا هذا التحريف بأنفسكم أيها القراء الكرام إنه يقول عن فضيلة الإمام المتَّبِع لسنة خير الأنام عليه أفضل الصلاة وأتم السلام: "هذا وهو نفسه لم يكن يرضى بشأن أقل من شأن الأنبياء حتى أنه قال مرة لأتباعه ومريديه وهو يشكو من صداعه وحماه: "إن هذه الأمراض مباركة، وكانت تلازم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فالحمد لله لازمتنى كما لازمتهم."[2]

هل لاحظتم أيها القراء الكرام أن فضيلة الإمام يشكر الله على الصداع والحمى لأنهما من الأمراض التى كانت تلازم الأنبياء، وكل هذا من باب الاتباع للحبيب المصطفى ﷺ والرضى بالقضاء ولا علاقة له بالاستعلاء. وإذا أردتم مشاهدة السعى لمماثلة الأنبياء فاقرءوا تقوية الإيمان حيث يقول مؤلفه: "الأولياء، والأنبياء، وابن الإمام، والشيخ المرشد، والشهيد وجميع العباد المقربين بنو آدم وعباد الله المتواضعون وهم إخواننا، إلا أن الله تعالى أكرمهم بالعز والكرامة فهم إخواننا الكبار ونحن إخوانهم الصغار ونحن

---

(١) محمد مصطفى رضا خان، الملفوظ، ص: ٦٤ (ملخصا)

(٢) البريلوية، ص: ١٧

مأمورون بطاعتهم."(١)

هذا هو إدعاء المماثلة بالأنبياء حيث يقول الرجل عن الأنبياء: إنهم إخوة كبار ونحن إخوتهم الصغار، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

كان الإمام أحمد رضا بارعا فى استخراج التواريخ بحساب الجمّل وإن أغلب أسماء كتبه تدل على موضوع الكتاب وعلى عام التأليف دون أي نقص فى العبارة، لقد استخرج الإمام عام ولادته ١٢٧٢هـ بحساب الجمل من الآية التالية: "أُولئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ."(٢)

و كان فضيلة الإمام -من باب التحدث بنعمة الله تعالى- يقول: "لو شُقَّ قلبى وحوّل إلى جزئين فإنكم ستجدون مكتوبا فى الجزء الأول لا إله إلا الله وفى الجزء الثانى محمد رسول الله." وإنه بفضل الله تعالى غلب دائما على كل منحرف عن الدين، فكأن الربَّ الكريم قد أيّده بروح القدس. (٣)

هذا وقد وصف أعداء فضيلة الإمام قيامه باستخراج العام الذى ولد فيه (١٢٧٢هـ) من الآية القرآنية بمثابة التشبه بالأنبياء، يقول قائل عن الإمام أحمد رضا: "و على ذلك كان يقول: "إن تاريخ ولادتى يستخرج من قول الله عزَّوجل والذى ينطبق عليّ."(٤)

هذا هو الإكراه فى مجال العلم، ما هى صلة الدليل بالدعوى؟ لقد استخرج الإمام عام ولادته من الآية فوُصف الإمام بالذى يسعى للتشبُّه بالأنبياء معاذ الله ثم معاذ الله.

## من هو المعصوم؟

يقول مولانا أمجد علي الأعظمي -أحد خلفاء الإمام أحمد رضا- مبينا العقائد المطلوبة عن النبوة: "لا بد أن يكون النبي معصوما، وإن العصمة من خواص النبي

---

(١) الدهلوي، محمد إسماعيل، تقوية الإيمان (ط: أخبار محمدي، دهلي) ص: ٧٤

(٢) سورة المجادلة: ٢٢

(٣) بهاري، ظفر الدين، حيات أعلى حضرت، ج: ١، ص: ١

(٤) البريلوية، ص: ١٧، ١٨

والمَلَك ولا معصوم سواهما، واعتقاد العصمة فى أئمة أهل البيت ضلال وانحراف عن الدين. ومعنى عصمة الأنبياء أن وعد الحفظ الإلهي شملهم، الأمر الذى بسببه يصبح صدور الذنب من الأنبياء محالا شرعا، وأما الأئمة والأولياء الكبار فإن الله تعالى يحفظهم فلايصدر منهم ذنب، ولو صدر منهم فإنه ليس بمحال شرعا.

و خلاصة الكلام: إن الأنبياء والملائكة معصومون، أما الأولياء فمحفوظون، وقد كتب فى كل من حيات أعلى حضرت، ومقدمة المجلد الثانى من الفتاوى الرضوية (طبعة فيصل آباد) وأنوار رضا أن الإمام أحمد رضا كان فى رعاية الله تعالى محفوظا عن الخطأ، إلا أن القلم المخالف للإمام عند الاقتباس من الكتب المذكورة أعلاه ترجم الحفظ الإلهي بالعصمة، مع أنه لم يذهب أحد من الكُتّاب إلى إثبات العصمة لفضيلة الإمام، وقد أظهر الناقد المتحيز أن محبى الإمام أحمد رضا يريدون أن يجعلوه فى مقام النبوة بإثبات العصمة له، فجاء الرجل بالاقتباس من "حيات أعلى حضرت" وأضاف إليه الجملة التالية من عنده: "يعنى أن العصمة كانت حاصلة له."[1]

عن عبد الله بن عمرو -رضى الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: "لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به."[2]

هذا وقد ورد فى الحديث القدسي: "ما تقرب إليَّ عبدى بشئ أحب إليَّ مما افترضت عليه وما يزال عبدى يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورِجله التى يمشى بها."[3]

---

(١) البريلوية، ص: ١٨

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة، ١/ ١٢، الرقم:١٥، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى، ١/١٨٨،الرقم:٢٠٩، والحكيم الترمذي في نوادرالأصول، ٤/ ١٦٤، والخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح، ١/ ٥٩، الرقم:١٦٧، والديلمي في مسند الفردوس، ٥/ ١٥٣، الرقم:٧٧٩١، والعسقلاني في فتح الباري، ١٣/ ٢٨٩.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، كتاب الرقاق، باب التواضع، الرقم: ٦١٣٧، دار ابن=

و قال الشيخ محمد إسماعيل الدهلوي معلقا على هذا الحديث: "و فى رواية: ولسانه الذى يتكلم به." (١)

لقد قال المحدث الجليل السيد الشريف محمد الكجوجوي عن الإمام أحمد رضا: "كان فضيلته فى حقيقة الأمر فى يد الشيخ عبد القادر الجيلاني كالقلم فى يد الكاتب، كما كان فضيلة الشيخ عبد القادر الجيلاني فى يد سيدنا رسول الله ﷺ كالقلم فى يد الكاتب، ومن لايعلم أنه كان الرسول الكريم ﷺ فى رحاب ربه فى مقام: "وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى."(٢)

فهذه العبارة إن دلت على شيء فإنما تدل على أن الإمام أحمد رضا كان متبعا للإمام الزاهد القدوة الشيخ عبد القادر الجيلاني، وكان الإمام الجيلاني متبعا للنبي الكريم ﷺ وكان النبي ﷺ متصفا بما ورد فى القرآن الكريم: "وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى."(٣) إلا أنه يُرى للناظر إلى الإمام أحمد رضا من وراء نظارة المخالفة أنه يشبِّه نفسه بالأنبياء والعياذ بالله تعالى من ذلك.

كتب شير محمد أعوان رحمه الله عن الإمام أحمد رضا: "لقد قام بإنجازات جليلة فى حياة قصيرة والتي تدل على أنه كان وجوده آية من آيات الله المحكمة."(٤)

فكانت هذه العبارة هى الأخرى مفهومة فى غير ما وضعت له (٥) فإنه من الواضح أنه لم تكن الآية القرآنية مقصودة هنا من كلمة الآية، بل تم استخدام هذه الكلمة فى معناها اللغوي، وكل مطلع على حياة الإمام أحمد رضا سوف يوافق رأى الأستاذ شير محمد

---

=كثير اليمامة، بيروت. ج: ٥، ص: ٢٣٨٤.

(١) الدهلوي، محمد إسماعيل، صراط مستقيم بالفارسية (ط: المكتبة السلفية، لاهور) ص: ١٣

(٢) أنوار رضا، ص: ٢٧٠ (مقال للشيخ السيد محمد المحدث الكجوجوي رحمه الله) سورة النجم: ٣،٤

(٣) سورة النجم: ٣

(٤) أنوار رضا، ص: ١٠٠ (مقال للأستاذ شير محمد أعوان رحمه الله)

(٥) البريلوية، ص: ١٩

أعوان رحمه الله.

لقد قال الشيخ محمد إسماعيل الدهلوي عن الإمام عبد العزيز المحدث الدهلوي: "سيد العلماء، وسند الأولياء، وحجة الله على العالمين، ووارث الأنبياء والمرسلين."(١)

فإذا كان استخدام الألقاب المذكورة آنفا بما فيها "حجة الله على العالمين" للإمام عبد العزيز الدهلوي مقبولا عند مؤلف الكتاب: "البريلوية" فلماذا لايمكن وصف الإمام أحمد رضا بآية من آيات الله؟

**مظهر الصحابة**

كانت حياة الصحابة الكرام -رضى الله عنهم أجمعين- عبارة عن الحب والطاعة لله سبحانه تعالى وحبيبه المكرم ﷺ وكانوا يسعون من أجل الحفاظ على سنن الحبيب المصطفى ﷺ والعمل بها، وكانوا دائما فى استعداد تام للتضحية بكل ما يملكونه للدفاع عن عِرض سيدنا رسول الله ﷺ.

و يعترف كل منصف بعد الإطلاع على الحياة المباركة للإمام أحمد رضا قدس سره العزيز أنه كان مظهرا جميلا لتقوى الصحابة -رضى الله عنهم- وحبهم للحبيب المصطفى ﷺ.

أخبرنا الشيخ حسنين رضا عن زهد الإمام أحمد رضا وتقواه بقوله: "سمعت بعض المشايخ أنهم قالوا: وجدنا حلاوة زيارة الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين- بالاطلاع على نزعة اتباع السنة عند الإمام أحمد رضا، يعنى أن فضيلة الإمام كان مظهرا جميلا لزهد الصحابة -رضى الله عنهم- وتقواهم."(٢)

عند الطبعة الأولى لوصايا الإمام أحمد رضا كان الخطاط المكلف بالكتابة قد حرَّف الكلام نظرا لانتمائه إلى مخالفى الإمام أحمد رضا فطبعت العبارة المحرَّفة كما

(١) الدهلوي، محمد إسماعيل، صراط مستقيم، ص: ١٦٥-١٦٦

(٢) مصباحي، يسين أختر، ضميمه إيمان افروز وصايا (ط: مكتبه أشرفيه مريدكي) ص: ٣٤

شاء هذا الرجل، وعندما اطلع مرتب هذه الوصايا الشيخ حسنين رضا على هذا التحريف بيَّن فضيلته موقفه من الوصايا الشريفة قائلا: "طبعت هذه الوصايا نظرا لأشغالي الكثيرة دون التنبُّه على هذا التحريف." ثم قام بتصحيح الخطأ وأعلن توبته على هذا الخطأ الذي لم يكن عن عمد، وطالب الجميعَ بتصحيح العبارة الخاطئة في الصفحة الرابعة والعشرين.(١)

و هكذا تم إصلاح ما فسد، إذا فما الحاجة إلى قول القائل: "و على ذلك قال أحد المهينين لأصحاب رسول الله ﷺ: "إن زيارة البريلوي قللت اشتياقنا إلى زيارة أصحاب النبي ﷺ."(٢)

## موقف الإمام أحمد رضا من القاديانية

وُجهت إلى الإمام أحمد رضا تُهَم وافتراءات كاذبة، ولم يفكر الكذابون في أن ظلمة الشكوك والشبهات لاتبقى كثيرا، وإنه عند زوال هذه الظلمة سوف تظهر شخصية الإمام أحمد رضا أكثر ارتفاعا وعظمة مما سبق، لقد وجهت إليه التهمة التالية: "و الجدير بالذكر أن المدرس الذي كان يدرسه مرزا غلام قارد بيك كان أخا للمرزا غلام أحمد المتنبئ القادياني."(٣) وقيل كذالك: اختار الإنجليز للتفريق بين المسلمين غلام أحمد القادياني والبريلوي.(٤)

هناك أمور تجدر بالاهتمام:

(أ) لنا حق أن نطلب ما يثبت أن معلم الإمام أحمد رضا مرزا غلام قادر بيك رحمه الله كان شقيقا للمتنبئ القادياني.

(ب) يظهر من كلمة : "كان يدرِّسه" أن مرزا غلام قادر بيك رحمه الله قد قام بالتدريس

(١) المرجع السابق، ص: ٣٠

(٢) البريلوية، ص: ١٩

(٣) المرجع السابق، ص: ١٩

(٤) المرجع السابق، ص ٣٨

للإمام بصفة مستمرة بينما درس عليه فضيلة الإمام بعض الكتب فى المرحلة الابتدائية من فترته الدراسية، وعن هذا الأمر يحدثنا مولانا محمد ظفر الدين البهاري قائلا: "بدأ الإمام دراسة ميزان منشعب وغيره على يد مرزا غلام قادر بيك."(١)

(جـ) عندما أكمل فضيلة الإمام دراسة الكتب الابتدائية أقدم على تكميل جميع الكتب الدينية على يد والده مولانا محمد نقي علي خان.(٢)

مما هو جدير بالذكر أنه يوجد تشابه فى اسم الشقيق للمتبنئ القادياني واسم الأستاذ لفضيلة الإمام أحمد رضا، إلا أنهما شخصيتان متغايرتان تماما. لقد كان الأخ الشقيق للمتنبئ القادياني مرزا غلام قادر بيك مديرا معزولا لنقطة الشرطة بموضع اسمه دنيا نغار (Dunya Nagar)(٣) مات هذا الرجل عام ١٨٨٣م وكان عمره وقتئذ خمسة وخمسين سنة.(٤) كان أولهما قاديانيا والآخر عالما دينيا من علماء الإسلام.

هذا وكان معلم الإمام أحمد رضا مرزا غلام قادر بيك قد أقام لفترة يسيرة فى مدينة بريلي ثم رحل إلى مدينة كلكلته وكان يراسل فضيلة الإمام أحمد رضا من هناك ويستفتيه فى أمور الدين. يحدثنا عنه مولانا ظفر الدين البهاري بقوله: "لقد سعدت بزيارة المرحوم والمغفور له (مرزا غلام قادر بيك) وكان عمره وقتئذ حوالي ثمانين سنة، كان وجهه شديد البياض، كان يلبس العمامة البيضاء على الدوام، وإنه كلما جاء زائرا إلى تلميذه هذا استقبله فضيلة الإمام بإجلال واهتمام بالغين، لقد أقام مولانا غلام قادر بيك فى كلكته، وكان يرسل إلى فضيلة الإمام كثيرا من الأسئلة عن أمور الدين من هناك والتى هى موجودة فى الفتاوى الرضوية، وقد ألف الإمام أحمد رضا رسالته: "تجلى اليقين بأن

---

(١) المرجع السابق، ص: ٢٠
(٢) البهاري، ظفر الدين، حيات أعلى حضرت، ج: ١، ص: ٣٢
(٣) دلاوي، ابو القاسم رفيق، رئيس قاديان (ط: مجلس تحفظ ختم نبوت، ملتان) ج: ١، ص: ١١
(٤) المرجع السابق، ج: ١، ص: ١٤

نبينا سيد المرسلين" ردا على سؤال بعثه إليه مرزا غلام قادر بيك."(١)

هذا ويوجد فى الصفحة الثامنة من المجلد الثالث للفتاوى الرضوية المطبوع من مدينة مباكفور الهندية استفتاء بعث به مولانا مرزا غلام قادر بيك إلى فضيلة الإمام فى الواحد والعشرين من شهر جمادى الآخرة عام ١٣١٤هـ.

يتأكد القراء الكرام من خلال التفاصيل المذكورة بعاليه أن شقيق المتنبئ القادياني ومعلم الإمام أحمد رضا شخصيتان متغايرتان.

- كان ذاك (شقيق القادياني) مديرا معزولا لنقطة الشرطة وهذا (مدرسُ فضيلة الإمام) مدرسَ العلوم العربية والإسلامية.
- مات هو (شقيق القادياني) فى الخامسة والخمسين من عمره وكان هذا (مدرسُ فضيلة الإمام) على قيد الحياة عندئذ فى الثمانين من عمره.
- مات هو فى عام ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٣م بينما كان هذا على قيد الحياة سنة ١٣١٤هـ / ١٨٩٧م.

من المستحيل أن يموت رجل فى قاديان سنة ١٨٨٣م ويرسل من كلكته بعد ذلك بأربع عشرة سنة استفتاءً إلى مدينة بريلي عام ١٨٩٧م. لقد كتب الأستاذ الدكتور محمد أيوب القادري فى رسالة له: "إنه افتراء محض، فإن مرزا غلام قادر بيك البريلوي شخصية مغايرة أخرى، وسوف أرسل الجواب بالتفصيل."(٢)

و هكذا كتب الأستاذ دوست محمد شاهد من قسم تاريخ الأحمدية بربوة ضمن رسالته الموجهة إلى الأستاذ الدكتور محمد مسعود أحمد: لقد فارق الأخ الأكبر قبل ادعاء المسيحية (١٨٩١م) بسنوات ثمانية عام ١٨٨٢م، وما أقام هو (غلام أحمد القادياني) أو

---

(١) حيات أعلى حضرت، ج: ١، ص: ٣٢

(٢) رسالة موجهة إلى كاتب السطور والتى حررها الدكتور فى: ٣١ مايو ١٩٨٣م، ملحوظة: لقد الأستاذ الدكتور محمد أيوب القادري إلى رحاب ربه إثر حادثة فى ٢٣ نوفيمبر ١٩٨٣م لذا لم يتمكن من إرسال المعلومات المفصلة التى كان قد وعد بها. (المؤلف)

أحد من إخوانه أبدا بمدينة بانس بريلي، أو رائى بريلي أو مدينة كلكته."[١]

## مؤلفات الإمام أحمد رضا في الرد على القاديانية

إنه أمر سوف يعترف به الجميع حتى مخالفوا الإمام أحمد رضا أنه قام بالرد على القاديانية بكثير من الرسائل، وفيما يلى أسماء بعضها:

(١) جزاء الله عدوَّه بإبائه ختم النبوة.

(٢) الجُراز الدياني على المرتد القادياني

(٣) السوء والعقاب على المسيح الكذاب

(٤) قهر الديان على مرتد بقاديان

(٥) المبين ختم النبيين[٢]

و مما تجدر الإشارة إليه أن فضيلة الإمام أحمد رضا ألف الرسالة الثانية ردا على استفتاء ورد عليه فى الثالث من شهر محرم سنة ١٣٤٠هـ، وإنه عاش بعد تأليفه هذا أقل من شهرين، فقد لبى نداء ربه فى الخامس والعشرين من شهر صفر من العام نفسه، وقد طبعت هذه الرسالة القيمة مع المقدمة الموجزة لكاتب السطور من منظمة مجلس رضا المركزي بلاهور. هذا ويمكن الإطلاع على المزيد من فتاوى فضيلة الإمام ضمن كل من

---

(١) أخبرنى بهذا الكلام الدكتور محمد مسعود أحمد ضمن رسالته التى حررها فى ٢٣ ديسمبر ١٩٨٣م. (المؤلف)

(٢) المرجع السابق، ج: ١، ص: ٣٣ لقد طبعت الرسائل الأربعة الأولى من القاهرة عام ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م باسم: "القاديانية." وترجمها إلى العربية كل من مولانا محمد جلال رضا ومولانا منظر الإسلام، وقد طبع هذا الكتاب مع مقدمة علمية قيمة للاستاذ الدكتور سيد أحمد المسير (أستاذ العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين، جامعة الأزهر بالقاهرة) وطبعت الرسالة الخامسة عام ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م باسم: "محمد ﷺ خاتم النبيين." وترجمه إلى اللغة العربية كل من مولانا منظر الإسلام ومولانا نعمان الأعظمي، وقدم للكتاب كل من فضيلة الأستاذ الدكتور طه مصطفي ابو كريشه، والأستاذ الدكتور علي جمعة محمد، والأستاذ الدكتور مصطفي محمد محمود. (المترجم)

أحكام الشريعة، والمعتمد المستند، والفتاوى الرضوية.

لقد قال الأستاذ خالد شبير أحمد على الرغم من انتمائه إلى الديوبندية عن إحدى فتاوى الإمام أحمد رضا معبرا عن مشاعره الصادقة: "يظهر كمال علم الشيخ أحمد رضا من فتواه فى الرد على القاديانية، وفى الوقت نفسه ظهرت دلائل قوية أمام أعيننا على أنه لايمكن أن يتصور أحد من العقلاء أن غلام أحمد القادياني مسلم وله صلة بالإسلام."(١)

و ألقى الأستاذ خالد شبير أحمد مزيدا من الضوء على فتوى الإمام بقوله: "إن هذه الفتوى دليل تاريخي على مقدرته العلمية والبصيرة الفقهية والتى أثبت فضيلته فيها كفر مرزا غلام أحمد القادياني بالدلائل القاهرة من أقواله ودعاويه، وإن هذه الفتوى كنز علمي يجدر أن يفتخر بها المسلمون جميعا."(٢)

و إنه بعد هذا الكلام لايجوز لأحد أن يصف معلم الإمام أحمد رضا مولانا مرزا غلام قادر بيك رحمهما الله رحمة واسعة بأنه كان شقيقا للمتنبئ القادياني.

## موقف الإمام أحمد رضا من الشيعة

لقد قام إمام أهل السنة الإمام أحمد رضا بالرد على الشيعة إلى جانب الفرق الباطلة الأخرى، وينقسم الشيعة عموما إلى طائفتين تاليتين: إحداهما تصدق الخلفاء الثلاثة -رضى الله عنهم- إلا أنها تفضِّل سيدنا علي -كرم الله وجهه- على من سبقه من الخلفاء الثلاثة، وهذه الطائفة تسمى تفضيلية. وثانيهما تكذِّب الخلفاء الثلاثة وتعدُّهم غاصبين والعياذ بالله تعالى، وترى هذه الطائفةُ من الشيعة أن سيدنا علي -رضى الله عنه- خليفة لسيدنا رسول الله ﷺ بلا فصل، وتوجِّه الطعن وتسىء لسيدنا معاوية -رضى الله عنه- وتصرُّ على إيمان أبى طالب.

(١) خالد شبير أحمد، تاريخ محاسبه قاديانيت (ط: قرطاس، فيصل آباد) ص: ٤٥٥

(٢) المرجع السابق، ص: ٤٦٠

## المناظرة مع الشيعي التفضيلي

اتفق الشيعة من بريلي وبدايون وسنبهل ورامفور وغيرها من بعض المدن الهندية بعد التشاور فيما بينهم على مبارزة الإمام أحمد رضا للمناظرة، وقد انتخبوا لهذه المهمة من طرفهم مؤلف "تنسيق النظام فى مسند الإمام" الشيخ محمد حسن السنبهلي، وكان فضيلة الإمام عندئذ يأخذ العلاج من طبيب والذى كان قد قرر أن يعطيه بعض الأدوية التى تأتى بالإسهال من أجل تنقية البطن [١] وقد تآمر الشيعة بالاتفاق مع الطبيب أن يكون يوم المناظرة قبل إعطاء الأدوية المنظِّفة للبطن بيوم واحد، فإنهم توقعوا أن فضيلة الإمام سوف يرفض المناظرة نظرا لحالته الصحِّية أو أن الطبيب سوف يمنعه من الدخول فى حَلبة المناظرة، إلا أن موقف الإمام من المناظرة كان على عكس ما انتظره الشيعة، فقد تهيأ فضيلته للمناظرة على الرغم من محاولة الطبيب إبعاد الإمام عن المناظرة إذ قال فضيلة الإمام بصراحة: "الموت خلال المناظرة أحب إلىَّ من الحياة بالابتعاد عن دفاع الخلفاء الثلاثة."[٢]

لقد كتب فضيلة الإمام فى حالته هذه ثلاثة وعشرين سؤالا وأرسلها إلى الشيخ محمد حسن السنبهلي والذى قال بكامل الأمانة: "إنه لايمكن أن يرد على هذه الأسئلة أحد مع تمسكه بالعقيدة التفضيلية ثم ركب سيارته ورجع إلى بلده، لقد طبع تفصيل هذا الأمر فى "فتح خيبر" (١٣٠٠هـ). قال مولانا ظفر الدين البهاري: "قام فضيلة الإمام بعد هذه الحادثة بكتابة الحاشية على شرح العقائد باسم: "نظم الفرائد" وقام فيه بتأييد أهل السنة والجماعة."[٣]

---

(١) ومازال بعض أطباء الأعشاب يفعلون ذلك فى باكستان والهند لتنظيف المعدة قبل إعطاء الدواء للمريض المصاب- (المترجم)

(٢) بهاري، ظفر الدين، حيات أعلى حضرت، ج: ١، ص: ١٣

(٣) المرجع السابق، ج: ١، ص: ١٣

## حكم الروافض عند فضيلة الإمام

يخبرنا الإمام أحمد رضا عن حكم الروافض فيقول: "إن فضَّل الرافضي أمير المؤمنين عليًا رضي الله عنه على الشيخين -رضى الله تعالى عنهما- فهو مبتدع كما فى الخلاصة والهندية وغيرهما، وإن أنكر إمامتهما أو إمامة أحدهما فقد كفَّره الفقهاء، وبدَّعه المتكلمون وهو الأحوط، وإن زعم الرافضي أن الله ﷻ لا يعلم عن الشئ إلا بعد حدوثه، أو أن القرآن الموجود ناقص حرَّفه الصحابة أو غيرهم، أو أن أمير المؤمنين أو غيره من الأئمة الطاهرين أفضل عند الله من الأنبياء السابقين -صلى الله تعالى عليهم وسلم أجمعين- كما أفصح به رفضة بلادنا ونص عليه مجتهدهم فى عصرنا فهو كافر قطعا وحكمه حكم المرتدين كما فى الهندية عن الظهيرية."(١)

إضافة إلى ذلك يمكن الاطلاع على الصفحات التالية من "أحكام الشريعة" (طبعة مدينة ببلشنك كمبنى، كراتشي) وذلك لمعرفة الحكم الشرعي للروافض: ١٢٣ - ١٢٦ - ١٢٧ - ١٤٦ - ١٧٩ كما يمكننا الاطلاع على المجلد السادس من الفتاوى الرضوية طبعة مباركفور - الهند، والصفحات المعنية بالموضوع كالتالى: ٢٥ - ٣٢ - ٣٥ - ٣٧ - ٩٤ - ١٥٨ - ١٦٩ - ٤٢٩ - ٤٧٧ - ٤٨٤ - ٤٨٦ - ٤٩٠ - ٥٢٧ - ٥٢٨ وهكذا نجد بيان حكم الشيعة فى مجلدات أخرى من الفتاوى الرضوية أيضا.

## تهمة التشيُّع علي فضيلة الإمام

سوف يكون هذا الأمر مبعث حيرة واستغراب لدى المهتمين بالدين والأمانة العلمية وهو أن من ضمن التهم الموجَّهة إلى الإمام أحمد رضا ما يلى: "إنه من أسرة شيعية أظهرت تسننها تقية للإضرار بهم."(٢) وقيل عن فضيلة الإمام أنه : كان من أسرة

---

(١) أنظر: البريلوي، أحمد رضا، الإمام، فتاوى الحرمين برجف ندوة المين (ط: مكتبه ايشق، تركيا) ص: ١٠

(٢) البريلوية، ص: ٢١

شيعية[١] وكان متقنعا بنقاب السنة.[٢]

لاندري لماذا لم يفكر مثير هذه التهمة التى تستحق أن توصف بأكذوبة القرن الخامس عشر الهجري، هل خلت الدنيا من المبصرين؟ والذى يطلع على حكم الشيعة فى الفتاوى الرضوية وغير ذلك من مؤلفات الإمام أحمد رضا ماذا سيكون رأيه عن صدقك وأمانتك أيها المفتري؟ ألم يكن لديك يقين بيوم الدين؟ ماذا سيكون حالك إذا سئلت عن هذه التهمة التى لا أساس لها من الصحة؟ أم لم يكن عندك اليقين بوقوع القيامة؟ لقد استند هذا الادعاء الكاذب إلى الدلائل الواهية التى لايستحسنها العقل السليم، وفيما يلى هذه الدلائل والرد عليها:

## أولا: تهمة التشيع لأسماء آباء الإمام

قيل عن الإمام: "إن أسماء آبائه وأجداده أسماء شيعية لم تكن رائجة فى أهل السنة مثلها، وهذه هى الأسماء: أحمد رضا بن نقي علي بن رضا علي بن كاظم علي."[٣]

نقول: إذا كان الأمر كما قلتَ أيها الرجل فماذا تقول عن زعيم طائفتك نواب صديق حسن خان، وعن والدِه حسن وجدِّه علي الحسنين، وابنيه مير علي خان ومير نور الحسن خان؟ إن شيخ الكل فى طائفة أهل الحديث يحمل اسم نذير حسين الدهلوي، وشيخ من شيوخكم بمدراس اسمه محمد باقر، وشيخ من قنوج اسمه رستم علي بن علي أصغر، وشيخ آخر اسمه غلام حسنين بن المولوي حسين علي، وتجد أسماءهم مع تراجمهم فى المجلد الثالث لأبجد العلوم، وكان اسم المدير لمجلة إشاعة السنة المنتمية إلى أهل الحديث محمد حسين البطالوي، هل كل هؤلاء متشيعون لأن أسماءهم شيعية؟

---

(١) المرجع السابق، ص: ٢١
(٢) المرجع السابق، ص: ٢٤
(٣) المرجع السابق، ص: ٢١

## ثانيا: بسبب نسبة كلمات مسيئة للسيدة عائشة رضي الله عنها إلى الإمام

وقيل عن الإمام أحمد رضا: "إن البريلوي تكلم بكلمات حول فضيلة الصديقة أم المؤمنين عائشة -رضى الله تعالى عنها- لايُتصَّور التَّفَوُّه بها من سُنِّي أبدا."[1]

اللهم سبحانك هذا بهتان عظيم والذى استند إلى الجزء الثالث من مجموعة المدائح النبوية للإمام أحمد رضا. فالديوان الشعري المتداول المعروف للإمام باسم حدائق بخشش[2] يحتوى على جزئين، والذى تم ترتيبه وطبعه فى عام ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م بينما انتقل فضيلة الإمام إلى رحاب ربه فى شهر صفر ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م، وبعد رحيله من دار الفناء إلى دار البقاء قام مولانا محبوب علي اللكنوي سنة ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م بجمع القصائد الأردية المتفرقة التى لم تضف إلى الديوان الأردي فجمعها ورتبها وطبعها باسم حدائق بخشش الجزء الثالث، وكان مرتب الجزء الثالث قد سلَّم مسودة الكتاب لصاحب المطبعة حيث قام الخطاط بمهمة الكتابة فطبع الكتاب وتم تجليده وتوزيعه. وكان الخطاط قد أضاف الأبيات التى كانت عن أم زرع والنساء المشركات إلى مدح السيدة عائشة -رضى الله عنها- عن عمد أو دون قصد، وقد ورد ذكر أم زرع والنسوة المشركات فى كتب الحديث مثل صحيح الإمام مسلم، والجامع الترمذي، والنسائي.

و هنا قد حدثت دون عمد الأخطاء التالية من مولانا محبوب علي خان:

(١) اعتمد على صاحب المطبعة من أجل طباعة الكتاب وإنه نظرا لأشغاله الكثيرة

---

(١) البريلوية، ص: ٢١

(٢) طبع هذا الديوان مترجما إلى اللغة العربية من دار الهداية بالقاهرة عام ١٤٢٢هـ/ ١٩٩٩م باسم: "صفوة المديح فى مدح النبي ﷺ وآل البيت والصحابة والأولياء." وقد ترجمه إلى العربية نثرا الدكتور حازم محمد المحفوظ ثم صاغه الأستاذ الدكتور حسين مجيب المصري رحمه الله نظما. جزاهما الله ألف خير عن فضيلة الإمام وشعره الديني الذي ترجم إلى لغة الضاد. لقد كان الشعر الأردى للإمام أحمد رضا ينشر عبيره فى الأوساط الأدبية الأردية وأصبح الآن بوسع أي عربي أن يتذوق الشعر الأردي للإمام أحمد رضا المترجم إلى اللغة العربية. (المترجم)

لم يراجع الكتاب بنفسه مراجعة دقيقة.

(٢) سمى الكتاب حدائق بخشش الجزء الثالث وكان المطلوب أن يسمى الكتاب باسم آخر غير حدائق بخشش.

(٣) لقد كُتب فى غلاف الكتاب ١٣٢٥ هـ الجزء الثالث من "حدائق بخشش" مع أنه كان ذلك عام ترتيب الجزئين الأولين من "حدائق بخشش" وقد طبعت هذه المجموعة الشعرية فى حياة الإمام، أما الجزء الثالث فقد تم ترتيبه وطبعه عام ١٣٤٢هـ[١] لذا كتبت كلمات الدعاء "رضى الله عنه ورحمه الله تعالى" مع اسمه، ولو كان الجزء الثالث من "حدائق بخشش" قد طبع فى حياة الإمام لما طبعت هذه الكلمات مع اسمه.

(٤) لقد قام مولانا محبوب علي خان بتريب هذه المجموعة وطبعها دون مراجعة مولانا محمد مصطفى رضا خان ابن فضيلة الإمام أو ابن أخيه مولانا حسنين رضا خان رحمهما الله وموافقتهما.

(٥) لو كان مولانا محبوب علي خان قد أعلن عن براءته وبراءة الإمام أحمد رضا عما حدث دونما عمد فى طبع الجزء الثالث من "حدائق بخشش" بعد طبعه مباشرة لما انتهز أصحاب النوايا الفاسدة هذه الفرصة لتوجيه التهم والافتراءات إلى الإمام أحمد رضا، وكان مولانا محبوب علي خان يظن أن أهل العلم سوف يعرفون بأنفسهم أن هذه الأبيات قد طبعت فى غير موضعها خطأ، وسوف يتم إصلاح ما فسد فى الطبعة الثانية.

لقد قال العلامة الشريف محمد المدني ابن المحدث الأعظم بعموم الهند العلامة الشريف محمد المحدث الكجوجوي عن التساهل الذى صدر من مولانا محبوب علي خان: "لا شك فى إخلاص مولانا محبوب علي خان، كما أننى لست مستعدا لكى أصدق أنه صدر عمل مولانا محبوب علي خان عن عداء للإمام أحمد رضا، ولايمكننى أن أحيل نفسى عن إظهار حقيقة مرَّة أنه صدر من مولانا محبوب علي خان خطأ عظيم وخطأ كبير

(١) محمد محبوب علي خان، مولانا، حدائق بخشش (ط: نابهه ستيم بريس) ص: ١٠

أنه رتب فطبع الجزء الثالث من حدائق بخشش دون استشارة أحد، الأمر الذى لا يمكّننا من إنقاذ الإمام أحمد رضا من تهمة الإساءة لأم المؤمنين السيدة عائشة -رضى الله عنها- حتى ولو ألقينا المسؤلية على عاتق مولانا محبوب علي خان وحده والذى هو المسؤل عن هذا الأمر الخطير والإمام أحمد رضا بريءٌ منه، أيها القراء الكرام! ما هو خطأ الإمام أحمد رضا فى هذا الأمر عن عمد كان أو دونما عمد وإرادة.[1]

إنه بعد طبع الجزء الثالث من "حدائق بخشش" بفترة طويلة أذيعت ونسبت تهمة إلى مولانا محبوب علي خان من طرف علماء ديوبند أنه ارتكب إساءة لأم المؤمنين السيدة عائشة الصديقة -رضى الله عنها- لذا يجب إخراجه وطرده من المسجد الجامع بمدينة بومبائى. وعندما نسبت هذه التهمة إلى مولانا محبوب علي خان لم تأخذه العزة بالإثم، بل فعل ما يليق بالمسلم الحق إذ أنه قام بطبع إعلان التوبة فى شتى الجرائد والمجلات عن خطئه الذي صدر منه دونما علم وعمد.

هذا ولم تهدأ نار الفتنة على الرغم من إعلان التوبة من مولانا محبوب علي خان، بل قيل عن هذه التوبة: إنها غير مقبولة، إلا أن تسعة وعشرين ومائة عالم من علماء أهل السنة (المنعوتين بالبريلوية) أصدروا الفتاوى للإيذان بأن توبة مولانا محبوب علي خان مقبولة، لأنه لم ينظم الأبيات المسيئة لأم المؤمنين السيدة عائشة الصديقة -رضى الله عنها- وخطؤه الوحيد يتمثل فى أنه لم يقم بمراجعة الجزء الثالث من "حدائق بخشش" قبل طبعه، لقد أعلن عن توبته عن هذا الذنب الذى صدر عنه دون أي عمد وإرادة وعلم، مع الأخذ في الاعتبار أن باب التوبة مفتوح، فما وجه القول: "إن توبة مولانا محبوب علي خان غير مقبولة." وقد طبعت فتاوى علماء أهل السنة بعنوان: "فيصله مقدسه" سنة ١٣٧٥هـ وانطفأت نار الفتنة، وقد طبعت هذه الفتاوى مرة أخرى من طرف مجلس رضا، لاهور، وللمزيد من التفصيلات يمكن الإطلاع على هذا الكتاب.

---

(١) أنوار رضا، ص: ٢١ (مقال للعلامة الشريف محمد المدني رحمه الله)

و إنه يستلفت انتباهنا أنه تم ترتيب الجزء الثالث من حدائق بخشش وطبعه بعد رحيل الإمام أحمد رضا فكيف تلقى عليه مسئولية الخطأ المتواجد فيه؟! وعندما رفعت هذه الفتنة رأسها سنة ١٣٧٤هـ/ ٢٠١١م كانت مسئولية هذا الخطأ قد ألقيت على عاتق مولانا محبوب علي خان ولم ينسب أحد عندئذ هذه الإساءة (المزعومة) إلى الإمام أحمد رضا، إلا أنه فى عصرنا الراهن ضربت الحقائق وجه الحائط ونسبت إلى فضيلة الإمام تهمة كانت قد نسبت إلى مولانا محبوب علي خان فى الماضى وكلاهما بريئان منها.

لقد وجّهت تهمة الغلو فى تعظيم الأنبياء والأولياء إلى الإمام أحمد رضا وأتباعه من علماء أهل السنة فكيف وَصفوا جميعا بارتكاب الإساءة لأم المؤمنين السيدة عائشة الصديقة -رضى الله عنها- وحقيقة الأمر أن فضيلة الإمام أحمد رضا كان قد عاقب مرتكبي الإساءة لله تعالى وللأنبياء والأولياء، الأمر الذى لم يصدر التبرير المقنع عما نبه عليه فضيلة الإمام، إلا أنه نسبت تهمة الإساءة لأم المؤمنين السيدة عائشة الصديقة -رضي الله عنها- إلى فضيلته.

## ثالثا: قضية نشر الأفكار والعقائد الشيعية وحقيقتها

قيل عن الإمام أحمد رضا: "إنه روّج فى السنة عقائد وأفكارا لم تكن رائجة بين السنة فى شبه القارة الهندية الباكستانية قبله، وكلها كانت مأخوذة من الشيعة مثل علم الغيب للأنبياء والصلحاء وعلم ما كان وما يكون، والاختيار والقدرة، وغيرها من الأشياء."[1]

أيها القراء الكرام! سوف تطلعون فى كتابنا: "من عقائد اهل السنة." على أن عقائد الإمام أحمد رضا مستمدة من الكتاب والسنة وأقوال علماء الإسلام، إلا أننا فى هذا المقام نأتى ببعض النصوص التى تدل على أن الإمام أحمد رضا دافعَ عن الأحناف القدماء ومشايخ الطرق الصوفية، أما غيره من بعض التيارات الدينية المعاصرة لفضيلة

(١) البريلوية، ص: ٢١

الإمام فإنها كانت قد انحرفت عن طريق السلف الصالح.

## رابعا: أئمة أهل السنة وفضل أهل البيت

قيل عن الإمام أحمد رضا: "إنه كان يروى روايات شيعية وأحاديثها ويروِّجها بين السنة ويستدل بها مثل: إن عليا قسيم النار. وأيضا: إن فاطمة سميت بفاطمة لأن الله فطمها وذريتها من النار."(١)

وقديما قال الإمام العلامة القاضى عياض رحمه الله: " و قد خرَّج أهل الصحيح والأئمة ما أعلم به أصحابه ﷺ مما وعدهم من الظهور على أعدائه (إلى أن قال:) وقتل عليٍّ وأن أشقاها الذى يخضب هذه من هذه. (أى لحيته من رأسه) وأنه قسيم النار، يدخل أولياءه الجنة وأعداءه النار."(٢)

هل كان القاضى عياض اليحصبي شيعيا؟ كلا بل كان واحدا من أئمة أهل السنة، يقول عنه الشيخ صديق حسن خان القنوجي: "كان إمام وقته فى الحديث وعلومه (إلى أن قال:) وكان له عناية كثيرة به والاهتمام بجمعه وتقييده وهو من أهل اليقين فى العلم والذكاء والفطنة والفهم."(٣)

لقد كان العالم الشافعي الجليل العلامة ابو زكريا يحي بن شرف النووي خلال شرحه لصحيح الإمام مسلم يستدل بأقوال القاضي عياض، وما بال الاتجاه الخارجي إذ أنه يوصفُ محب أهل البيت بالشيعي والرافضي؟! مع أن حب أهل البيت الطيبين الطاهرين والصحابة نجوم الهداية أجمعين شعار لأهل السنة والجماعة، وعندما وُصف الإمام الشافعي بالرفض نظرا لحبه الشديد لأهل البيت قال فضيلته مبينا اتجاهه السليم:

---

(١) المرجع السابق، ص: ٢١، ٢٢

(٢) اليحصبي، عياض بن موسى بن عياض، الشفاء بتعريف حقوق المصطفى (ط: فاروقي كتب خانه، ملتان) ج: ١، ص: ٢١٣

(٣) القنوجي، صديق حسن، أبجد العلوم، ج: ٣، ص: ١٤٨

لو كان رِفضا حبُّ آل محمد * فليشهد الثقلان أنى رافض[١]

يعنى أن حب أهل البيت لايدل على الاتجاه الشيعي والرافضي، فالروافض هم أعداء الصحابة، والخوارج هم أعداء أهل البيت، إلا أن أهل السنة (المنعوتون بالبريلوية) يجمعون بين حب أهل البيت وحب الصحابة رضى الله عنهم أجمعين.

ذكر العلامة أحمد شهاب الدين الخفاجي أن الإمام ابن الأثير جاء فى كتابه: "النهاية" بما قاله سيدنا علي رضى الله تعالى عنه: "أنا قسيم النار."[٢]

ثم تحدث العلامة الخفاجي عن الإمام ابن الأثير قائلا: "ابن الأثير ثقة، وما ذكره عن علي -رضي الله عنه- لايقال من قبل الرأى فهو فى حكم المرفوع إذ لا مجال فيه للاجتهاد."[٣]

يقول الإمام أحمد رضا: "خرَّج شاذان الفضلي أثر الإمام علي -رضى الله عنه- فى جزء رد الشمس."[٤]

هل يمكن فى ضوء ما نقلناه أن يقال عما أُثر عن سيدنا علي -رضى الله عنه-: "أنا قسيم النار." إنها رواية شيعية؟ هل شاذان الفضلي، والقاضى عياض، وابن الأثير، والعلامة شهاب الدين الخفاجي كلهم من الشيعة؟

هذا عن الرواية الأولى أما الرواية الثانية فيقول عنها ملا علي القارى: "فقد ورد مرفوعا: "إنما سميت فاطمة لأن الله قد فطمها وذريتها عن النار يوم القيامة." أخرجه

---

(١) الهيتمي، أحمد بن محمد بن حجر، الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة (ط: مكتبة القاهرة، مصر) ص: ٢٣

(٢) حسام الدين الهندي، كنز العمال، الرقم:٣٦٤٧٥، (ط:دار الكتب العلمية، بيروت)، ١٩٩٨م ، ج:١٣، ص: ٦٦

الجزري، المبارك بن محمد، النهاية في غريب الأثر، (ط:المكتبة العلمية، بيروت)، ١٩٧٩م، ج: ٤، ص:٦١

(٣) الخفاجي، أحمد شهاب الدين، نسيم الرياض، (مكتبه سلفية، مدينه منوره) ج: ٣، ص: ١٦٣

(٤) البريلوي، أحمد رضا، الإمام، الأمن والعلى (ط: كامياب دار التبليغ، لاهور) ص: ١١٠

الحافظ الدمشقي، ورواها النسائي مرفوعا: "إنما سميت فاطمة لأن الله تعالى فطمها ومحبيها عن النار."[١]

هل يوصف الإمام أحمد رضا وحده بالتشيع نظرا للإتيان بالرواية المذكورة آنفا أم يتهم كل من الحافظ ابن عساكر الدمشقي، والإمام النسائي، والملا علي القارى بالتشيع؟! مع الأخذ فى الاعتبار أن من يوجِه إليهم تهمة التشيع فإنه يُدخِل اسمَه فى قائمة الخوارج.

و قيل عن الإمام أحمد رضا: "و قد كتب فى أحد كتبه: "لا بأس بوضع تمثال مقبرة الحسين فى البيت للتبرك."[٢]

لا شك أن صورة شيء غير ذى روح والاحتفاظ به أمر مشروع والأشياء المنتسبة إلى شخصيات معظمة تكتسب نوعا خاصا من القداسة، فمَن من المسلمين لا يحتفظ معه الصورة للكعبة المشرفة والقبة الخضراء المباركة؟ ظل المسلمون يصنعون صور النعل الذى لبسه النبي الكريم -عليه أفضل الصلاة والتسليم- ونالوا من بركات هذه الصور ما نالوا، ومن يرغب فى المزيد من المعلومات فليطلع على: "فتح المتعال فى مدح النعال." للعلامة أحمد بن محمد بن أحمد التلمساني، و: "شفاء الواله في صور الحبيب ونعاله." للإمام أحمد رضا.

هذا عن صورة الكعبة المشرفة والقبة الخضراء المباركة ، أما صناعة تمثال القبة المباركة لسيدنا الحسين -رضى الله عنه- فيقول عنها الإمام أحمد رضا: "لا يطابق تمثال القبة المباركة من الناحية الصورية بالأصل مطابقة كاملة، حيث نجد فى كل تمثال شكلا جديدا.[٣] بالإضافة إلى الصور النسوية وصورة البراق، هذا ونقل هذا التمثال من مكان

---

(١) علي بن سلطان محمد القارى، شرح الفقه الأكبر (ط: مصطفى البابي، الحلبي، مصر) ص: ١١٠

(٢) البريلوية، ص: ٢٣

(٣) لم يكن الكاميرا في عصر الإمام رحمه الله متطورا مثل ما نجده في عصرنا هذا، لذا كانت الصور التي يصنعها الرسامون تختلف بعضها عن بعض. ولم تكن تلك الصور دقيقة مثلما نجدها في عصرنا هذا. (المترجم)

إلى آخر لنشر الحزن، وضرب الصدور حول هذه التماثيل للقبة الحسينية أمر غير مقبول، فمن الشيعة من يسلِّم على التمثال منحنيا، ومنهم من يطوف به، ومنهم من يسجد له، ومنهم من يعتقد أن روح الإمام الحسين رضي الله عنه حاضرة عند التمثال، ومنهم من يطلب الحوائج من هذا التمثال وينوى النذور ويراه قاضى الحاجات ... فهذه التعزية برفقة هذه البدع الممقوتة بدعة سيئة وحرام قطعا ... ولايصنع أحد تمثال القبة الحسينية (من الخشب أو الورق) بل يكتفى بالصورة الصحيحة."(١)

ويحدثنا الشيخ ابو الحسن علي الندوي عن موقف الإمام أحمد رضا من التعزية قائلا: "و يحرم صنع الضرائح المنسوبة إلى الحسين -عليه وعلى آبائه السلام- التى يصنعها أهل الهند بالقرطاس ويسمونها تعزية."(٢)

## خامسا: سلسلة الطريقة بالعربية للإمام أحمد رضا

قيل عن سلسلة الطريقة التى كتبها الإمام أحمد رضا باللغة العربية: "إن سلسلة بيعته تصل إلى النبي ﷺ بواسطة أئمة الشيعة كما ذكر نفسه فى عبارته العربية: "اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد المصطفى رفيع المكان، المرتضى على الشان، الذى رجيل من أمته خير من الرجال السالفين، وحسين من زمرته أحسن من كذا. وكذا حسنا من السابقين، السيد السجاد زين العابدين، باقر علوم الأنبياء والمرسلين، ساقى الكوثر ومالك تسنيم وجعفر، الذى يطلب موسى الكليم رضا ربه بالصلاة عليه."(٣)

إنه نموذج رائع يدل على براعة الإمام أحمد رضا فى النثر العربي، فالبارع فى اللغة العربية يمكنه أن يتذوق حلاوة هذا الكلام، والذى لم يفهم هذه العبارة (أي مؤلف الكتاب البريلوية) فإنه لايملك إلا أن ينتقصها. حتى وإنه لم يستطع أن ينقل العبارة الصحيحة

(١) أحمد رضا، الإمام، تعزيه دارى (ط: مكتبه حامديه، لاهور) ص: ٣، ٤

(٢) اللكنوي، الشيخ عبد الحي، نزهة الخواطر، ج: ٨، ص: ٤٠ (التكملة للشيخ ابي الحسن علي الندوي)

(٣) البريلويه، ص: ٢٣

وإليكم أنموذجين من الخطأ فى النقل:

(١) كانت العبارة الأصلية: "رجيل من أمته خير من رجال من السالفين." فقد كان تنوين "رجال" للتعظيم إلا أن الناقل أدخل أداة التعريف على هذه الكلمة وهكذا تغير المفهوم بهذا الخطأ.

(٢) وضع الرجل بعض الشولات (،) فى غير مواضعها فاضطربت العبارة، فقد وُضعت شولة بعد "كذا وكذا" وكان المطلوب أن يضعها بينهما فتكون العبارة كالتالي: "و حسين من زمرته أحسن من كذا، وكذا حسنا من السابقين." وهكذا وضع الرجل شولة بين كلمتى "تسنيم وجعفر" وهو خطأ، وكان المطلوب أن يضعها بعد كلمة جعفر، وهكذا وضع الرجل شولة بين "يطلب" وكلمة "موسى" كما وضعها بعد كلمة الكليم أيضا وهذه الشولات كلها زائدة لا حاجة إليها، والعبارة المستقيمة هى كالآتى: "الذى يطلب موسى الكليم رضا ربه بالصلاة عليه."

لقد كتب فضيلة الإمام صيغة الصلاة على الحبيب المصطفى ﷺ بأسلوب عربي بديع وذلك بإتيانه الكلمات التى هى أسماء شخصيات من شيوخ طريقته، إلا أنه لم يستخدمها كأسماءٍ لشيوخه بل ذكرها ببراعته اللغوية كصفات للحبيب المصطفى ﷺ وهى مُكنة لغوية رائعة لايتذوقها إلا ذو حظ عظيم من اللغة العربية، لقد شاء الإمام أحمد رضا أن يأتى كلمة الحسين كصفة للحبيب المصطفى ﷺ إلا أن معنى التصغير فى هذه الكلمة استوقفه، فاستخدمها بأسلوب لطيف قائلا: "و حسين من زمرته أحسن من كذا." ما أجله من أدب تجاه المقام النبوي؟! وما أحسنه من أسلوب نثري؟! ولكن قائلا متجاهلا يقول: "و لاندرى أي تركيب هذا وأية عبارة هذه."[١]

و لو كان الرجل قد فهم العبارة لما أثار السؤال: "ما معنى باقر علوم الأنبياء؟"[٢]

يقول الإمام النووي مبينا سرَّ تسمية الإمام باقر: "لأنه بقر العلم أى شقه وفتحه

(١) المرجع السابق، ص: ٢٣

(٢) المرجع السابق، ٢٣

نعرف أصله وتمكن فيه."(١)

و من وراء هذه الصيغة من الصلاة على النبي الكريم ﷺ وجه الرجل تهمة التشيع إلى الإمام أحمد رضا فيقول: "إن سلسلة بيعته تصل إلى النبي ﷺ بأئمة الشيعة."(٢)

هذا ويرى الإمام ولي الله الدهلوي العصمة لأئمة أهل البيت على حد قول ابنه الإمام عبد العزيز الدهلوي، إنه يقول: "أثبت فخر المحدثين الإمام ولي الله الدهلوي قدس سره العزيز فى التفهيمات الإلهية أربع صفات للأئمة الأثنى عشر وهى: العصمة، والحكمة، والوجاهة والقطبية."(٣)

هذا ويقول الإمام عبد العزيز المحدث الدهلوي عن أئمة أهل البيت: "كان السيد السجاد، والسيد باقر، والسيد صادق، والسيد كاظم، والسيد رضا من الذين يقتدى بهم عند أهل السنة، فقد كان علماء أهل السنة مثل الزهري والإمام أبى حنيفة، والإمام مالك قد تتلمذوا على أئمة أهل البيت المذكورين، وكان الصوفية مثل الشيخ معروف الكرخي وغيره قد أفادوا من فيوضهم، وقد وُصِفَتِ السلسلة المحتوية على أسمائهم بالسلسلة الذهبية، كما قام المحدثون من أهل السنة بالرواية عنهم فى كل فن خاصة فى فن التفسير، والحديث والسلوك."(٤)

والجدير بالذكر أن سلسلة نسب زعيم طائفة الشيخ إحسان إلهي ظهير السيد أحمد البريلوي أيضا تصل إلى النبي ﷺ بواسطة أئمة أهل البيت.(٥) إلا أنه لم يوصف بالتشيُّع. إذا كان الإمام أحمد رضا شيعيا -على حد قول مؤلف الكتاب:"البريلوية"- نظرا

---

(١) النواوي، ابو زكريا يحي بن شرف، شرح مسلم (ط: نور محمد، كراتشى) ج: ١، ص: ١٥

(٢) البريلوية، ص: ٢٣

(٣) الدهلوي، عبد العزيز المحدث، الإمام، فتاوى عزيزي فارسي (ط: مجتبائي، دهلى) ج: ١، ص: ١٢٧

(٤) الدهلوي، الشيخ عبد العزيز، تحفه إثنا عشرية، ص: ٢٣٣

(٥) محمد علي، سيد، مخزنِ أحمدي (مطبع مفيد عام) ص: ١١، ١٢

لتواجد أسماء آئمة أهل البيت فى سلسلة الإمام أحمد رضا فماذا يقول الرجل عن الإمام ولي الله الدهلوي، والشيخ عبد العزيز الدهلوي، وماذا يقول عن الأئمة المتقدمين المجتهدين، والمحدثين، والمفسرين، والصوفية، وماذا يقول عن زعيم طائفته السيد أحمد البريلوي الذين تصل سلسلتهم إلى النبي ﷺ بواسطة أئمة أهل البيت؟

## سادسا: قضية تكفير السنة المزعوم

قيل عن الإمام أحمد رضا: "إنه كفر السنة وأساطينها من شبه القارة وخارجها، وصرح بأن مساجدهم لايحكم عليها بأنها مساجد، ولايجوز مجالستهم ومناكحتهم، غير أنه لم يجعل الشيعة هدف فتاويه، ولم يتكلم على مراكزهم ومعابدهم وحسينياتهم، بل على عكس ذلك يروون عنه: إن شيعةً بنوا حسينية ثم ذهبوا إلى البريلوي ليختار لها اسما فاستخرج اسمها من التاريخ."(١)

هذا الكلام يخالف الحقيقة تماما بأن الإمام أحمد رضا كفَّر أساطين أهل السنة على وجه المعمورة، لقد بين الإمام أحمد رضا حكم الشريعة فيمن وجدهم مسيئين لربهم جل جلاله، ورسوله ﷺ أو فيمن ينكر شيئا من ضروريات الدين، أما قيام الإمام أحمد رضا باختيار الاسم التاريخي بحساب الجمَّل للحسينية فتمام القصة كما يلي: "لقد طلب منه أحد الشيعة أن يختار اسما تاريخيا للحسينية بحساب الجمّل والتى تم بناؤها سنة ١٢٨٦هـ فقال الإمام: "سمّوها بدر رفض" (١٢٨٦هـ) فقال الرجل: "لقد تم بناؤها فى السنة الماضية." وكان لايريد كلمة "رفض" فى الاسم، فقال الإمام: "سمّوها إذن دار رفض." (١٢٨٥هـ) فقال الرجل: "لقد كانت بداية البناء سنة ١٢٨٤هـ." فرد عليه الإمام بقوله: "سمّوها درِ رفض." (أى باب رفض)(٢)

و هكذا استخرج الإمام اسما تاريخيا للحسينية بحساب الجمّل إلا أنه لم يكن

---

(١) البريلوية، ص: ٢٤

(٢) البهاري، ظفر الدين، حيات أعلى حضرت، ص: ١٤١

هذا الاسم التاريخي حسب رغبة الرجل الشيعي، بل كان الاسم على عكس رغبته وهواه، إذ أنه لم يكن يريد كلمة الرفض فى الاسم إلا أن فضيلة الإمام كان يأتى بها فى كل اسم، وإن اتخاذ هذه القصة دليلا على تشيُّع الإمام أحمد رضا أمر يثير الدهشة والاستغراب.

## الرد على الرافضي الذي حاول أن يتلاعب بالآيات بحساب الجمل

لقد وجه القاضى فضل أحمد لدهانوي استفتاءً إلى فضيلة الإمام أحمد رضا وسأله عن رافضى استخرج أعداد الآية الكريمة بحساب الجمل: "إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ."[1] وهى ١٢٠٢ ثم قال ذلك الرافضي: "و هذا هو عدد الأسماء التالية: ابوبكر، وعمر، وعثمان." فما هو هذا الأمر؟"

فرد عليه الإمام أحمد رضا قائلا: "لقد تم بناء المذهب الرافضي على مثل هذه الخرافات والأوهام التى لا أساس لها من الدين والعقل، وتمام التوضيح كما يلى:

أولا: يمكن أن تكون أعداد كل آية من آيات العذاب وفق الأعداد لأسماء الأخيار، كما أنه يمكن أن توافق أعداد آيات الثواب مع أسماء الكفار، فإن فى الأسماء سعة كبيرة.

ثانيا: أسماء ثلاثة من أبناء أمير المؤمنين سيدنا علي -كرم الله وجهه- كالتالى: ابوبكر، عمر، عثمان. لقد أحال الرافضي آية العذاب إلى الخلفاء الثلاثة والناصبي سوف يحيلها إلى أبناء سيدنا علي -رضى الله عنه- وإن كلا من الرافضي والناصبي ملعونان.

ثالثا: لقد بيّن الرافضي أعداد كلمة عثمان بشكل خاطئ، فإنه لايكتب الألف فى كلمة عثمان فالأعداد المستخرجة من هذه الكلمة هى واحد بعد مئتين وألف (٢٠٠١).

أيها الرافضي! تعرف لمن هذا العدد المستخرج من آية التهديد؟

هذا العدد مستخرج من: "ابن سبا رافضه."

و هذا العدد مستخرج من كل من: إبليس يزيد، ابن زياد شيطان، الطاق الكليني، ابن بابويه قمي، طوسي حلي (١٢٠٢)

---

(١) سورة السجدة: ٢٢

و اسمع أيها الرافضي! يقول الله عز وجل: "إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ"(١)

و إن أعداد هذه الآية هى ٢٨٢٨ والتى هى عين الأعداد لما يلى:

روافض اثنا عشرية شيطانية إسماعيلية (٢٨٢٨)

و أيها الرافضي يقول الله عز وجل: "وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ."(٢)

و أعداد هذه الكلمات بحساب الجمل: ٦٤٤ وهى عين الأعداد للكلمات التالية: شيطان الطاق طوسي حلي.(٣)

ثم ذكر فضيلة الإمام عددا لا بأس به من الآيات المحتوية على الأجر والثواب وأعدادها توافق أعداد الأسماء المباركة للصحابة - رضى الله عنهم- هل من شيعي يوضح سرَّ هذا التوافق؟ وبكل تأكيد لا أحد من الشيعة يتمكن من إزاحة الستار عن سرّ هذا التوافق العددي، ومن هنا نقول: إنه لايمكن لأحد أن يوجه تهمة التشيع إلى مثل هذا الإمام الغيور على مذهب أهل السنة إلا خارجي.

## أهل الحديث واعترافهم بالتشيُّع

لقد قمنا بدراسة الاتهامات الموجَّهة إلى الإمام أحمد رضا من منطلق الانتماء إلى المذهب الشيعي المزعوم دراسة تحليلية فى الصفحات الماضية، فقد قيل عنه: إن سلسلة بيعته تصل إلى أئمة الشيعة وإنه مدح أئمة الشيعة." وقد تم كشف حقيقة هذه الاتهامات آنفا، لماذا لايوصف الشيخ صديق حسن خان(٤) هو الآخر بالتشيع كما وُصِف الإمام أحمد رضا بأن سلسلة بيعته تصل إلى النبي ﷺ بأئمة الشيعة (٥) -على حد قولهم- ولكن

(١) سورة الأنعام: ١٥٩

(٢) سورة غافر: ٢٥

(٣) البهاري، ظفر الدين، حيات أعلى حضرت، ج: ١، ص: ١٤٨، ١٤٩

(٤) إنه من الزعماء الثقات لدى مؤلف البريلوية. (المترجم)

(٥) أنظر: البريلوية، ص: ٢٣

سلسلة نسب الشيخ صديق حسن أيضا تنتهى إلى الأئمة الذين وصفوا بأنهم آئمة الشيعة، يقول الشيخ صديق حسن خان عن والده: "و نسبه الأقصى ينتهى إلى سيدنا زين العابدين على أصغر بن حسين الشهيد بكربلاء رضى الله تعالى عنه."(١)

أما الشيخ نذير حسين الدهلوي والذى هو شيخ الكل عند المتحررين عن التقليد، يقال عنه: "من سلالة الرسول، الشريف نذير حسين الدهلوي."(٢) وقال عنه كاتب ترجمته: "تصل سلسلة نسبه إلى الإمام حسن العسكري ويوجد فى نسبه الأئمة الذين يعرفون بالأئمة الإثنى عشر للشيعة." (٣)

و الأشد من هذا وذاك اعتراف المترجم لكتب الحديث إلى اللغة الأردية وزعيم طائفة أهل الحديث الشيخ وحيد الزمان الذى يقول بعربيته: "أهل الحديث هم شيعة علي يحبون أهل بيت رسول الله ﷺ ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ: أذكّركم الله فى أهل بيتى، وإنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى، ويقدّمون قول أهل البيت فى المسائل القياسية على أقوال الآخرين ... وأهل البيت علي والحسن والحسين وفاطمة وأولادها وأولاد أولادهم إلى يوم القيامة." (٤) هناك -بين المذكورين أعلاه- شخصيات تعد من الأئمة الإثنى عشرية، فليخبرنا الموجِّهون تهمة التشيع إلى إمام أهل السنة الإمام أحمد رضا من هو المقر بالتشيع؟ الإمام أحمد رضا أم الشيخ وحيد الزمان؟!

هذا وقد خاطب الشيخ إحسان إلهي ظهير أحدُ إخوانه من طائفته بقوله: "و اجعلوا موضوع السعى للحصول على تأشيرات البلاد العربية لعلماء الشيعة موضوع المباهلة." (٥) لم يكن هذا السعى من الرجل للحصول على تأشيرات البلاد العربية لعلماء الشيعة إلا

---

(١) صديق حسن خان، أبجد العلوم، ج: ٣، ص: ٢٦٧

(٢) البريلوية، ص: ١٦٣

(٣) الهادى، فضل حسين، الحياة بعد المماة (ط: مكتبة شعيب، كراتشى) ص ١٠-١١

(٤) وحيد الزمان خان، هدية المهدي (طبعة سيالكوت) ص ١٠٠

(٥) المدني، الحافظ عبد الرحمن، هفت روزه أهل حديث، لاهور (العدد الثالث من شهر أغسطس

لارتباط معنوي بينه وبين علماء الشيعة.

## مؤلفات الإمام في الرد علي الشيعة

لقد ألف الإمام أحمد رضا شتى الرسائل فى الرد على الشيعة، منها ما يلى:

(١) رد الرفضة (١٣٢٠هـ)

(الرد على الروافض المعاصرين بأن السني لايرثهم ولايتزوج منهم)

(٢) الأدلة الطاعنة فى أذان الملاعنة (١٣٠٦هـ)

(الرد على الروافض لزيادتهم فى الأذان بقولهم: وأن عليا خليفته بلا فصل)

(٣) أعالي الإفادة فى تعزية الهند وبيان الشهادة (١٣٢١هـ)

(فى بيان الحكم لصناعة الشبيه لضريح سيدنا الحسين -رضى الله عنه- ومقامه فى شهر محرم وبيان حكم الشهادة الحسينية)

(٤) جزاء الله عدوَّه بإبائه ختم النبوة (١٣١٧هـ)

(الرد على الروافض بجانب القاديانية)

## مؤلفات الإمام في مناقب الخلفاء الثلاثة رضى الله عنهم

(٥) غاية التحقيق فى إمامة العلي والصديق رضي الله عنهما

(فى تصديق خلافة سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه)

(٦) الكلام البهي فى تشبه سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه بالنبي (١٢٩٧هـ)

( فى بيان تشبه سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه بأخلاق سيدنا رسول الله ﷺ)

(٧) الزلال الأنقى من بحر سبقه الأتقى (١٣٠٠هـ)

(تفسير الآية الكريمة: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ.[1] وبيان المناقب لسيدنا الصديق الأكبر رضى الله عنه)

---

سنة ١٩٨٤م) ص: ٧

(١) سورة الحجرات،

(٨) مطلع القمرين فى إبانة سبقة العمرين (١٢٩٧هـ)

(فى بيان العظمة للشيخين سيدنا أبى بكر وسيدنا عمر رضى الله عنهما)

(٩) وجه المشوق بجلوة أسماء الصديق والفاروق (١٢٩٧هـ)

(أسماء الشييخين الكريمين الواردة فى كتب الحديث)

(١٠) جمع القرآن وبم عزوه لعثمان (١٣٢٢هـ)

(كيف تم جمع القرآن؟ ولماذا وصف سيدنا عثمان رضى الله عنه بجامع القرآن؟)

## مؤلفات الإمام في مناقب سيدنا معاوية رضى الله عنه

(١١) البشرى العاجلة من تحفِ آجلة (١٣٠٠هـ)

(الرد على الشيعة التفضيلية ومفسِّقى سيدنا معاوية رضى الله عنه)

(١٢) عرش الإعزاز والإكرام، لأول ملوك الإسلام (١٣١٢هـ)

(مناقب سيدنا معاوية رضي الله عنه)

(١٣) ذبُّ الأهواء الواهية، فى باب الأمير معاوية (١٣١٢هـ)

(الرد على المطاعن فى الأمير معاوية وأم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنهما)

(١٤) أعلام الصحابة الموافقين للأمير معاوية وأم المؤمنين (١٣١٢هـ)

(أعلام الصحابة المؤيدين لسيدنا معاوية وأم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنهما)

(١٥) الأحاديث الراوية لمدح الأمير معاوية (١٣١٣هـ)

(الأحاديث الواردة فى مدح سيدنا الأمير معاوية رضى الله عنه)

## مؤلفات الإمام في الرد على التفضيلية

(١٦) الجرح الوالج فى بطن الخوارج (١٣٠٥هـ)

(الرد على التفضيلية والمفسِّقة)

(١٧) الصمصام الحيدري فى حُمق العيار المفترى (١٣٠٤هـ)

(الرد على التفضيلية والمفسِّقة)

(١٨) الرائحة العنبرية على الجمرة الحيدرية (١٣٠٠هـ)

(بيان مسألة التفضيل والإقدام على التفضيل من كل الوجوه)

(١٩) لمعة الشمعة لهدى الشيعة الشنعة (١٣١٢هـ)

(الرد على الأسئلة السبعة عن التفضيل والتفسيق)

## حكم أبى طالب

(٢٠) شرح المطالب فى مبحث أبى طالب (١٣١٦هـ)

(إثبات عدم الإيمان لأبى طالب من خلال مائة وثلاثين كتابا فى التفسير والعقائد وغيرهما من كتب التفسير والعقائد)

لقد ذكرنا أسماء بعض المؤلفات للإمام أحمد رضا فى الرد على الشيعة آنفا، كما نبهنا على بعض الصفحات التى تمتُّ بصلة إلى هذا الموضوع فى كل من "أحكام الشريعة" والمجلد السادس من الفتاوى الرضوية، والذي يطلع على هذه الصفحات فإنه سوف يعرف جيدا موقف الإمام أحمد رضا من الشيعة.

## زهد الإمام فى الدنيا وعطاؤه

كان الإمام أحمد رضا منحدرا من أسرة غنية إذ قدم أجداده من أفغانستان برفقة الأمير نادر شاه ونزلوا مدينة دهلي حيث عُيِّنوا فى مناصب رفيعة.[١]

يخبرنا الدكتور مختار الدين أحمد عن الإمام أحمد رضا وأجداده قائلا: "لم يتعلق قلبه بأمور الدينا أبدا، فقد كان أجداده حائزين على المناصب الحكومية الرفيعة، وإنه وجد نعيم الحياة حوله منذ مولده، وكان فضيلته يملك الأراضى الزراعية إلا أنه فوض أمور أراضيه إلى بعض أقاربه، وكان يستلم منهم شهريا ما يكفيه لشراء الكتب، واستضافة السادات الأشراف، وإدارة أمور البيت، وإنه نظرا لجوده وعطائه لم يكن فى بعض الأحيان يجد عنده من المال إلا قليلا، ولكنه لم يسأل أقاربه أبدا: كم كان العائد

---

(١) البهاري، ظفر الدين، حيات أعلى حضرت، ج: ١، ص: ١٣، ١٤

السنوي؟ وكم أعطيتموني؟"(١)

و يتحدث العلامة ظفر الدين البهاري عن جود الإمام أحمد رضا خان وعطائه قائلا: "لم يكن المتسول يرجع خاويَ الوفاض من باب الإمام أحمد رضا، إضافة إلى أنه كان يمدّ الأرامل، ويساعد المحتاجين، ويعين الفقراء شهريا متوكلا على الله ﷻ، ولم تكن هذه المساعدة المالية مقصورة على مدينته بريلى فقط بل كانت قد تعدَّت إلى مدن أخرى، وكان يرسل هذه المساعدات بالحوالة البريدية."(٢)

و عندما كان الإمام أحمد رضا ينفق أكثر ماله فى سبيل الله ولايجد عنده ما يمشّى به أموره لم يكن يُظهر أزمته المالية لأحد، كما أنه لم يكن يطلب من أحد سوى الأحد الفرد الصمد، لقد كتب الإمام فى رسالة له: "لم تأتنى الفلوس من القرية، ولاأطلب الفلوس من أحد للحوائج اللازمة."(٣)

هذا أمر محمود إلا أن مؤلف البريلوية ينظر إليه من منظور آخر ويقول: " وربما لم يكفه ذلك القدر فاحتاج إلى الاستقراض من الآخرين لأنه لم يكن يملك ما يشترى به طوابع البريد."(٤)

لقد نقل العلامة ظفر الدين البهاري قول الإمام أحمد رضا: "و لا أطلب الفلوس من أحد للحوائج اللازمة." ولكن ما معنى الاستقراض من الآخرين هنا ومن أين جاءت هذه الكلمة؟ فإن أحدنا لايجد مالا كافيا للإنفاق فى كثير من الأحيان إلا أنه لايطلب من أحد، وإن قول القائل مثير للاستغراب: "و تارة يقولون عكس ذلك (الحاجة إلى الاستقراض من الآخرين) بأنه كان يُمَدُّ من يد الغيب بأموال باهظة وثروات فاحشة، فيحكى البهاري الرضوي: "كانت للبريلوي حقيبة مقفولة ولم يكن يفتحها إلا عند

---

(١) أنوار رضا، ص: ٣٦ (مقال للدكتور مختار الدين أحمد)

(٢) البهاري، ظفر الدين، حيات أعلى حضرت، ص: ٥٢

(٣) المرجع السابق، ص: ٥٢

(٤) المرجع السابق، ص: ٢٤

الحاجة، وعندما كان يفتحها لم يكن يفتحها كاملة إلا قدر أن يدخل يده فيها، وكان يخرج منها ما شاء من الحلي والثياب ... وابنه يحكى أن حضرة الأعلى كان يوزع على الناس وعلى أحبابه حلي كثيرة."(١)

و هنا تستلفت الأمور التالية انتباهنا:

(أ) لقد نقل كل واحد من مولانا ظفر الدين البهاري، ومولانا نسيم البستوي قصة رواها السيد الشريف أيوب علي، إلا أن الرجل يريد أن يُظهر أنهما قصتان، كما يبدو من: "كان يخرج" و"كان يوزع" أن فضيلة الإمام كان يخرج الحلي والثياب من الحقيبة المقفولة باستمرار، كما أنه كان يوزع الحلي على الناس بصفة مستمرة، مع أنه لايوجد هذا التكرار والاستمرار فى المصدرين اللذين ذكرهما الرجل.

(بـ) لقد نسب الرجل حكاية توزيع الحلي على الناس إلى مولانا حسنين رضا خان وذكره بصفة الابن للإمام أحمد رضا مع أنه ليس بالابن للإمام إنما هو ابن أخيه.

(جـ) من الممكن أن تكون الحلى مودعة فى الحقيبة من قبل، كما أنه من الممكن أيضا أن مولانا حسنين رضا خان حكى هذه القصة بوصفها كرامة لفضيلة الإمام، ولم ينكر الكرامة أحد إلا المعتزلة.

و يحدثنا العلامة الملا علي القاري عن موقف المعتزلة من الكرامة بقوله: "و خالفهم المعتزلة حيث لم يشاهدوا فيما بينهم هذه المنزلة."(٢)

(د) الكرامة شيءٌ ويد الغيب التى ذكرها الرجل شيءٌ آخر وهو تواجد الفلوس بالقدر المعين تحت الوسادة بشكل يومي، وعنه يحدثنا الإمام أحمد رضا بقوله: "إن الدعاء للعثور على يد الغيب دعاء عن المحال عادة، والذى هو حرام مثل المحال العقلي

---

(١) المرجع السابق، ص: ٢٤-٢٥

(٢) القارى، علي بن سلطان محمد، العلامة، شرح الفقه الأكبر (ط: مصطفى البابي الحلبي، مصر) ص: ٧٩

والمحال الذاتى."(١)

و هكذا وُجِّهت تهمة أخرى إلى الإمام أحمد رضا، فقد قيل بعد ذكر الحقيبة كتعليق عليها: "و على ذلك يتهمه المخالفون أن يد الغيب هذه لم تكن حقيبة أو غيرها بل كان (٢) يد الاستعمار الإنجليزي التى كانت تمدُّه وتساعده."(٣)

سوف نلقى ضوءا على موضوع المساعدة الإنجليزية فى كتابنا: "بيوت من الزجاج." حيث سنبين من أكْرِمَ بالمساعدة الإنجليزية؟ أما الآن فإننا نريد أن نبين أن إحسان إلهي ظهير قد اعترف عند نسبة تهمة المساعدة الإنجليزية إلى الإمام أحمد رضا أنها تهمة من طرف مخالفي الإمام أحمد رضا، وإنه بنفسه عارض هذه التهمة -دون انتباه-عند قوله: "هذا وأما الذى أراه فإن دخله الكبير كان من النذور والهدايا التى كانت تقدم إليه من قِبل المريدين ... عادة الهنديين وخاصة أهل هذه الطائفة والطوائف الصوفية الأخرى أنهم يخدمون علماءهم ووعاظهم بصدقاتهم وخيراتهم، أو من المرتب الذى يخصص لهم ... والقارئ يدرك من هذه الحكايات والروايات كلها أن ما ذكرناه وأثبتناه آخرا هو الأصح فى دخله ومعاشه، والباقى كلها مختلقات ومخترعات."(٤)

أيها القراء الكرام! ماذا نقول عن تهمة المساعدة الإنجليزية التى نسبت إلى فضيلة الإمام فى صفحة رقم: ٢٥ وجاء ما يعارضها فى الصفحة نفسها: لقد قيل عن الإمام أحمد رضا: "هذا وأما الذى أراه فإن دخله الكبير كان من النذور والهدايا التى كانت تُقدم إليه من قبل المريدين ... والدليل على ذلك أنه لم يثبت عن والد البريلوي ولا عن جده أنهم كانوا يشتغلون بشيءٍ من الزراعة والصناعة والتجارة والحرفة اللهم إلا إمامة المساجد ... وأن

(١) أحمد رضا الإمام، أحكام شريعت، ص: ٢٣٠

(٢) كنا ننتظر أن تكتب كلمة "كانت" مكان كلمة "كان". (المترجم)

(٣) البريلوية، ص: ٢٥

(٤) المرجع السابق، ص: ٢٥ (ملخصا)

البريلوي كان على دأبهم وسننهم."(١)

ما قيمة مثل هذا الاستدلال فى دنيا العلم والتحقيق، لقد بيننا فيما مضى أن الإمام أحمد رضا كان منحدرا من عائلة ثريَّة وقد كلف فضيلته أناسا آخرين برعاية الأراضي وزراعتها، وكان أقاربه يقبضون الدخل فيقدمونه للإمام أحمد رضا ما يعينه على شراء الكتب وخدمة السادات الأشراف وإدارة أمور البيت.

يقول السيد الشريف ألطاف علي الذى كان قد سعد بزيارة الإمام فقال عنه: "كان مولانا أحمد رضا من الأغنياء، وكانت له بعض الأراضى الزراعية التى كان أخوه الأصغر مولانا محمد رضا خان يدبر شئونها، وكان فضيلة الشيخ وأقاربه يسكنون فى حي اسمه: "محله سوداكران" وكانت له بيوت عظيمة، وبتعبير آخر كان الحيُّ كله له ولأقاربه."(٢)

يقول منور حسين والذى تشرف بزيارة الإمام أحمد رضا فى صغر سنه: "مما هو جدير بالذكر أن جميع الأفراد فى عائلة الشيخ أحمد رضا كانوا منذ زمان أصحاب زراعة، وكان لفضيلة الشيخ حدائق كثيرة، كما كانت له بيوت فى حيّه، وكان فضيلته يقبض أجرتها شهريا، ولقد علمت ممن عيّن لجمع أجرة البيوت أن فضيلة الشيخ لم يكن يتقاضى أجرة البيت من المساكين والأرامل."(٣)

يخبرنا المولوي عبد العزيز خان عن عائلة الإمام أحمد رضا بقوله: "لقد كانت حياة هذه العائلة تسير برفاهية نظرا للزراعة فى القرية."(٤)

يعدُّ من مظاهر الإخلاص للإمام أحمد رضا أنه أصدر آلاف الفتاوى ولايستطيع أحد أن يثبت أن الإمام أحمد رضا أخذ أو طلب أجرة الفتوى، وكان يصلي بالناس إماما

---

(١) المرجع السابق، ص: ٢٥ (ملخصا)

(٢) الجشتي، مريد أحمد، جهان رضا (ط: مجلس رضا، لاهور) ص: ١١٧

(٣) المرجع السابق، ص: ١٥٣

(٤) البريلوي، عبد العزيز خان، تارخ روهيل كهند، مع تاريخ بريلى، (ط: مكتبه علم وفكر، كراتشى) ص: ٦٥٢

ولكنه لايمكن لأحد أن يثبت أن الإمام احمد رضا قبض مرتبا مقابل إمامة المسجد، لقد قضى حياته ليلا ونهارا فى خدمة الأمة الإسلامية وإرشادها إلى ما فيه صلاحها وفلاحها، أما تقديم الهدايا وقبولها فأمر مسنون، والهدايا المقدمة إلى المشايخ نذور عرفا بمعنى الهدية وليست من النذور الشرعية، فإن النذور الشرعية لله تعالى فقط، وما وجه القول فى مثل هذه الشخصية المخلصة أن إمامة المسجد كانت مصدر دخله ومعاشه؟ ويمكننا أن نعرف مدى إخلاص الإمام أحمد رضا من خلال كتاباته جيدا، نذكر قوله التالى على سبيل المثال لا الحصر: "لم نتخذ خدمة الدين وسيلة للدخل والمعاش والحمد لله تعالى، ولم ننبه أحبابنا على مثل هذه الأمور بل بالعكس تمَّ التنبيه بكل تأكيد أن لاتخطر ببالهم وسوسة جلب المنفعة من وراء خدمة الدين فضلا عن مدٍّ يد السؤال، ولا بد أن تكون الخدمة الدينية خالصة لوجه الله، ولو وجدتم هدية من الأحباب دون الطلب منهم فلاتردوها فإن قبولها سنة."[١]

## قضية تناول التنبول وشرب الدخان

من حِكم الصيام أن يقبل الصائم الجوع والعطش عن طيب الخاطر فلايأكل ولايشرب طوال النهار اتباعا للحكم الشرعي، ولايملأ بطنه بعد الإفطار بقدر الوجبتين، ومن هذا المنطلق كان الإمام أحمد رضا يجعل القناعة نُصب عينيه دائما لدرجة أنه قيل عنه: "كان يكتفى بتناول التنبول بعد الإفطار فى شهر رمضان."[٢] إلا أن هذه الفضيلة لم تجد الاستحسان عند بعض الناس بل بالعكس أصبح هذا الأمر سببا للنقد وإثارة الغبار على شخصية الإمام.[٣] وهكذا تم وضع شرب الدخان موضع النقد فقيل: "و من أعجب العجائب أن الشخص الذى كان يكفِّر الآخرين ويحكم عليهم بالفسق والفجور لأدنى

(١) القادري، رياست علي، السيد: معارف رضا (ط: إدارة تحقيقات إمام أحمد رضا، كراتشى، ١٩٧٣م) ص: ٢٩

(٢) أنوار رضا، ص:٢٥٦ (مقال للعلامة عبد المبين النعماني)

(٣) البريلوية، ص: ٢٦ (هامش رقم: ٧٠)

الأشياء كيف كان يتعاطى الدخان مع أن كثيرا من العلماء من السابقين واللاحقين قد أفتوا بحرمته أو كراهته على الأقل."(١)

يخبرنا الإمام أحمد رضا عن حكم شرب الدخان بقوله: "و الحق أن شرب الدخان رائج فى بلاد العالم عامة وفى بلاد الحرمين الشريفين -زادهما الله شرفا وقدرا- خاصة، حتى عند العلماء والعظماء بالحرمين الشريفين، إنه مباح وجائز شرعا لا دليل على حرمته أصلا."(٢)

هذا وقد نقل الإمام أحمد رضا بعد هذا قول كل من العلامة السيد أحمد الحموي، والعلامة عبد الغني النابلسي، والعلامة علاء الدين الدمشقي، والعلامة الطحطاوي الشامي فى شرب الدخان ثم قال: "حاصل الكلام أن التحقيق فى شرب الدخان أنه جائز ومباح، وأنه مكروه تنزيهي فالذى لايشرب الدخان فهو يحسن صنعا، والذى يشرب لايعد مذنبا ... إلا أنه لا شك فى حرمة الدخان الرائج فى بعض بلاد الهند والذى يشربه بعض الجهلة عند الإفطار فى شهر الصيام فيلحق الفتور عقولهم وأفئدتهم، وإن شرب هذا النوع من الدخان ممنوع ومحرَّم وشاربه مذنب فى غير رمضان بصفة عامة وفى شهر رمضان بصفة خاصة."(٣)

و يقول العلامة عبد الغني النابلسي عن شرب الدخان: "و بهذا يظهر أن شرب التتن ليس بحرام كما يزعمه بعضهم بالقياس على أكل الثوم بجامع الخبث وهو بعد تسليم الخبث فيه والقياس يبطل حرمته ببطلان حرمة أكل الثوم ... فإن كانت رائحة التتن كريهة عند قوم مجتمعين فى المسجد أو غيره تكون كرائحة الثوم والبصل وإن لم تكن كريهة فلا، وقد أجمع الناس اليوم على استعمال التتن فى غالب المجالس بين العلماء والعوام من غير استكراه لرائحته وإنما يستكرهه القليل الذى لايشربون فلا يكون كالبصل

---

(١) المرجع السابق، ص: ٢٦ (هامش رقم: ٧٠)

(٢) أحمد رضا، الإمام، أحكام شريعت (ط: كراتشي) ص: ٢٥٦

(٣) المرجع السابق، ص: ٢٦٥

والثوم لأن المعتبر فى المقيس عليهما ما يستكرهه غالب الناس، وهذا لايستكرهه غالب الناس اليوم، فليس هو من قبيل ذلك."(١)

يقول الإمام ابن عابدين الشامي عن شرب الدخان: "فإثبات حرمته أمر عسير لايكاد يوجد له نصير، نعم لو أضرَّ ببعض الطبائع فهو عليه حرام، ولو نفع وقصد به التداوى فهو مرغوب، ولو لم ينفع ولم يضر فهو مباح. "(٢)

و عندما سئل الشيخ رشيد أحمد الجنجوهي الديوبندي عن شرب الدخان أجاب قائلا: "شرب الدخان مباح إلا أن الدخول فى المسجد مع رائحته حرام. "(٣)

و سئل الشيخ رشيد أحمد الجنجوهي مرة أخرى عن شرب الدخان وأكل التنبول مع التبغ فقال: "شرب الدخان وأكل التنبول مع التبغ جائز إلا أن الإتيان برائحتهما فى المسجد حرام. "(٤)

و لاندرى من هم العلماء الكثيرون الذين حرَّموا شرب الدخان مطلقا على حد قول القائل، أما اتهام الإمام أحمد رضا بتكفير أحد أو تفسيقه فإن الإمام احمد رضا قام بمهمة المفتى وبيَّن الحكم الشرعي فى ضوء الدلائل الشرعية، ولم يكفر أحدا من المسلمين ولم يفسِّقه دون سبب شرعي.

## حكم تقبيل اليد والرِّجل

يجوز تقبيل يد رَجل صالح وِرجله نظرا لكرامته الدينية بشرط أن لايكون هذا الإجلال والتقدير للرياء أو لغرض دنيوي فاسد.

---

(١) النابلسي، عبد الغني، العلامة، الحديقة الندية (ط: المكتبة النورية الرضوية، بفيصل آباد) ج: ١، ص: ٥٩٦

(٢) الشامي، محمد أمين بن عابدين، العلامة، تنقيح الفتاوى الحامدية (ط: عبدالغفار، قندهار) ج: ٢ ص: ٢٦٦

(٣) الجنجوهي، رشيد أحمد، الشيخ، الفتاوى الرشيدية (ط: محمد سعيد كراتشي) ج: ٢، ص: ٣٨١

(٤) المرجع السابق، ج:٢ ص: ٤٩٠

عن سيدنا زراع -رضي الله عنه- وكان فى وفد عبد قيس قال: "لما قدمنا المدينة فجعلنا نتبادر من رواحلنا فنقبل يد رسول الله ﷺ ورِجله. "(١)

و عن سيدنا صفوان بن عسال -رضي الله عنه- قال: "قال يهودي لصاحبه اذهب بنا إلى هذا النبي، فقال له صاحبه: لاتقل نبي إنه لو سمعك لكان له أربع أعين، فأتيا رسول الله ﷺ فسألاه عن آيات بينات فقال رسول الله ﷺ لاتشركوا بالله شيئا، ولاتسرقوا، ولاتزنوا، ولاتقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق، ولاتمشوا ببريءٍ إلى سلطان ليقتله، ولاتسخروا، ولاتأكلوا الربا، ولاتقذفوا محصنة، ولاتولوا للفرار يوم الزحف، وعليكم خاصة اليهود أن لاتعتدوا فى السبت، قال: فقبّلا يديه ورجليه وقالا: نشهد أنك نبي." رواه الترمذي وأبوداؤد والنسائي. "(٢)

روى الحاكم بسنده أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال: يارسول الله علمنى شيئا أزداد به يقينا، قال: فقال: ادع تلك الشجرة، فدعا بها فجاءت حتى سلمت على النبي ﷺ ثم قال لها: ارجعى: فرجعت، قال: ثم أذن له فقبَّل رأسه ورِجليه.(٣)

و قد ورد فى تنوير الأبصار وشرحه در المختار: "طُلب من عالم أو زاهد أن يدفع إليه قدمه ويمكِّنه من قدمه ليقبله أجابه، وقيل: لا. "(٤)

لقد كان الإمام أحمد رضا محبا صادقا للرسول الكريم ﷺ وهو أمر يشهد عليه

---

(١) السجستاني، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في قبلة الجسد، الرقم: ٥٢٢٥، (ط: دار الفكر، بيروت.) ج:٤، ص: ٣٥٧

الترمذي، محمد بن عيسى، السنن، كتاب الاستئذان، باب ما جاء في قبلة اليد والرجل، الرقم: ٢٧٣٣، (ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت.) ج: ٥، ص: ٧٧

(٢) الترمذي، محمد بن عيسى، السنن، كتاب الاستئذان، باب ما جاء في قبلة اليد والرجل، الرقم: ٢٧٣٣، (ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت.) ج: ٥، ص: ٧٧

(٣) النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم، المستدرك، الرقم: ٧٣٢٦، (ط: دار الكتب العلمية، بيروت.) ج:٤، ص: ١٩٠

(٤) الحصكفي ، محمد بن علي بن محمد، العلامة، الدر المختار على هامش الشامي، ج ٥ ص ٢٤٥

ويعترف به الجميع حتى المخالفون له، لذا كان فضيلته يحب ويحترم كل إنسان وشيء ذا علاقة بالله ﷻ ورسوله ﷺ وإنه نظرا لهذه النسبة والعلاقة كان فضيلة الإمام رحمه الله يعظّم ويكرم الأشراف جميعا بصفة عامة وأهل التقوى منهم بصفة خاصة، وهكذا كانت معاملته مع حجاج بيت الله الحرام من أصحاب العقيدة الصحيحة.

## السيد الشريف علي حسين الأشرفي رحمه الله

ولد فضيلته في الثاني والعشرين من شهر ربيع الثاني سنة ١٢٦٦هـ/ ١٨٥٠م في كجوجه (بمحافظة فيض آباد، بالهند) وانتقل إلى رحمة الله تعالى في الحادي عشر من شهر رجب سنة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م، وكان آية من آيات الله في العلم والفضيلة والتقوى وطهارة النفس وتبليغ الإسلام، وكان واحدا من الأشراف، إضافة إلى أنه كان شبيها بسيدنا الشيخ السيد عبد القادر الجيلاني -قدس سره العزيز- أخذ منه آلاف العلماء الطريقة القادرية، وكان الإمام أحمد رضا يحترمه غاية الاحترام لدرجة أنه كان يقبل رجليه."[1]

و هكذا قيل: "كلما زاره الراجع من حج بيت الله الحرام سأله الإمام: هل تشرفت بالمثول بين يدي سيدنا رسول الله ﷺ؟ فلو قال زائر الحرمين الشريفين: "نعم" بادر الإمام إلى تقبيل رجليه."[2]

### اتهام الإمام بالشدة

إن للإمام أحمد رضا صفة حميدة والتي تعد ذميمة عند مخالفيه وهي أنه رحمه الله كان رحمة للمسلمين متبعي العقيدة الصحيحة كما أنه كان شديدا على من يصر على الأفكار الزائغة البعيدة عن عقيدة أهل السنة، وكان إذا وجد أحدا من الناطقين بالشهادتين بعيدا عن الصراط المستقيم والذي هو مذهب أهل السنة حاول إصلاحه بكل رفق فإن قبل الإصلاح فبها وإلا زجره الإمام حسب زيغه، وكانت شدته هذه تزيد وتنقص حسب ابتعاد

---

(١) القادري، عارف الله شاه، مولانا، أذكار حبيب رضا (ط: مجلس رضا، لاهور) ص: ٢٤

(٢) أنوار رضا، ص: ٣٠٦ (مقال لخواجه محمد أويس)

الإنسان عن الوسطية والاعتدال، وكلما ازداد بعد الزائغ عن الصواب والاعتدال ازداد زجر الإمام وشدته عليه، ومثله مثل الطبيب الذى يجرى العمليات الجراحية فيشق الجسد ويزيل الأعضاء المريضة الضارة للإنسان حتى لايسرى المرض فى الجسد كله، وكان الإمام أحمد رضا بمثابة الطبيب الجراح للأمة الإسلامية التى أصيبت بالأفكار الزائغة والتى هى أشد من أي مرض، فالذين أجريت عليهم العملية الجراحية الإصلاحية فإنهم بكل تأكيد سوف يصفونه بقسوة القلب وعدم علاقته بالرحمة والرأفة وبمن تجاوز عن الحدود الأخلاقية[١] وغير ذلك من الصفات التى ينبذونه بها.

## العظمة العلمية للإمام ومقدرته الأدبية

يرى العلامه محمد إقبال أنه: " كان الإمام أحمد رضا عالما مدققا وذكيا غاية الذكاء، وقد حاز مكانة مرموقة فى الإلمام بالفقه، ويبدو من مطالعة فتاويه أنه كان متمتعا بالمواهب العالية فى مجال الاجتهاد وأنه كان فقيها نابغا فى شبه القارة، ولن يوجد فى الهند فقيه عبقري مثله."[٢]

يقول الشيخ أبو الأعلى المودودي: "فى قلبي احترام كبير لعلم مولانا أحمد رضا وفضله، لأنه كان ذا نظرة عميقة فى العلوم الدينية، وقد اعترف بفضله مخالفوه أيضا."[٣]

يقول الدكتور محى الدين الألوائي: "لقد قيل قديما إن التحقيق العلمي الأصيل والخيال الذهني الخصيب لايجتمعان فى شخص واحد، ولكن مولانا أحمد رضا على عكس هذه النظرية التقليدية كان محل اجتماعهما."[٤]

و يخبرنا الدكتور حامد علي خان عن المكانة العلمية للإمام فيقول: "كان الإمام أحمد رضا كاتبا رفيع الشأن، كما أنه كان مؤلفا اتصف بسمات لانكاد نجدها عند غيره،

---

(١) البريلوية، ص:٢٧

(٢) محمد مسعود أحمد، الدكتور، حيات مولانا أحمد رضا خان البريلوي (ط: سيالكوت) ص: ١٨

(٣) المرجع السابق، ص: ٢٢

(٤) أنظر: المرجع السابق، ص: ٢٠

وإنه نظرا لسرعة قلمه وكتابته الارتجالية وموهبته التأليفية استطاع أن ينجز أعمال السنوات في شهور معدودة، كما أنه أنجز أعمال الشهور في ساعات محدودة بأحسن ما يمكن، الأمر الذي حيّر علماء عصره."(١)

و يقول الأستاذ شفيق البريلوي عن الإمام أحمد رضا: "لقد كان عالما جيدا، وفقيها دقيق الفهم، وشاعرا للمديح النبوي الشريف ذا مكانة رفيعة بين الشعراء، وكان متمكنا من قول الشعر ولغة العرب، وكان محبا للرسول ﷺ لذا كانت مدائحه النبوية تفسيرا لمعاني القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ... لقد اشتهرت ترجمته لمعاني القرآن الكريم ونالت الإعجاب وذلك نظرا للسمات اللغوية والبيانية وسهولة الأسلوب، وهذه الترجمة الأردية لمعانى القرآن الكريم ثمرة للذوق الشعري، والبصيرة العلمية، وصلابة الإيمان، وحب الرسول ﷺ ظهر كل ذلك في أدب الإمام أحمد رضا."(٢)

و يحدثنا الأستاذ علي عباس الجلالفوري عن أدب الإمام أحمد رضا بقوله: "لقد قام الشيخ أحمد رضا بنظم المدائح النبوية الرائعة بالأردية والفارسية، والتى لايكمل دونها مجلس من مجالس الصلاة والسلام على خير الأنام] فى شبه القارة بما فيها كل من باكستان، وبنجلا ديش والهند[، إن كل كلمة من كلماته من المدائح التى نظمها تحمل عبير الحب النبوي الشريف، وتملأ قلوب المستمعين حبا وغراما."(٣)

و حدثنا الدكتور غلام مصطفى خان (رئيس قسم اللغة الأردية الأسبق بجامعة السند) عن أدب الإمام أحمد رضا بقوله: " أرى أن مولانا أحمد رضا خان هو العالم الديني الذى استخدم الأساليب الأردية فى نظمه ونثره الأرديين، وأنه زيَّن الشعر الأردي بعلمه وأدبه."(٤)

---

(١) المرجع السابق، ص: ٢١

(٢) مريد أحمد الجشتي، جهان رضا، ص: ١٧٢

(٣) المرجع السابق، ص: ١٠٩

(٤) مريد أحمد الجشتي، خيابان رضا (عظيم ببلى كيشنز، لاهو) ص: ٦٨

هذه هي بعض الانطباعات لشخصيات تنتمى إلى شتى المدارس والاتجاهات الفكرية، فقد قاموا جميعا بالثناء على أبعاد شخصية الإمام أحمد رضا إلا أن مخالفه (مؤلف الكتاب: البريلوية) مصرٌّ على قول: "لاأوافق." ويعلق على شعر الإمام قائلا: "أما لغته فمغلقة مبهمة وقلَّ ما يُعرف كلامه ويُدرك كنهه ويُعلم مقصده لتعقيد العبارات وإبهام الأسلوب، وأحيانا كان يتعمد على ذلك لإظهاره على الناس أنه عالم مغوار، وكاتب عميق."(١)

أعيدوا أيها القراء الكرام النظر فى الانطباعات المذكورة آنفا عن أدب الإمام أحمد رضا فإنكم سوف تعرفون بوضوح أن العصبية العمياء تذهب بالإنسان بعيدا عن الحقائق، وإنها حقيقة علمية أنه عندما يتجاوز الحديث العلمي المستوى المعتاد إلى مستوى البحث والتحقيق والمصطلحات العلمية والفنية فإن الوصول إلى فهمه يصعب على عامة الناس، وتنكشف هذه الحقيقة عليكم بمطالعة فيوض الحرمين، والهمعات، والتفهيمات الإلهية للإمام ولي الله المحدث الدهلوي.

## قيامه بالوعظ والخطابة

لاحظنا أنه لايتمكن عالم من العلماء من الكتابة العلمية والخطابة معا، إلا أن الإمام أحمد رضا كان بارعا فيهما، غير أنه كان يفضل الكتابة على الخطابة، لأن نفع الخطابة محدود بينما تمكث الكتابة -بإذن الله تعالى- لفترة طويلة وتصل إلى أماكن بعيدة. لقد أعلن مولانا عبد القيوم البدايوني ذات مرة فى المسجد الشمسي الجامع أن مولانا أحمد رضا سوف يلقى كلمته بعد صلاة الجمعة فاعتذر فضيلة الإمام عن إلقاء الكلمة قائلا: "لا ألقى الخطب عموما" إضافة إلى أننى لم أخبَر مقدَّما عن هذه المهمَّة. إلا أن مولانا عبد القيوم البدايوني لم يقبل عذره، فقام الإمام أحمد رضا بإلقاء الكلمة الارتجالية التى استمرت لمدة ساعتين، فقال مولانا عبد القيوم البدايوني -و الذى كان

(١) البريلوية، ص: ٢٨

هو الآخر خطيبا عظيما- معلّقا على كلمة الإمام: "لايستطيع عالم حتى بعد الإطلاع على الكتب والاستعداد الجيد أن يمتّع المستمعين بالكلمة المليئة بالمعلومات والمتسمة بالتأثير العميق مثل كلمة فضيلتك، وفضيلتك محظوظ بهذه السعة العلمية."(١)

أخبرنا الدكتور السيد عبد الله (الرئيس الأسبق لدائرة المعارف الإسلامية بجامعة بنجاب) عن جوانب شخصية الإمام بقوله: "يعد العالم عقل القوم ولسانه، فالعالم الذى يتركز عقله ونظره على القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف فإنه يوصف - عن جدارة واستحقاق- بترجمان العلم والحكمة، ونقيب الحق والصدق، والمحسن للإنسانية جمعاء، ولو قلتُ: كان الإمام أحمد رضا البريلوي متصفا بهذه الصفات فلايكون قولى هذا بشيءٍ من المبالغة بل يكون اعترافا بالحقيقة، فقد كان فضيلته عالما جيدا، وحكيما عظيما، وفقيها عبقريا، ومفسرا ذا نظرة علمية واسعة، ومحدثا عظيما، وخطيبا ذا أسلوب أخاذ يقع من القلوب موقع السحر."(٢)

و الذين يجهلون الحقائق أو يتجاهلون فإن رأيهم عن فضيلة الإمام يظهر كما يلى: "ولم يكن فصيحا فى الكلام، لا في الكتابة ولا في الخطابة، ولقد أدرك ذلك نفسه ولم يكن يخطب لا في الجمعة ولا في العيدين اللهم إلا العيد الثالث المخترع الذى ابتدعه هو وذووه وأمثالهم من قبل. (٣) وهو عيد ميلاد النبي كما يسمونه، ويوم ممات

(١) البهاري، ظفر الدين، حيات أعلى حضرت، ج: ١، ص: ٩٥

(٢) محمد مسعود أحمد، الدكتور، حيات مولانا أحمد رضا خان، ص: ١٤

(٣) هذه أيضا تهمة وخيانة علمية أن الإمام أحمد رضا هو المخترع لعيد ميلاد النبي ﷺ. لقد علمتُ خلال إقامتي في القاهرة للدراسة في الازهر الشريف أن المصريين يحتفلون بالمولد النبوي الشريف منذ زمن طويل، ومازال مشايخ الطرق الصوفية وابناؤهانهم يحتفلون بالنعمة الكبري على العالم ﷺ، كما علمت أن المسلمين يحتفلون بالمولد النبوي الشريف في البلاد العربية، والإفريقية، والآسيوية مثل ماليزيا واندونيسيا، وفي الدول التي كانت تحت سيطرة الاتحاد السوفيتي مثل: الشيشان، وداغستان وغيرها من البلاد، فلم يكن الإمام أحمد رضا مخترعا لهذا الأمر المباح. (المترجم)

شيخه ومرشده آل رسول المَارَهرَوِي الذين يسمونه يوم العرس."(١)

هنا يطرح السؤال نفسه: كيف كان الإمام أحمد رضا يخطب فى عيد المولد النبوي الشريف وفى يوم رحيل شيخه (أى فى ذكراه السنوية) مع أنه -على حد قول مؤلف البريلوية- لم يكن فصيحا فى الكلام لا فى الكتابة ولا فى الخطابة؟ فالذى لا يجيد الخطابة لا يُقدِم عليها، وما الدليل على أن فضيلة الإمام لم يكن يخطب لا فى الجمعة ولا فى العيدين؟

حكي الدكتور أحمد علي ما شاهدته عينه فى صغر سنه، قائلا: "كان والدي يذهب إلى المسجد الجامع بالحي الجديد ببريلي لصلاة الجمعة وكنت فى أغلب الأحيان أرافقه، وكنا نجلس فى الصف الثانى أو الثالث، وفى هذا المسجد كان فضيلة الشيخ أحمد رضا يلقي خطبة الجمعة، ومازال منظر جلوسه على المنبر ماثلا أمام عينيَّ، كما أنني لم أنس ملامح وجهه، فقد كان فضيلته رفيع القامة، ذا وجه جميل يجمع بين الحمرة والبياض، وكانت لحيته قد ابيضت إلا أنها كانت تبدو جميلة للغاية. وكان صوته غاية فى الحلاوة، واتصف وعظه دائما بالتأثير، ومع أننى كنت صغيرا إلا أننى مازلت أذكر أن مواعظه كانت جذابة إلى حد بعيد، وكنت أجد فى نفسي إيقاع تلك المواعظ، بينما كانت حالة غيرى من المستمعين أكثر انفعالا وتأثرا بتلك المواعظ، ولعل فضيلة الإمام كان يريد وعظا طويلا إلا أنه كان يوجز خطبة الجمعة من أجل التيسير للمستمعين."(٢)

لقد كان فضيلة الإمام يروى الحكايات المأثورة ضمن خطبه للجمعة وذلك من أجل إثارة الأشواق إلى الخطبة إلا أن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية كانت أساسا لخطبه ومواعظه.(٣)

---

(١) البريلوية، ص: ٢٨

(٢) عابد أحمد علي، الدكتور، مقالات يوم رضا (ط: أكاديمية رضا، لاهور) الجزء الثالث، ص: ٨

(٣) مقالات يوم رضا، الجزء الثالث، ص: ٨، ٩

لقد ذكر مؤلف الكتاب "البريلوية" عن فضيلة الإمام أنه كان يخطب بمناسبتين فقط وأورد اسم "حياة أعلى حضرة للبهاري الرضوي" فى الهامش رقم: ٧٩ كمصدر لهذا الكلام إلا أنه لم يذكر رقم الصفحة بجانب الكتاب وهكذا نسب إلى الإمام أحمد رضا عدم الإقدام على الخطبة فى غير المناسبتين مع أنه يوجد فى المصدر المذكور بكل صراحة أن فضيلة الإمام كان يلقى الخطب الرائعة غير الخطبتين المذكورتين، كما أنه كان يلقى الخطب بناءً على طلب سكان بريلي فى مجالس أخرى أيضا.

و إليكم اقتباس من الكتاب الذى أفاد منه مؤلف الكتاب:" يقول مولانا ظفر الدين البهاري: "كان فضيلة الإمام يلقى خطبا ثلاثة من أروع الخطب فى سنة، الأولى فى حفلة تكريم الخريجين بالعمائم بمدرسة أهل السنة والجماعة فى مسجد بى بى جي، حي بهاري فور، والثانية فى شهر ربيع الأول، وكان يلقى الخطبتين السنويتين فى الساعة الثامنة صباحا وبعد صلاة العشاء ليلا ... وكان أشراف المدينة يُدعَون إلى هذه المجالس بالدعوات المطبوعة، وقد بلغ الاهتمام بهذه المجالس فى الحي إلى درجة أنه لم تكن تعقد حفلة فى ذاك اليوم فى تلك المنطقة ... وكان الوعظ السنوي الثالث ينظَّم فى الثامن عشر من شهر ذى الحجة بمناسبة العرس (أى الذكرى السنوية) للسيد الشريف آل رسول المارَهرَوي قدس سره - إضافة إلى أنه كان يلقى خطبة بناء على طلب أهل تلك البلدة من حين لآخر أيضا."(١)

## مصنفات الإمام أحمد رضا

بفضل الله وتوفيقه أكمل الإمام أحمد رضا دراسته الدينية الرائجة آنذاك فى الرابع عشر من شهر شعبان سنة ١٢٨٦هـ، وكان وقتئذ ابن خمس عشرة سنة إلا ربع السنة فتشرف بالشهادة والعمامة التى هى رمز تكميل الدراسة الدينية، وفى اليوم نفسه تم تفويض أمر الإفتاء إليه (٢) فظل الإمام أحمد رضا من ذلك اليوم إلى ختام رحلة حياته يفتى ويصنف

(١) حيات أعلى حضرت، ج ١، ص ٩٦-٩٧

(٢) محمد صابر نسيم البستوي، مولانا، أعلى حضرت بريلوي، ص: ٣٢، ٣٣

حتى أنه خلّف تراثا علميا عظيما للأمة الإسلامية والآن قد مضى على رحيله أكثر من ستين سنة ولما تطبع جميع مصنفاته.[١]

و مما هو جدير بالذكر أن مصنفات الإمام أحمد رضا ليست من الكتب المحرومة من عناية أهل العلم بل يحتفظ بها كل من يعثر عليها بكل اهتمام، وخير دليل على كلامنا هذا أننا نجد بعض الكتب الجديدة فى سوق الكتب القديمة والتى تباع بنصف الثمن ولكننا لانكاد نعثر على مؤلفات الإمام فى هذه السوق حتى ولو كانت مطبوعة على ورق شعبي رخيص.

## عدد المصنفات

لقد بين الإمام أحمد رضا بنفسه عدد مؤلفاته فى تأليفه "الدولة المكية بالمادة الغيبية" سنة ١٣٢٣هـ / ١٩٠٦م أن تصانيفه تجاوزت عن مائتين[٢] فعلق ابنه مولانا محمد حامد رضا على هذا الكلام فى الهامش قائلا: "يعني فى الرد على الوهابية وإلا فهي متجاوزة عن أربع مائة." [٣] هذا وقد قام مولانا ظفر الدين البهاري بإعداد قائمة المصنفات[٤] للإمام أحمد رضا عام ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م فذكر أسماء ثلاث مائة وخمسين مؤلَّفا وقد صرَّح بما يلى: "لاأقول إنها جميع مؤلفاته بل هي أسماء مؤلفات الإمام التى هى بين يديَّ عند إعداد القائمة، وإنني أرجو أن يتم -بفضل الله تعالى- العثور على المزيد مما يقارب حوالى خمسين رسالة وذلك بالبحث والنظر فى الحقائب القديمة والجديدة."[٥]

و عندما قام مولانا ظفر الدين البهاري بتأليف الكتاب: "حيات أعلى حضرت"

---

(١) لقد كتب العلامه محمد عبد الحكيم شرف القادري رحمه الله هذا الكلام عام: ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م

(٢) أحمد رضا، الإمام، الدولة المكية (ط: مكتبة رضوية، كراتشى) ص: ١١

(٣) ننظر: المرجع السابق، ص: ١١

(٤) البهاري، ظفر الدين، مولانا، المجمل المعدد لتأليفات المجدد (ط: مجلس رضا، لاهور) ص: ٤

(٥) المرجع السابق، ص: ٤

قال: "تجاوز عدد مؤلفات الإمام أحمد رضا عن ستمائة كتاب."(١) وبلغت القائمة التى أعدت فيما بعد إلى ثمانية وأربعين وخمسمائة من المصنفات.(٢)

أما المفتى إعجاز ولي خان ﷺ والذى كان عالما جليلا وواحدا من أقارب الإمام أحمد رضا فذهب إلى أن مصنفات الإمام أحمد رضا تبلغ الألف.(٣)

و الذى لايعرف حقيقة الأمر جيدا ولم يطلع على سبب الاختلاف فى بيان العدد يمكن أن يقع فى الحيرة والاضطراب، لذا قيل: "إن القوم قد أشربوا حب المبالغة والغلو فإنهم لايتكلمون الكلمة إلا ولايُعرف مقدار صحتها من الغلط لأنهم لايشبعون من الصدق فيضطرون إلى الكذب ويظنون أنه لايمكن المدح إلا وأن يكون ممزوجا بالغلو، فلأجل ذلك تضاربت أقوالهم فى هذا الخصوص مثل المواضيع الأخرى، فقال قائلهم: إن مؤلفات البريلوي مايقارب المائتين، أو الثلاث مائة والخمسين أو أربع مائة، وقال آخر إنها تتجاوز خمسمائة، وقال الرابع بل تجاوزت ست مائة كتاب، والخامس لم ير هذا العدد كافيا فقال: إنها بلغت الألف بل وأكثر منها."(٤)

إن عدد مصنفات الإمام ليس من المسائل المعقَّدة التى لاتنحل، فإن الإمام أحمد رضا قد بين عام ١٣٢٣هـ / ١٩٠٦م أن مصنفاته تجاوزت المائتين، العدد الذى حوَّله مؤلف البريلوية بما يقارب المائتين، كم هو الفرق بين التعبيرين؟! وفى هذا المقام كتب مولانا محمد حامد رضا أنها مصنفات فى الرد على الوهابية، وإلا فمجموع المصنفات متجاوز عن أربع مائة، وفى عام ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م قام مولانا ظفر الدين البهاري بإعداد قائمة مؤلفات فضيلة الإمام والتى بلغت الخمسين وثلاث مائة تصنيف، إلا أنه صرَّح أن

---

(١) البهاري، ظفر الدين، مولانا، حيات أعلى حضرت، ج: ١، ص: ١٣

(٢) أنوار رضا، ص: ٣٢٦-٣٤٨

(٣) إعجاز ولي خان، المفتى، ملحق المعتقد المنتقد لمولانا فضل الرسول البدايوني (ط: مكتبة ايشق، تركيا) ص: ٢٦٦

(٤) البريلوية، ص: ٢٨، ٢٩

هذا العدد ليس هو الأخير فإنه يمكن العثور على ما يقارب خمسين رسالة للإمام، وقد ذهب المفتى إعجاز ولي خان إلى أن مصنفات الإمام أحمد رضا تبلغ الألف وهو أمر غير بعيد.

لقد أصدرت مجلة الميزان الصادرة من مدينة بومبائي عددا خاصا بالإمام أحمد رضا أدرجت فيها قائمة بلغت ثمانية وأربعين وخمس مائة تصنيف للإمام أحمد رضا، ولكنها ليست هى القائمة الأخيرة، يقول مولانا يسين أختر المصباحي فى هذا الصدد: "لقد أعدَّ مولانا عبد المبين النعماني قائمة مفصلة لمصنفات الإمام أحمد رضا بعد بحث دقيق والذى سوف يطبع قريبا عن المجمع الرضوي."[1] يقول مولانا السيد رياست علي القادري: "فقد ذكر الأستاذ الدكتور محمد مسعود أحمد فى تاليفه: "حياة مولانا أحمد رضا خان البريلوي" أربعة وأربعين وأربع مائة تصنيف ما بين الكتب والحواشي للإمام أحمد رضا، وإنه يعدُّ موسوعة الإمام أحمد رضا الببلوغرافية والتى هى فى مرحلتها الأخيرة."[2]

و فى مثل هذه الظروف والأوضاع لانملك إلا أن نقول: بلغت مصنفات الإمام أحمد رضا أربعة وأربعين وثمانمائة تصنيف إلى أن تظهر مؤلفات أخرى لفضيلة الإمام، أما ما قاله بعض المهتمين بالدراسات الرضوية أن مؤلفات الإمام أحمد رضا بلغت ألفا فيمكن أن يكون على أساس الظن والتخمين.

### براعة الإمام أحمد رضا في الفقه الحنفي

لقد كان فضيلة الإمام عالما دينيا وفقيها حنفيا جليلا، وللإعلام بمكانته العلمية نكتفى بذكر الانطباعات والآراء التالية:

يحدثنا الدكتور عابد أحمد علي عن مجلس علمي فيقول: "لقد قام أستاذي المحترم

---

(١) المصباحي، يسين أختر، مولانا، إمام أحمد رضا أرباب علم ودانش كي نظر مين (ط: أكاديمية رضا، مباركفور) ص: ٤٢

(٢) القادري، رياست علي ، السيد، إمام أحمد رضا كي حاشيه نكارى (طبعة كراتشي) ص: ٧

مولانا سليمان أشرف البهاري ذات مرة بدعوة العلامة محمد إقبال إلى بيته، وفى ذلك المجلس جرى ذكر مولانا أحمد رضا خان البريلوي فأعرب العلامة محمد إقبال عن رأيه فى مولانا أحمد رضا خان بقوله: لقد كان فضيلته عالما دينيا متصفا بالذكاء ودقة النظر وكان قد أُكرم بالبصيرة الفقهية العظيمة، وتتجلي مواهبه الاجتهادية ومكانته الفقهيه بمطالعة فتاواه، وإنه من الصعوبة بمكان أن نعثر على فقيه ذكي مثله فى عصر المتأخرين بالهند." وأضاف العلامة محمد إقبال إلى ذلك مشيرا إلى الشدة المنسوبة إلى الإمام تجاه بعض الشخصيات فقال: "لولا هذه المشكلة لنفع علمه وفضله الأمة الإسلامية فى مشاكلها الأخرى أكثر مما نفع وبكل تأكيد عُدَّ فضيلته أباحنيفة عصرنا هذا."(١)

و عن براعته الفقهيه يخبرنا الشيخ أبوالحسن علي الندوي قائلا: "يندر نظيره فى عصره فى الاطلاع على الفقه الحنفي وجزئياته، يشهد بذلك مجموع فتاواه وكتابه "كفل الفقيه الفاهم فى أحكام قرطاس الدراهم" الذى ألفه فى مكة سنة ثلاث وعشرين وثلاث مائة وألف."(٢)

قال الأستاذ غلام علي نائب الشيخ المودودي عن الرسوخ العلمي للإمام: "فى حقيقة الأمر قد كنا حتى اليوم ضحية سوء الظن عن مولانا أحمد رضا خان، فإننى وصلت بعد مطالعة بعض تصانيفه وفتاويه إلى أن الرسوخ العلمي الذى يوجد عنده لانعثر عليه إلا عند قلة قليلة من العلماء، كما أن الحب الإلهي وحب الرسول ﷺ يتضوع من كل سطر كتبه مولانا أحمد رضا."(٣)

قال الشيخ معين الدين الندوي: "لقد كان مولانا أحمد رضا من العلماء المصنفين من أصحاب العلم والرأى، لقد قام فضيلته بالرد على أسئلة العلماء فضلا عن عامة الناس الأمر الذى يدل على جامعيته، وبصيرته العملية، وذكائه. إن فتاويه العلمية جديرة بمطالعة

(١) عبد النبي كوكب، مقالات يوم رضا، الجزء الثالث، ص: ١٠

(٢) اللكنوي، عبد الحي، نزهة الخواطر، ج: ٨، ص: ٧١ (التكملة للشيخ ابي الحسن الندوي)

(٣) المصباحي، يسين أختر، مولانا، إمام أحمد رضا أرباب علم ودانش كي نظر مين، ص: ٧

من يوافقونه فى الأفكار والآراء ومن يخالفونه فيها."(١)

ليست هذه الآراء والكلمات لمتبعي الإمام أحمد رضا، بل بالعكس إنها انطباعات من لايوافقونه فى الأفكار والآراء غير العلامة محمد إقبال، لذا لاتعدّ هذه الانطباعات من الغلو والمبالغة فى شيء.(٢)

## أهم مؤلفات الإمام أحمد رضا في الفقه وأصوله

لقد ترك الإمام أحمد رضا خلفه تراثا علميا في مختلف التخصصات بين مطبوع ومخطوط، والباحثون الجامعيون يدرسون جوانب تراثه العلمي في جامعات الهند، وباكستان، وبنجلا ديش وغيرها من البلاد. وفيما يلي نذكر أهم مؤلفاته ﷺ.

### (١) الفتاوى الرضوية

يعد "العطايا النبوية فى الفتاوى الرضوية" تأليف الإمام أحمد رضا على رأس القائمة لمصنفاته، لقد طبع حتى الآن (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) سبع مجلدات ونصف مجلد من فتاوى الإمام أحمد رضا حيث يختلف حجم المقاس وعدد الصفحات من مجلد لآخر، ولو رتبت هذه المجلدات فى مقاس واحد وحجم متماثل على نهج الأسلوب العلمي الحديث مع ترجمة العبارات العربية والفارسية إلى اللغة الأردية والتنبيه على

---

(١) المصدر السابق، ص: ٧

(٢) لقد منحت كلية الشريعة والقانون درجة التخصص الماجستير في الفقه العام للباحث الشيخ مشتاق أحمد شاه (تلميذ الشيخ محمد كرم شاه الأزهري ﷺ وابن أخيه) في عام ١٩٩٨م وذلك بعد مناقشة رسالته التي قدمها إلى قسم الفقه العام تحت عنوان: "الإمام أحمد رضا خان وأثره في الفقه الحنفي." وقد أعد الباحث هذه الرسالة الجامعية تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبد الفتاح محمد النجار، ونوقشت هذه الرسالة العلمية في: ١٥ فبراير عام ١٩٩٨م فكان الأستاذ الدكتور أحمد محمد الحصري رئيسا للجنة المناقشة وعضوا من الداخل، كما كان الأستاذ الدكتور محمد سيد أحمد عامر عضوا من الخارج. وقد كنت موجودا في هذه المناقشة العلمية. (المترجم.)

المصادر والمراجع فى الهامش فإنها سوف تظهر على الأقل فى ثلاثين مجلدا.[١]

هذا وقد قال مؤلف الكتاب: "البريلوية" عن الفتاوى الرضوية: "نلفت أنظار القراء إلى أكاذيب هذه الطائفة، الأكاذيب الصريحة الفاحشة حيث أنه يقول: إن هذه الفتاوى تشتمل على اثني عشر مجلدا والمعروف أنه لم يطبع منها إلا المجلد الواحد على القطع الكبير والبقية كلها على الحجم الصغير."[٢]

من البدهيات أنه ليس من الضرورة أن يكون الكتاب مطبوعا حتى يتم توثيقه، فإن كثيرا من كتب المتقدمين ما زالت بعض مصنفاتهم مخطوطة، فهل يمكن لنا أن ننفي نسبة هذه الكتب المخطوطة إلي أصحابها بدليل أنه لم يطبع مجلد واحد من مجلداتها الكثيرة.

نحيط مؤلف الكتاب: "البريلوية" علما أنه توجد لدينا المجلدات الثمانية للفتاوى الرضوية والتى طبعت فى الهند غير المجلد الثانى، والذى يريد أن يتأكد من صحة هذا الكلام فإنه يستطيع الاطلاع عليها عندنا. لقد تحدث الرجل عن المجلد الأول للفتاوى الرضوية قائلا: "و المجلد الذى طبع على القطع الكبير يشتمل على ٢٦٤ صفحة."[٣] لعله خطأ مطبعي وإلا فالمجلد الأول المطبوع فى باكستان يحتوى على ثمانين وثمان مائة صفحات من القطع الكبير.

هذا ومؤلف "البريلوية" يقول عن الفتاوى الرضوية: "إن قول البريلويين أن كتبه

---

(١) لقد كتب الشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادري رحمه الله هذا الكلام فى العام المذكور بعاليه وإنه طبع الكتاب: "الفتاوى الرضوية" فعلا فى ثلاثين مجلدا مع التحقيق والتخريج فى مقاس واحد وحجم واحد تقريبا من مؤسسة رضا بالجامعة النظامية الرضوية بلاهور، وقد احتوت ثلاث مجلدات من "الفتاوى الرضوية" الأخيرة على فهارس الموضوعات، وهكذا بلغت مجلدات الفتاوى إلى ثلاثة وثلاثين مجلدا، فقد كانت بداية هذا المشروع من عام ١٩٩٠م واكتمل فى عام ٢٠٠٦م. (المترجم)

(٢) البريلوية، ص: ٣٤

(٣) المرجع السابق، ص: ٣٤

تتجاوز الألف هذا مما لايثبت بالدليل لأن لفظة الكتاب لاتشمل إلا فتاواه التى طبعت فى ثماني مجلدات فقط صغير الحجم وكبيره والباقى كلها رسائل وكتيبات لايطلق عليها اسم الكتاب."[1]

يبدو كأن لفظة الكتاب لاتستخدم عنده إلا لكتاب يحتوى على مجلدات ضخمة وآلاف الصفحات، وفيما يلى نذكر أسماء بعض الكتب التى تحتوى على صفحات معدودة:

(١) الفقه الأكبر للإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان رحمه الله وأمامنا كتاب طبع من مدرسة نصرة العلوم، كوجرانواله، والذى لايتجاوز خمسا وعشرين صفحة من القطع الصغير.

(٢) الأربعين للإمام النووي: لقد قام بعض العلماء بإعداد مجموعات من الأحاديث النبوية التى تبلغ الأربعين، منها مجموعة تعد من مؤلفات الإمام النووي[2] مع أنها لاتتجاوز خمس عشرة صفحة.

(٣) يك روزه: تأليف محمد إسماعيل الدهلوي والذى لايتجاوز إثنين وثلاثين صفحة من القطع الصغير.

(٤) فتاوى الشاه رفيع الدين: طبعة المطبع الأحمدي، دهلي تحتوى هذه المجموعة من الفتاوى على تسع رسائل فى أربعين صفحة، يا تُرى كم صفحة تكون لرسالة واحدة؟!

(٥) الفتح الخبير للإمام ولي الله المحدث الدهلوي، تحتوى هذه الرسالة على صفحات معدودة والتى ضُمَّت إلى الفوز الكبير ولكنها مع هذا تعدُّ فى قائمة المؤلفات للإمام ولي الله الدهلوي كتصنيف مستقل بذاته.

(٦) إشارة المسبحة رسالة للإمام ولي الله محدث الدهلوي محتوية على صفحات ثلاثة ونصف صفحة وقد طبعت ضمن الفتاوى العزيزية للإمام عبد العزيز المحدث

---

(١) المرجع السابق، ص: ٣٠

(٢) العراقي، عبد الرشيد، إمام نووي اور ان كي تصنيفات، ماهنامه ترجمان الحديث (عدد يونيو ١٩٨١م) ص: ٤٥

الدهلوي.

هذا والمصنفات ذات الحجم الصغير كثيرة لشخصيات كثيرة وقد ذكرنا هنا بعض النماذج علي سبيل المثال لا الحصر، وفى الحقيقة تعدُّ كل كتابة علمية رسالة وتصنيفا حتى ولو كانت محتوية على صفحات معدودة، وليس من الضرورة أن تكون محتوية على آلاف الصفحات. وقد قيل عن الرسائل المنضمة إلى الفتاوى الرضوية: "إن الفتاوى بمجلداتها الثمانية لم يطلق عليها اسم الكتاب إلا أنه أدرج هذه الرسائل والكتيبات جميعا فغرق جل هذه الرسائل إن لم نقل كلها فى هذه المجلدات."[1]

لو جردت هذه الرسائل من "الفتاوى الرضوية" فإن حجمها سوف يظل حجما لا بأس به، ونظرا لأهميتها تطبع بعض هذه الرسائل بصفة مستقلة.

لقد ذُكر أبجدُ العلوم فى ثلاثِ مجلدات للشيخ صديق حسن البوفالي ضمن مقدمة الكتاب كتصنيف له، ثم ذُكر كل من المجلد الأول باسم "الوشى المرقوم" والمجلد الثانى بـ"السحاب المركوم" فى عِداد مؤلفاته.[2]

لقد كتب مؤلف الكتاب: "البريلوية" عن رسائل الإمام أحمد رضا: "و بعض هذه الرسائل لاتشتمل إلا على ست صفحات مثل "تنوير القنديل" وسبع صفحات مثل "تبيان الضوء" والبعض على ثماني صفحات مثل: "لمع الأحكام" و"هبة الحمير".[3]

لعله لم ينتبه إلى أن الصفحات القليلة التي ذكرها كانت من القطع الكبير والتى لو أننا حوّلناها إلى القطع الصغير لتضاعفت الصفحات ثلاث مرات، وقد أشرنا إلى الرسائل المحتوية على الصفحات المعدودة لشخصيات يعترف بعظمتها مؤلف الكتاب: "البريلوية" أيضا، وهذه الكتيبات على الرغم من صغر حجمها تعدُّ من مصنفات أصحابها.

---

(١) البريلوية، ص: ٣٠

(٢) القنوجي، صديق حسن، أبجد العلوم، ج: ٣، ص: ٢٧٥

(٣) البريلوية، ص: ٣٣

## تعليق الشيخ إحسان إلهي ظهير علي الحواشي العلمية لفضيلة الإمام

لقد ترك الإمام أحمد رضا وراءه الكثير من الحواشي العلمية علي بعض مؤلفات العلماء السابقين بما أكرمه الله من علم وفقه،[(١)] وهو أمر عظيم إلا أن مؤلف الكتاب "البريلوية" غير مستعد للاعتراف بقيمة الحواشي التى سجلها الإمام أحمد رضا بل بالعكس يعلق عليها بقوله: "فهذا هو ما فى جعبة القوم أنهم ذكروا جميع الكتب التى كانت فى مكتبة البريلوي، وكان يلقي عليها النظرات، أو علّق على صفحة وصفحتين منها فجعلوها مصنفا لمجددهم وعدُّوها فى جملة كتبه ومؤلفاته، ثم لم يطبع منها ولا كتيب فضلا عن كتاب."[(٢)]

صحيح أن الإمام أحمد رضا لم يكتب جميع هذه الحواشي بصفة مستقلة إلا أن هذه الحواشي العلمية بلغت مبلغا لا بأس به، ويمكن أن تطبع بشكل الكتيبات.

### (٢) حاشية الإمام علي الطحاوي

لقد طبعت حواشي الإمام أحمد رضا على الطحاوي على "رد المحتار" باسم تعليقات رضا، رتبها وترجمها إلى الأردية مولانا محمد صديق الهزاروي، وقام مجلس رضا المركزي بطبعها سنة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، وتحتوي هذه الحواشي على إثنين وسبعين ومائتي صفحة وتشتمل الحواشي العربية على ست وثمانين صفحة.

---

(١) يعرف رجال البحث والتحقيق أن جمع النصوص والمعلومات فقط من المصادر المتعلقة بموضوع معيّن لا يعدُّ من البحث والتحقيق بشئ، بل يعدُّ رأي الباحث على النص، أو تعليقه على نص أو موضوع، أو قيامه بالمقارنة بين الآراء أو المذاهب، أو قيامه بالدراسة التحليلية في ضوء النصوص والآراء بحثا. وإن جمع المادة من المصادر شئ والإبداع في ضوء ما كتبه الآخرون شئ آخر، ولو قام فضيلة الإمام بجمع المادة العلمية من المصادر والمراجع لكتب الحواشى فى مجلدات كثيرة، إلا أنه أكب على المهمة الإصلاحية لتواجده في عصر انحطاط المسلمين وانهيارهم السياسي، إضافة إلى ظهور الفتن في الهند المقهورة- ولم يتفرغ لكتابة الحواشي المفصلة على الكتب. (المترجم)

(٢) المرجع السابق، ص: ٣٢، ٣٣

**(٣) حاشية الإمام علي معالم التنزيل للبغوي**

وطبعت كذلك حواشي الإمام أحمد رضا على "معالم التنزيل للبغوي" والتى رتبها وترجمها إلى الأردية مولانا محمد صديق الهزاروي وهي تحتوي على أربعة وأربعين صفحة، هذا وقد طبع الكتاب باسم "البريلوية" بعد ثلاثة وعشرين مارس سنة ١٩٨٣م لذا لا مبرر لعدم اطلاع مؤلفه على هذه التعليقات الرضوية المطبوعة.

**(٤) حاشية الإمام على "رد المحتار"**

من الطريف أن حاشية الإمام أحمد رضا على "رد المحتار" هى الأخرى كان قد طبع مجلدها الأول من حيدرآباد الدكن سنة ١٩٨٢م والتي سوف تطبع فى خمس مجلدات، لعل مؤلف الكتاب: "البريلوية" لم يطلع على هذه الحاشية أيضا.

**(٥) حاشية الإمام على فواتح الرحموت**

يعد "مسلم الثبوت" للعلامة محب الله البهاري من أدق الكتب فى أصول الفقه فشرحه بحر العلوم العلامة عبد الحي اللكنوي ﷀ باسم "فواتح الرحموت" فكان أسلوبه هو الآخر دقيقا ولايخفى هذا الأمر على أهل العلم، ومن هذا المنطلق قام الإمام أحمد رضا بكتابة الحاشية على فواتح الرحموت والذى يحتوي على ٤١٨ صفحة وصورة هذا المخطوط موجودة عند كاتب السطور [١] والكثيرين من اهل العلم ويمكن الاطلاع عليها.

(١) ألا وهو الشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادري ﷀ. (المترجم)

# فضيلة الإمام والسياسة الإسلامية

يظهر من مطالعة تاريخ شبه القارة الهندية أن تواجد المسلمين فى الهند لم يكن محببا لدى الهنادكة فى فترة من الفترات التاريخية، وكان تفكيرهم تجاه الإسلام أنه وافد على الهنود وأنه دين أجنبي، وعلى المسلمين الهنود أن يرجعوا إلى دينهم الذى ورثوه أبا عن جد، وكان الهنادكة يعتقدون أن جميع سكان الهند يشكلون قومية هندية واحدة، وقد تزايد تاثير الهنادكة فى البلاط الملكي فى عصر الملك أكبر والذى حاول إنشاء ديانة جديدة باسم الدين الإلهي، والذى كان خلاصة للهندوسية والإلحاد، وكانت أضرار هذه الديانة بالنسبة للهنادكة قليلة بل معدومة، أما المسلمون فكان إيمانهم عُرضة للخطر، ولو كانت هذه الحركة الهدَّامة نجحت لحُرم أغلب المسلمين من حلاوة إيمانهم.

و فى مثل هذه الظروف شمَّر الإمام الرباني، مجِّدد الألفية الثانية الشيخ أحمد السَّرهندي الفاروقي رحمه الله عن ساعد الجِدِّ، فقامت مكاتيبه (أى رسائله) وملفوظاته (أى توجيهاته الشفوية) بدور إيجابي إصلاحي فعال، والذى لم يتمكن منه الملوك وجيوشهم، فكانت جهود الإمام السرهندي بمثابة حاجز منيع أمام الإلحاد الذى حاول أن يبتلع المسلمين فنجت الأمة الإسلامية من ضياع هويتها. وفى العصر نفسه نهض الشيخ المحقق الإمام عبد الحق المحدِّث الدهلوي وغيّر مجرى الحوادث بنشر تعاليم الدين الحنيف من خلال مؤلفاته ومصنفاته.

ثم انتقلت ريادة الأمة إلى الشيخ عبد الرحيم المحدث الدهلوي، والإمام ولي الله المحدِّث الدهلوي والشيخ عبد العزيز المحدِّث الدهلوي رحمهم الله، فقام كل واحد منهم بمهمة إرشاد الأمة خير قيام، وبعد رحيلهم وهب كل من العلامة فضل حق الخير آبادي، والشيخ فضل رسول البدايوني، والشيخ أحمد سعيد المجدِّدي، ومولانا إرشاد حسين الرامفوري رحمهم الله أنفسهم للدفاع عن العقائد والأقدار الإسلامية.

و فى القرن التاسع عشر الميلادي خلق الله شخصية كانت خير خلف لخير سلف من الشخصيات المذكورة بعاليه، والتى كانت قد ارتحلت عن عالمنا الفاني إلى دار البقاء، إنها شخصية الإمام أحمد رضا الذي كان محدثا ومفتيا، ومصلحا في المجالات الدينية والسياسية، لأن السياسة في الإسلام علي عكس المسيحية متصلة بالدين اتصالا قويا، وليست منفصلة عنه.

لقد تحدث وزير الشئون الدينية والأقليات الأسبق الأستاذ كوثر النيازي عن الجانب السياسي لشخصية الإمام أحمد رضا بقوله: "مما يجب أن يُفهم أن الإمام أحمد رضا لم يكن زعيما سياسيا إنما كان حكيما مدبرا، فالزعماء السياسيون يبغون أهواء الشعب أما الحكماء المدبرون فهم يتنبأون بالمستقبل ويخططون له، ولاشك أن تلك الحركات (حركة ترك الموالات، وحركة الخلافة، وحركة الهجرة) في ازمنتها كانت سيلا مفعما من الانفعالات، ولكن ماذا أثمرت تلك الحركات؟"[1]

## حركة ترك الموالاة

نشأت حركة الامتناع عن موالاة الإنجليز باسم حركة ترك الموالاة سنة ١٩١٩م فى أرجاء الهند المحتلة وذلك نظرا للمظالم الإنجليزية على الأتراك إثر نهاية الحرب العالمية الأولى، فانتشرت هذه الحركة فى أرجاء الهند لدرجة أنها أشعلت نار العداوة للإنجليز فى قلوب الهنديين، فانتهز الزعيم السياسي غاندي هذه الفرصة وأعلن عن حركة عدم التعاون مع الحكومة الإنجليزية عام ١٩٢٠م وقد سمِّيت هذه الحركة فيما بعد بحركة ترك الموالاة.

ما معنى الموالاة؟ هى الصداقة والمحبة، إذن مع من تنقطع المحبة والصداقة؟ لايمكن أن تتمكن صداقة الكافر ومحبته من قلب المسلم من منظور التعاليم الإسلامية،

---

(١) النيازي، محمد حيات كوثر، الإمام أحمد رضا الحنفي البريلوي وشخصيته الموسوعية، (أكاديمية رضا، لاهور) ص: ٢٨

مسيحيا كان هذا الكافر أو هندوسيا، إلا أنه تجوز المعاملة - مثل البيع والشراء - مع جميع الكفار غير المرتد، وذلك علي عكس الموالاة فإنها محرمة للكفار والمرتدين، وإذا عرفنا حقيقة هذين الأمرين (الموالاة والمعاملة) وجدناهما شيئان متغايران، فإن الموالاة شىءٌ والمعاملة شىءٌ آخر.

و عندما تنشأ حركة سياسية فإن عامة الناس وخواصهم يدخلون فى عالم العواطف الملتهبة حيث لاينصتون إلى كلمات الحكمة والعقل، وهم فى مثل هذه الظروف يسيرون إلى حيث تذهب بهم العاطفة، وينظرون بنظرة الشك والريب إلى كل من يسدي إليهم النصيحة، وهذا ما حدث فى الحركة التي عرفت بحركة ترك الموالاة.

## ضياع الهُوية الإسلامية

لا بد من بقاء الهُوية لحياة قوم أو شعب، لقد قام غاندي من خلال ريادة حركة ترك الموالاة بخداع المسملين بحيث لم يدرك المسلمون العاطفيون عواقب هذه الحركة، فوقع بعض أهل العلم من المسلمين فضلا عن عامتهم فى موالاة هذا الزعيم الهندوسي لدرجة أنهم كادوا -عن عدم إدراك النتائج الوخيمة لهذه الحركة- أن يضيِّعوا هويتهم الإسلامية.

ومن هنا بيَّن الإمام أحمد رضا الصورة المخيفة لهذا الانتحار القومي الفكري بقوله: "إن الآية الكريمة: لَا يَنْهَىٰكُمُ الخ. (١) تحتوى على شىءٍ من حسن المعاملة والمواساة المالية، هل تزعمون أن الله أمركم أن تتخذو الهنادكة أنصارا لكم، أو أن تنشئوا صداقة عميقة بينكم وبين الهنادكة، أو أن تجعلوا طاغوتهم (غاندي) إماما لدينكم، أو أن ترفعوا الهتافات لتمجيدهم، أو أن تذهبوا بهم إلى مساجدكم ثم ترفعوهم بكل تعظيم

(١) إنها إشارة إلى قول الله سبحانه تعالى: لَا يَنْهَىٰكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. (سورة الممتحنه: ٨)، لقد كان دعاة حركة ترك الموالاة يستدلون بهذه الآية على موالاة الهنادكة، فألف فضيلة الإمام رسالة تحت عنوان: "المحجة المؤتمنة في آية الممتحنة" حيث بيَّن المدلول الصحيح لهذه الآية. (المترجم)

وتوقير إلى مسند الحبيب المصطفى ﷺ أى منبر المسجد، أو تجعلوهم وعاظا ومرشدين للمسلمين، أو أن ترفعوا جيفنهم الميتة على أكتافكم، وتبلغوا جثثهم بهذا التكريم إلى المحرقة، أو أن تقوموا بعزائهم فى مساجدكم وتستغفروا لهم، أو أن تعلنوا مواعيد جنائزهم، أو أن تغلقوا المحلات التجارية عند موت أحدهم حدادا وحزنا عليهم، وتطلبوا منهم أن يضعوا على جباهكم شعارهم (قَشقَه) باللون، وأن تقوموا بإيقاف شعيرة من شعائر الإسلام (أضحية البقر) جبرا لخاطرهم، وأن تعدّوا أكل اللحم البقري من الذنوب، وأن تصِفوا آكليه بالسَّفلة، وأن تجعلوا لحمها مثل لحم الخنزير، وأن تحلفوا بإلاههم "راما" مكان الحلف بالله، وأن ترتكبوا الإلحاد بإضافة أسماء وضعية إلى أسماء الواحد القهار، وأن تشبهوا الله سبحانه تعالى معاذ الله بمعبود الهنادكة "راما" وتعتقدوا حلوله فى كل شيء، وتحملوا القرآن بجانب رامائن (الكتاب المقدس للهنادكة) إلى معابدهم، وأن تجعلوهما فى موضع العبادة، وتَصِفوا زعيم الهنادكة (غاندي) بأن الله بعثه مذكِّرا يعنى تشبهوه بالنبي ﷺ فقد قال الله عز وجل مخاطبا سيد الأنبياء ﷺ: "إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ."[١] وقد بعثه الله مذكِّرا، فقد قال قائل: "لولا ختم النبوة لكان غاندي نبيا." هذا بجانب من وصفه بالإمام والمقتدى، والمهدىِّ الموعود، وذهب آخر إلى أن يقول لغاندى: "السكوت عن الثناء عليك هو نهاية الثناء عليك." وقال بصراحة: "لو قمنا بإرضاء إخواننا الهنادكة فكأننا قمنا بإرضاء ربنا." وقال: "نريد أن نرفع الفوارق الموجودة بين الهنادكة والمسلمين." وقال بوضوح: "إننا فى محاولة إيجاد مذهب يوقِّر الشعائر الهندوسية، وقال قائل: "الحياة التى قضيتُها مع القرآن والحديث جعلتها فداء لعابد الصنم." هل تجيز الآية الكريمة: لَّا يَنْهَىٰكُمُ الخ. كل هذه الأمور من الكفريات؟"[٢]

لو كانت حركة ترك الموالاة بأهدافها السِّرية الخطيرة قد نجحت لذهب إيمان الكثير من المسلمين البسطاء، وانضموا إلى الهندوسية إضافة إلى أن المسلمين كانوا قد

(١) سورة الغاشية :٢١
(٢) أحمد رضا، الإمام، المحجة المؤتمنة (ط: المطبع الحسيني، بريلي) ص: ٤٥

أصيبوا بالخسائر العلمية والاقتصادية، إذ أن عدد الهنادكة فى الهند أنذاك كان يقارب ثلاثين ومائتى مليون بينما كان عدد المسلمين فى الهند لايتجاوز سبعين مليونا، لذا كان المطلوب أن يتنازل ثلاثة من الهندوس عن وظائفهم الحكومية مقابل مسلم واحد بمقتضى حركة عدم التعاون أو حركة ترك الموالاة (١) إلا أنهم لم يفعلوا، هذا وكان المسلمون يحتلون من المناصب الحكومية مقابل الهنادكة ما يساوي الخمسة فى المائة فإذا ترك المسلمون مناصبهم فإن الهنادكة سوف يحتلون تلك المناصب ويزداد المسلمون خسارة من الناحية الاقتصادية."(٢)

لقد حاول غاندي وأصحابه من العلماء المسلمين كل ما فى وسعهم من أجل تدمير الكلية الإسلامية بلاهور، وكلية علي كره إلا أنه لم يظهر تأثير حركة ترك الموالاة على كلية دى، إيه، وى بلاهور، وجامعة بنارس الهندوسية، وكان الزعماء الهنادكة يخالفون حركة عدم التعاون، فقد دبروا مؤامرة لتدمير كليات المسلمين مع الحفاظ على كليات الهنادكة، إضافة إلى الاحتفاظ بالوظائف والمناصب الحكومية، وفى حالة نجاح هذه الخطة المدروسة لم يكن بمقدور المسلمين أن يتخلصوا من عواقب الخسائر المادية.

لقد كان بندت مالوي مخالفا لانفصال الطلاب الهنود عن المؤسسات التعليمية التى كانت تُمَد بالمعونات الحكومية، بينما كان غاندي مؤيدا لانفصالهم عنها، إلا أنه على الرغم من اتجاهه هذا قال فى كلمته التى ألقاها فى جامعة بنارس الهندوسية: "إننى

---

(١) كان غاندي قد أعلن أنه سوف يتم عدم التعاون مع الحكومة الإنجليزية بالتنازل عن الوظائف والمناصب الحكومية، وبالامتناع عن التعلم والدراسة فى المؤسسات التعليمية الحكومية، وعدم الاستعانة بالمعونات المالية الحكومية للمؤسسات التعليمية، وإرجاع الميداليات المسموحة من الحكومة إلى الحكومة، لقد أعلن غاندي بهذه الخطة إلا أنه لم يقدم عليها الهنادكة بل كان المسلمون العاطفيون هم المقدمون على تنفيذ هذه الخطة. (المترجم)

(٢) تاج الدين أحمد تاج، منشى، *ہندوؤں سے ترک موالات* (ط: لاهور ١٩٢٠م) ص: ٢٠

أوافق رأى بندت مالوي أنه على الطلاب أن يعملوا حسب ما يقوله ضميرهم، وأقول لكم بكل تاكيد: إذا لم تقتنعوا بأدلتى فلاتسلكوا مسلك عدم التعاون مع الحكومة الإنجليزية واعملوا بما قال لكم بندت مالوي."[١]

يدفعنا أسلوب غاندي إلى التفكير، لماذا تكلم الرجل بهذه اللهجة؟ لأنه كان يلقى كلمته أمام الطلبة الهنادكة، ولو كان الطلاب المسلمون بين يديه لنصحهم بكل حماسة وتأكيد أن يقوموا بمقاطعة الحكومة بالانفصال عن المؤسسة التعليمية التى تأخذ المساعدة المالية من الحكومة الإنجليزية حتى يلحق الدمار بالمستقبل العلمي لأبناء المسلمين ويظل أبناء الهنادكة فى سبيل التقدم العلمي باستمرار.

## القائد الأعظم وحركة ترك الموالاة

الحقيقة الثابتة أن حركة ترك الموالاة انتشرت فى أرجاء الهند انتشار الفيضان، وكان كل من مولانا محمد علي جوهر ومولانا شوكت علي من المتحمسين لهذه الحركة، وقد قاما بقبول ريادة غاندي بالإضافة إلى وصفه بالأب الروحي، إلا أن زعماء المسلمين العقلاء البعيدين عن العاطفية المحضة لم يكونوا يستحسنون هذه الحركة نظرا لعواقبها الوخيمة.

حدثنا عن هذه الحقيقة المرَّة رئيس أحمد الجعفري بقوله: "لماذا كان السكوت سائدا فى حزب محمد علي جناح وأصحابه؟ لماذا لم تظهر الأنشطة لحزب الرابطة الإسلامية (فى عصر حركة ترك الموالاة) هل شلَّت قوى عملهم؟ هل كلّت ألسنهم؟ هل عجزت عقولهم عن التفكير؟ لا، لم تكن هذه الأمور سببا لعدم ظهور الأنشطة بل كانت نظرة محمد علي جناح ترى مستقبل الأمة فى مرآة الحال، فإنه لم يكن متعودا بالسير مع سيل العواطف، بل بالعكس كان يعرف كيف يمكن تحويل اتجاه الفيضان."[٢]

و قد قال محمد علي جناح فى كلمته التى ألقاها بمدينة بومبائي: "إنني لا أملك أن

---

(١) المرجع السابق، ص: ٢٠

(٢) رئيس أحمد الجعفري، حيات محمد علي جناح (كتب خانه تاج آفس، بومبائى) ص: ١٠١

أمسك نفسي عن القول: إن البرنامج (حركة ترك الموالاة) الذى اختاره غاندي يقود القوم إلى الدِّمار والهلاك، فإنه يقوده إلى حفرة الهلاك بدلا من الصراط المستقيم."(١)

## العلامة محمد إقبال ونظرية القوميتين المتمايزتين

قدَّم العلامة محمد إقبال نظرية القوميتين المتمايزتين (الإسلامية والهندوسية) فى خطبته الشهيرة التى ألقاها بمدينة إله آباد فى التاسع والعشرين من شهر ديسمبر سنة ١٩٣٠م(٢) فاستهزئ به وتم وصف كلامه بأقوال المجذوبين (أي البلهاء)، إلا أن العلامة محمد إقبال ظل ثابتا على نظرياته وظل يدعو الآخرين إلى أفكاره، فقد كتب فى رسالة وجهها إلى القائد الأعظم محمد علي جناح ما يلى: "أنكر رئيس المؤتمر الوطني الهندي تواجد المسلمين فى مجال السياسة الهندية، هذا وقد أُعلنت الجماعة السياسية الأخرى "مهاسبها" والتى أراها تعبر عن طموح الهنادكة، وعن أن وجود القومية الهندية المتحدة مستحيل فى الهند، وفى ضوء هذه الظروف يبدو أن الحل الوحيد لإعادة أمن البلاد يكمن فى تقسيم البلاد من جديد على أسس النسل، والمذهب والاشتراك اللغوي، وإن كثيرا من المفكرين البريطانيين أيضا يرون ذلك، وما زلت أذكر أن اللورد لوتيان كان قد قال لى قبل عودته إلى إنجلترا: عندى خطة لحل جميع مشاكل الهنديين."(٣)

المسلمون والهنادكة يشكلون قوميتين مختلفتين، هذا هو الصوت الذى رفعه الإمام الرباني الشيخ أحمد السرهندي فى عصره، وبه أعلن الإمام أحمد رضا عام ١٩٢٠م بكل ما يملك من قوة، فكشف عن الوحدة المزعومة المكوَّنة من المسلمين والهنادكة، وكانت نظرية القوميتين هذه أساسا محكما للخطبة التى ألقاها العلامة محمد إقبال فى إله آباد سنة ١٩٣٠م وقَبِلها القائد الأعظم محمد علي جناح سنة ١٩٣٨م ولم يكن القائد الأعظم محمد علي جناح هو الآخر مقتنعا بحركة الخلافة مثل العلامة محمد إقبال.

---

(١) المرجع السابق، ص: ١٠٢-١٠٣

(٢) إعجاز الحق قدوسي، إقبال اور علماء باك وهند (ط: أكاديمية إقبال، لاهور) ص: ٨١

(٣) الجعفري، رئيس أحمد، حيات محمد علي جناح، ص: ٣٣٤

قال الصحافي الباكستاني الكبير ميان عبد الرشيد: "كان العلامة محمد إقبال مخالفا لحركة الخلافة. كما كان القائد الأعظم محمد علي جناح يرى أن هذه الحركة والحركات المرافقة الأخرى كانت في غاية الضرر للمسلمين، إلا أنه لم يصغ أحد إلى نصيحتهما أيام حركة الخلافة، فانعزلا عن مجال السياسة وجلسا فى عزلة، وفى هذه الظروف قام الإمام أحمد رضا وأحباؤه ورفقاؤه ومريدوه بمخالفة الحركات الهدّامة مثل حركة الخلافة، وحركة الهجرة وحركة ترك الموالاة، وقام بكسر قوة هذه الحركات وزعمائها."[١]

و أخبرنا عن موقف العلامة محمد إقبال من الحركات المذكورة بعاليه ابنه الدكتور جاويد إقبال بقوله: "كان إقبال مخالفا لحركة عدم التعاون مع الحكومة الإنجليزية بمساندة الهنادكة وذلك من أجل الدفاع عن الخلافة العثمانية، لأنه لم يكن إيجاد القومية المتحدة ممكنا بناءً على عداء الإنجليز، إضافة إلى أنه كان إقبال يخشى ضياع الهوية الإسلامية للمسلمين البسطاء من قيام دعاة القومية المتحدة، الأمر الذى سوف يؤدى إلى الندامة فيما بعد، وإنه نظرا لهذه الخلافات قام محمد إقبال بالاستقالة من المجلس الإقليمي لحركة الخلافة.[٢]

و حدثنا العلامة محمد إقبال عن مجالس الخلافة قائلا: "ليس بعض الأعضاء لمجالس الخلافة موضع ثقة، فإنهم يظهرون وكأنهم مسلمون متحمسون إلا أنهم فى حقيقة الأمر إخوان الشياطين، لهذا السبب قمت بالاستقالة من أمانة مجلس الخلافة العاملة."[٣]

و حدثنا العلامة محمد إقبال عن القومية الهندية المتحدة فى رسالته التى وجهها إلى السيد سليمان الندوي بقوله: "إن بيع الإسلام بيد الهنادكة أمر لاأتحمله، أقول بأسف

---

(١) عبد الرشيد، باكستان كا بس منظر اور بيش منظر (إدارة تحقيقات باكستان، لاهور) ص: ١١٦

(٢) جاويد إقبال، زنده رَود (ط: شيخ غلام علي، لاهور) ج: ٢، ص: ٢٤٩

(٣) المرجع السابق، ج: ٢، ص: ٢٧٣

شديد: إن الدعاة إلى إعادة الخلافة فى تركيا ذهبوا إلى مكان بعيد عن الطريق الأصلي، وإنهم يريدون منا أن نسير على طريق لايقبله مسلم مخلص ولو لدقيقة واحدة."(١)

هذا هو رأي العلامة محمد إقبال عن حركة ترك الموالاة، لذا لا يصح قول القائل عن حركة ترك الموالاة أنه: اشترك فيها جميع طوائف المسلمين وزعماؤهم وقادتهم وعلماؤهم غير البريلويين، فلم يشاركوا فى هذه الحركة الوطنية أيضا."(٢)

و لوكانت قادة جميع طوائف المسلمين قد اتفقوا على تحالف المسلمين مع الهنادكة لما قامت أغلبية المسلمين بالتصويت فى صالح باكستان، وما ظهرت باكستان على خريطة العالم، والعجب العجاب أن طائفة معينة لاتتوقف ولاتستحيي من الطعن فى المدافعين عن أسس باكستان، وذلك بقيامهم بالرد على الوحدة الإسلامية الهندوسية، وكانت نتيجتها ومصيرها المحتوم انضواء المسلمين فى الأغلبية الساحقة للهنادكة.

## موقف الإمام أحمد رضا من حركة ترك الموالاة

لقد غمرت حركة ترك الموالاة أرجاء الهند فأصبح رفع الصوت ضدها بمثابة جعل الإنسان نفسه موضع النقد والطعن، وكان أقل النقد والطعن وصف المخالف لهذه الحركة بأنه عدو للأمة الإسلامية وعميل للإنجليز.

يحدثنا الأستاذ رئيس أحمد الجعفري عن الاتجاه المذكور أعلاه بقوله: "كل من حاول مخالفة حركة ترك الموالاة أو تغيير اتجاهها لم تسلم كرامته ... فقد حدث أن كل من حاول مخالفة هذه الحركة من أكابر العلماء، والصلحاء، والأخيار، والأبرار أرغم على التنحى من المسرح القومي للمسلمين."(٣)

فى مثل هذه الظروف لم يعبأ الإمام أحمد رضا بالمخالفة الممكنة والاتهامات التى كان يتوقعها فأصدر حكما شرعيا نبع عن بصيرته الإيمانية فأوقد مصباح الدين

(١) المرجع السابق، ج: ٢، ص: ٢٦٣
(٢) البريلوية، ص: ٤٢
(٣) رئيس أحمد الجعفري، حيات محمد علي جناح، ص: ١٥٨

والإيمان فى مهبِّ الرياح، ويشهد التاريخ ويعترف المؤرخون أن سيلا من الرياح الجارفة لم ينجح فى أن يزلزل قدمه الراسخة بل بالعكس استطاع فضيلة الإمام أن يحوِّل اتجاه السيول والرياح، لقد وُجِّهت إليه التهم ولكن بعد نهاية السيل والرياح اعترف المؤرخون المنصفون بالبصيرة الإيمانية لفضيلة الإمام وصحة موقفه من الحركات السياسية المعاصرة له.

## موقفه من الامتناع عن ذبح البقر في الهند

لقد كان الهنادكة يسعون من أجل إيقاف ذبح البقر لقداستها فى ديانتهم، فاستغلوا كل حيلة لتحقيق هدفهم هذا، فقاموا بالظلم والإكراه مرة والدَّجل والخداع مرة أخري حتى يتمكنوا من إيقاف هذه الشعيرة من شعائر الإسلام.

يحدثنا تاج الدين أحمد تاج عن هذه المؤامرة الهندوسية بقوله: "قام الآلاف من الهنادكة المسلحين بشتى أنواع السلاح فى منطقة بهار بإيقاف شعيرة من الشعائر الإسلامية "أى ذبح البقر" فكان منهم من يركب الحصان ومنهم من يركب الفيل، فقتلوا وجرحوا الآف المسلمين ونهبوا مائة وأربعين قرية بما فيها من بيوت المسلمين التى بلغت ألفين وسبعمائة بيت، فحملوا أموال المسلمين على ظهور الأفيال، كما قام الهنادكة بانتهاك الأعراض لبنات المسلمين، وهدموا خمسة من مساجد المسلمين ... ومزقوا نسخا من القرآن الكريم لدرجة أنه لم يبق مصحف واحد فى يد المسلمين للتلاوة."[1]

هذا وقد سلك الهنادكة مسلك الدَّجل والخداع فأرسلوا بالأسماء الإسلامية سؤالا إلى علماء المسلمين يسألونهم عن الحكم الشرعي لذبح البقر فى عيد الأضحى معللين أن ذبح البقر بصفة خاصة ليس بواجب إلا أنه قد ينتهى إلى شيوع الفتنة والفساد، فإذا توقف المسلمون عن ذبح البقر فهل عملهم هذا يسبب الحرج فى الدين؟ فلم يدرك بعض العلماء ما فى هذا السؤال من دجل وخديعة فردوا عليه أنه لا بأس بالامتناع عن

(١) تاج الدين أحمد تاج، *ہندوؤں سے ترک موالات*، ص: ٦.

ذبح البقر.

و قد وصل هذا السؤال إلى الإمام أحمد رضا عام ١٢٩٨هـ / ١٨٨١م فأدرك فضيلته بثاقب نظره ما فى هذا السؤال من الشر المستور، فرد عليه قائلا: "تعد بعض الأشياء واجبة أو محرَّمة لذاتها، بينما تتصف بعض الأشياء الأخرى بالوجوب أو الحرمة نظرا للأمور الخارجة عن ذاتها، وليس ذبح البقر واجبا لذاته إلا أنه أصبح من الواجبات للعارض الخارج من ذاته وهو الإكراه على التجنب منه، وعندما تبذل الجهود لإيقافه يتغير حكمه، فيتحول من المباحات إلى الواجبات. إننا نسائل العقلاء من كل مذهب وملة: إذا تم إيقاف ذبح البقر فى مدينة من المدن الهندية ظلما ونقبل هذا الأمر بحجة أن الشريعة لاتكلفنا بذبح البقر بصفة خاصة وبالتالى يتم إيقاف ذبح البقر إرضاء للهنادكة أفلا يُعدُّ هذا التنازل عن ذبح البقر فى مثل الظروف المذكورة آنفا إهانة للإسلام؟ ألا يكون هذا الامتناع عن ذبح البقر عارا على المسلمين؟ ألا يكون هذا التوقف عن ذبح البقر فرصة سانحة للهنادكة حتى يتطاولوا على المسلمين، ويفرحوا بظلمهم للمسلمين، ويجدوا فرصة الشماتة فى ديننا والمسلمين؟ هل تجوِّز شريعتنا اختيار مثل هذه الذلة والعار لأنفسنا وإعطاء الأعداء فرصة الضحك علينا دون أي عذر؟ وذلك بجعل ديننا مغلوبا، لا وألف لا، حاشا وكلا لاتجيز شريعتنا مثل هذا الأمر، ولاتريد الشريعة لنا ما يعود إلينا بالذلة والعار."(١)

إنها ثمرة لفتوى الإمام أحمد رضا وعلماء أهل السنة أن المسلمين الهنديين مازالوا يذبحون البقر فى أيام العيد فى أرجاء الهند على الرغم من الإرهاب الهندوسي، ولو لم يقم علماء أهل السنة فى وجه هذه المؤامرة الهندوسية لزال هذا الشعار الإسلامي من الهند.

---

(١) أحمد رضا، الإمام، الرسائل الرضوية، ج: ٢، ص: ٢١٨

## الكلية الحكومية، لاهور

كان المسلمون يمثلون أقلية فى الهند، وكانوا متخلفين من الناحية التعليمية، لذا كانوا متخلفين عن الهنادكة فى الوظائف والمناصب الحكومية تخلفا هائلا. لقد قام مولانا السيد سليمان أشرف البهاري بتصوير هذا التخلف الاقتصادي للمسلمين قائلا: "يبلغ عدد الكليات الآن فى الهند مائة وخمسين كلية، ثلاثة منها للمسلمين، بينما إثنتان وعشرون ومائة كلية للهنادكة، وفى هذه الكليات يبلغ مجموع عدد الطلاب إلى ٤٦/٤٣٧، منهم ٤٨٧٥ مسلمون بينما يبلغ عدد الطلاب الهنادكة إلى ٤١/٥٦٢ فالمسلمون الذين كانوا يمثلون سبعين مليون نسمة وعدد الدارسين منهم يبلغ إلى ٤٧/٨٧٥ نسمة فقط، وإنهم على الرغم من حالتهم التعليمية السيئة هذه يدّعون أنهم لايحتاجون إلى التعليم ويعملون الفوضى، إن لم يكن هذا الأمر جنونا وغباءا فماذا هو؟"[1]

لقد وصل زعماء حركة ترك الموالاة إلى الشيخ أبي الكلام آزاد، ومولانا محمد علي جوهر، ومولانا شوكت علي، بعد تدمير كلية علي كره إلى لاهور حيث أقاموا حفلة فى التاسع عشر من شهر أكتوبر سنة ١٩٢٠م وطالبوا إدارة الكلية الإسلامية الواقعة فى لاهور بقطع علاقتها مع الجامعة، والتخلي عن المساعدة المالية المقدمة من الحكومة إلى الكلية، تلك المساعدة التى كانت تحتوى على ثلاثين ألف روبية سنويا."[2]

هكذا كان زعماء حركة ترك الموالاة يحاولون إغلاق هذه الكلية تحت شعار مقاطعة الحكومة الإنجليزية أو عدم التعاون مع الحكومة الإنجليزية في الهند بينما كان غاندي فى مثل هذه الأيام ينصح الطلاب الهندوسيين بأسلوب آخر، فقد أدلى هناك بما يلي: "إنني أوافق رأي بندت مالوي أنه على الطلاب أن يعملوا حسب ما يقوله ضميرهم، وأقول لكم بكل تأكيد: إذا لم تقتنعوا بأدلتي فلاتسلكوا مسلك عدم التعاون مع الحكومة

---

(١) محمد صديق، بروفيسر مولوي حاكم علي (ط: مكتبه رضويه، لاهور) ص: ١١٣

(٢) المرجع السابق، ص: ١١٣

الإنجليزية."(١)

عندما كان هذا الزعيم الهندوسي يلقى كلمته أمام الطلبة المسلمين وكان يأتى بأسلوب آخر، فيستند إلى مولانا أبي الكلام آزاد ويقول: "لقد ذهب مولانا أبوالكلام آزاد إلى أن تعليم أبناء المسلمين فى المدارس والكليات (التى تقبل المساعدة الحكومية) حرام، فلاترسلوا أبناءكم إلى هذه المدارس والكليات غدا إن شئتم."(٢)

كان العلامة محمد إقبال أمينا عاما لجمعية حمايت إسلام وكانت الكلية الإسلامية بلاهور تابعة لهذه الجمعية، وعندما أحدث زعماء حركة ترك الموالاة ضجة فى لاهور وراحت الكلية الإسلامية ضحية الأحداث، عندئذ وجَّه مولانا حاكم علي (نائب عميد الكلية) استفتاءً إلى فضيلة الإمام أحمد رضا سائلا إياه عن الحكم الشرعي لالتحاق الكلية بالجامعة والحصول على المساعدات المالية من الحكومة الإنجليزية. فردَّ عليه الإمام أحمد رضا بقوله: "إذا لم يكن الالتحاق بالجامعة وأخذ المساعدة مشروطا بأمر يخالف الشريعة الإسلامية فلا كلام فى جوازه، وإلا فسيكون كل من الأمرين المذكورين حراما."(٣)

ثم نبه الإمام أحمد رضا على التعارض فى القول والعمل عند مخالفيه وزعماء حركة ترك الموالاة فقال: "إن عمل الزعماء لحركة عدم التعاون مع الحكومة يدل على كذب دعواهم، أليس التمتع بخدمات البريد والقطار والبرقية من باب المعاملة مع الحكومة؟ ويتضح الفرق بين عملهم ودعواهم، إنهم يحرِّمون على المؤسسات التعليمية أخذ المساعدات المالية الحكومية إلا أنهم يقدِّمون الأموال إلى الحكومة مقابل الخدمات (المذكورة أعلاه)، إن أمرهم هذا عجب، إذ أن تقديم الأموال للحكومة جائز عندهم ولكن أخذ المساعدة من الحكومة حرام، وإنهم عند السؤال عن هذا الأمر يردون قائلين:

---

(١) تاج الدين أحمد تاج، *ہندوؤں سے ترک موالاۃ*، ص: ٩٩

(٢) محمد صديق البروفيسور، بروفيسر حاكم علي، ص: ٦٨ (نقلا عن: روزنامه زميندار، لاهور)

(٣) أحمد رضا، الإمام، رسائل رضوية، ج: ٢، ص: ٨٥

تعدُّ كلا من البريد والقطار والبرقية من ممتلكاتنا القومية فإنها أنشئت بأموالنا، سبحان الله! هل تأتى المساعدات المالية للتعليم من إنجلترا؟ تلك الأموال أيضا من عندنا، فالحاصل أن نفع الحكومة الإنجليزية في الهند بدفع رسوم البريد، والقطار، والبرقية مشروع لكن الانتفاع بالمساعدات الحكومية التى هى من أموالنا ممنوع على حد رأي زعماء حركة عدم التعاون مع الحكومة الإنجليزية في الهند، ما علاج هذا العقل المعكوس؟"[١]

فى الثانى عشر من ربيع الآخر سنة ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م وجَّه تشودري عزيز الرحمن استفتاءً إلى الإمام أحمد رضا وسأله فى لهجة ممزوجة بشيءٍ من المرارة فقال: "هل تحب الحمية الإسلامية فى الأوضاع السياسية الهندية المعاصرة إظهار مسألة يسعد بها الحكام المحتلون ويتم تدمير المسلمين؟"[٢] فرد عليه الإمام أحمد رضا ردا مفصلا على الرغم من ظروفه الصحية الحرجة، وكان فضيلته عندئذ على سرير المرض الذى أدى إلى رحيله من دار الفناء إلى دار البقاء، ويتجلى فى كل سطر رقمته يد فضيلة الإمام حب الأمة الإسلامية، وقد طبعت هذه الفتوى باسم: "المحجة المؤتمنة فى آية الممتحنة" من مدينة بريلى ثم من مدينة لاهور، وهذا الكتاب مصدر أساسي لفهم نظرية القوميتين، لقد قام الأستاذ الدكتور محمد مسعود أحمد بتعريف هذا الكتاب فى بحث علمي تحت عنوان: "الفاضل البريلوي وموقفه من حركة ترك الموالاة" وهو بحث جدير بالمطالعة.

عندما انتشرت فى الهند موضة التشبه بالوضع الإنجليزي، والتعليم الإنجليزي، والفكر الإنجليزي فى عصر السير سيد أحمد خان وجَّه إليه الإمام أحمد رضا وغيره من علماء أهل السنة نقدا شديدا، وعندما تحولت الأمور وأصبح الهنادكة ملجأ الهنديين ومأواهم (بما فيهم المسلمون وغيرهم) توجه إليهم علماء أهل السنة بالنقد الشديد من أجل الإصلاح، ولم يكن هدفهم من النقد بنوعيه (الديني والسياسي) إلا رضى الله -عز وجل- وإلى هذا الأمر أشار الإمام أحمد رضا بقوله: "يجب على المسلم أن يدلى بكلمة

---

(١) المرجع السابق، ج: ٢، ص: ٨٥، ٨٦

(٢) المرجع السابق، ج: ٢، ص: ٨٨

يرضاها الله، لقد كانت الفتاوى التى أصدرها علماء أهل السنة مستدلين بالكلام الإلهي والأحكام الإلهية من أجل إنقاذ المسلمين من عبودية الهنادكة الفكرية، بينما كانت هذه الفتاوى فى نظر زعماء حركة ترك الموالاة بمثابة محاولات لإرضاء الإنجليز، ألم يقم علماء أهل السنة بالرد على العبودية الفكرية للإنجليز فى عصر شيخ الطبيعيين (السير سيد أحمد خان) الأمر الذى يندد به الآن بعض الزعماء بعد نصف قرنٍ، أيها الزعماء لحركة ترك الموالاة ماذا تقولون عن قيام علماء أهل السنة بالرد على أناس كانوا يهيِّئون العقول لعبودية الإنجليز؟ من كان رضاه مطلوبا من هذه الفتاوى؟!"(١)

لقد دافع فضيلة الإمام عن تهمة مناصرة الإنجليز بقوله: "المرء يقيس على نفسه." لقد قام الزعماء السياسيون بتقليد النصارى وعبوديتهم إرضاءً لهم، وعندما ساءت هذه العلاقات توجهوا بالتقليد نفسه والعبودية نفسها إلى الهنادكة، وهم يظنون أن خدام الشرع المبين (أي علماء أهل السنة الذين وصفهم معارضوهم بالبريلوية) أيضا يعملون المعاملة نفسها، يعلم الله عزوجل ورسوله ﷺ أن المخلصين من خدام الشريعة المطهرة لا يهدفون إلى إرضاءِ مخلوق من وراء بيان المسائل الفقهية، إنهم يهدفون إلى رضى الله -عز وجل- وإلى إبلاغ أحكام الله تعالى إلى خلقه، ولله الحمد، نقول فاسمعوا: "آلاف اللعنات من الواحد القهار ورسله وعباده على من أظهر مسألة لتدمير المسلمين وإرضاءِ النصارى البريطانيين، وعلى من لم يبين مسألة شرعية ابتغاء مرضاة الله والرسول ﷺ ولا لتنبيه المسلمين بل كان هدفه اكتساب رضى النصارى المشركين."

هذا وقولوا: "آلاف لعنات الواحد القهار ورسله وعباده على من قام بتحريف كلام الله وأحكامه، وأظهر المسائل الدينية لتدمير المسلمين وإرضاءِ الهنادكة المشركين، وأحبَّ شعائر الكفر، وأوقف شعائر الإسلام، واتخذ المشركين أئمة وهداة ووالاهم، وليقل الزعماء آمين على هذا الدعاء."(٢)

---

(١) المرجع السابق، ج: ٢، ص: ١٤٢

(٢) المرجع السابق، ج: ٢، ص: ١٤٣-١٤٤

هذا وعلى الرغم من جهود الزعماء السياسيين الغانديين من أجل إغلاق الكلية الإسلامية بحجة مقاطعة الحكومة الإنجليزية في الهند، لم تنجح محاولتهم هذه نظرا لفتوى الإمام، وقد فتحت الكلية الإسلامية بجهود العلامة محمد إقبال فى الحادى عشر من شهر ديسمبر سنة ١٩٢٠م مرة أخرى[١] وهكذا تم إنقاذ الطلاب المسلمين من الخسارة العلمية الكبيرة.

## موقفه من حركة الهجرة

لقد نشأت حركة أخرى أيام حركة ترك الموالاة والتى كانت تهدف إلى وجوب الهجرة على المسلمين من الهند (من باب عدم التعاون مع الحكومة الإنجليزية) يقول الأستاذ كوثر النيازي عن حركة الهجرة: "لقد كانت حركة الهجرة نتيجة منطقية لاعتبار الهند دار الحرب، وكانت المناقشات حائمة حول هذه المسألة، فالإمام أحمد رضا لم يعتبر الهند دار الحرب، لأنه أدرك بثاقب فكره أن اعتبار الهند دارالحرب قد يجيز الربا للمسلمين، لكنه في نفس الوقت يوجب الهجرة إلى دار السلام، اضافة إلى رفع السيف والجهاد ضد الكفر والكفرة، ولم تكن طبيعة الأوضاع في ذلك الوقت مبرِّرة لإعلان الجهاد ورفع السيف، لقد حكم المسلمون في الهند مئات السنين، وهي بلاد مأمونة حتي ذلك اليوم، ولم يجد المسلمون أي حرج في تأدية أعمالهم وواجباتهم الدينية."[٢]

فقام علماء أهل السنة والجماعة (الذين سماهم مخالفوهم بالبريلوية) بمعارضة هذه الحركة، والمسلمون البسطاء الذين لم يدركوا ما فى هذه الحركة من خدعة فأصبحوا فيما بعد ضحية لمؤامرة الهنادكة، فألمت بهم جبال المصائب.

يحدثنا الإمام أحمد رضا عن عواقب الهجرة المزعومة بقوله: "أما دار الإسلام فالهجرة العامة منها محرمة نظرا للدمار الذى سيلحق بالمساجد بالإضافة إلى الإساءة

---

(١) محمد صديق، الأستاذ، بروفيسر مولوي حكم علي، ص: ١١٢

(٢) النيازي، كوثر، الإمام أحمد رضا الحنفي البريلوي وشخصية الموسوعية، ص: ٢٩

لها، وسوف تبوء هذه الهجرة بالدمار إلى النساء، والأطفال، والضعفاء."[١]

و قام فضيلة الإمام بالدراسة التحليلية لمؤامرات الهنادكة فقال: يبتغى العدو لمعارضه ثلاثة أمور وهى كما يلى:

أولا: موته حتى ينتهى الأمر.

ثانيا: جلاؤه حتى يبعده عنه.

ثالثا: تعجيزه حتى لايتمكن من إضراره.

لقد حقق الهنادكة هذه الأمور الثلاثة فى المسلمين بأسلوب لم يدركه المسلمون، وظل المسلمون يزعمون أن الهنادكة مخلصون لهم. وقد حقق الهنادكة أهدافهم فى ثلاثة مراحل:

أولا: ظهرت إشارات الجهاد والذى كان الفناء مصيره المحتوم.[٢]

ثانيا: ولما لم يتحقق الهدف بكامله (بالحث على الجهاد دون تواجد الأسباب) خدعوا المسلمين بالهجرة إلى أفغانستان حتى يبتعد السلمون عن الهنادكة، وتنتقل الأراضى الهندية من أيدى المسلمين إلى أيدى الهنادكة مقابل أجر زهيد أو دون أي مقابل، وتبقى مساجدهم وضرائح صالحيهم فى أيدي الهنادكة حتى يتسنَّى لهم انتهاك حرماتها.

ثالثا: وعندما لم تعد مؤامراتهم بالنتائج المطلوبة بكاملها فى المرحلة الثانية اخترعوا الحيلة الكاذبة باسم حركة ترك الموالاة فحرَّضوا المسلمين على ترك المعاملات مع الحكومة، وذلك بالاستقالة من الوظائف، والابتعاد عن عضوية أيّ مجلس من المجالس الحكومية، والامتناع عن دفع الضرائب، وإرجاع الألقاب الحكومية إلى الحكومة، وكان الأمر الأخير يهدف إلى ألا يبقى لدى المسلمين شرف دنيوي بالاسم، أما الأمور الثلاثة الأولى فكانت لإبعاد المسلمين من جميع المناصب وإبقاء الهنادكة فى جميع المصالح الإدارية، ويعرف الجميع كيف يتم انتهاك حقوق المسلمين فى الأماكن التى يسيطرها

(١) أحمد رضا، الإمام وسلطان الإسلام، الفتاوى الرضوية (طبعة مباركفور، الهند) ج: ٦، ص: ٢

(٢) وذلك لعدم تواجد القوة، والاستعداد العسكري عند المسلمين. (المؤلف.)

الهنادكة كليًا، وعندما يبقى الهنادكة وحدهم فى البلاد ماذا سيكون الحال؟ هذا أمر يفوق الوصف والتخمين."(١)

ماذا كان مصير المهاجرين؟ يقدم لنا رئيس أحمد الجعفري نبذة يسيرة عنه بقوله: "ثم نشأت حركة الهجرة فقام ثمانية عشر ألفا من المسلمين بالهجرة إلى أفغانستان وذلك بعد بيع بيوتهم وعقاراتهم بأثمان رخيصة، وكان أكثر المشترين من الهنادكة، فلما وصل المهاجرون المسلمون إلى أفغانستان لم يجدوا إذنا للدخول فيها والإقامة هناك بل رُدُّوا إلى الهند، فلقى البعض حتفهم فى الطريق ورجع البعض الآخر إلى الهند فى حالة يُرثى لها، لقد رجعوا مدمّرين مفلسين لا حامى لهم ولا ناصر، إذا لم يكن هذا الحال هلاكا فما هو الهلاك؟ ولو كان محمد علي جناح قد وصف الهجرة بأنها مهلكة فما هو الخطأ فى قوله؟"(٢)

و من هنا يمكننا أن نعرف دقة نظر الإمام أحمد رضا وسعة أفقه، فإنه كان قد أحس مصير الهجرة فى وقت مبكر وبالتالى قام بإرشاد المسلمين إلى ما فيه مصلحتهم.

## موقفه من الجهاد ضد الإنجليز في الهند

يعد الجهاد فريضة مهمة من بين الفرائض الإسلامية، غير أنه لايفرض على المسلمين إلا عند تواجد الشروط اللازمة للجهاد، وأهمها تواجد سلطان الإسلام والقوة المطلوبة للجهاد، لذا قال فضيلة الإمام: "لايجب على المفلس أن يعين أحدا بالمال، كما لايجب على المحروم من اليدين والقدمين الإعانة بالأعمال، لذا لايتوجه إلى المسلمين بالهند حكم الجهاد والقتال."(٣)

و فى موضع آخر بين الإمام أحمد رضا اقتران وجوب الجهاد بالقوة فقال: "إن سلطان الإسلام الذى يجب عليه إقامة الجهاد مأمور بعدم التبادر بالجهاد إذا لم يكن

(١) أحمد رضا، الإمام، رسائل رضوية، ج: ٢، ص: ٢٠٣

(٢) رئيس أحمد الجعفري، حيات محمد علي جناح، ص: ١٠٨

(٣) أحمد رضا، الإمام، دوام العيش (ط: مكتبه رضويه، بلاهور) ص: ١٠٨

يملك العُدة والقوة لمواجهة الكفار، فقد ورد فى المجتبى، وشرح النقاية، ورد المحتار: هذا إذا غلب على ظنه أنه يكافئهم وإلا فلايباح قتالهم."(١)

و من البديهي أنه لم يكن ثمة سلطان للإسلام فى الهند، ولم تكن لدى المسلمين من القوة المطلوبة للجهاد، فماذا كان بمقدور المسلمين؟ وإنه نظرا لفتاوى الإمام أحمد رضا المحتوية على الدلائل الشرعية وجهت إليه التهمة التالية: "فشهَّر بين المسلمين بعمالة الاستعمار والعمل لحسابهم."(٢)

كان الإمام أحمد رضا قد بيَّن حكما شرعيا ولم يهدف إلى مناصرة الإنجليز ولا إلى إرضائهم ومجاملتهم، بينما قام بعض العلماء من طائفة أهل الحديث فى الهند آنئذ بتحريم الجهاد وتجاوزوا جميع مراحل المجاملة والتملق وسوف يأتي التفصيل فى كتابنا عن هذا الموضوع تحت عنوان:" بيوت من الزجاج." وهنا نكتفي بذكر نموذج واحد فقط.

يعد الشيخ محمد حسين البطالوي من زعماء الدرجة الأولى لجماعة أهل الحديث، وكان يوصف بمحامى أهل الحديث، فقد قام الرجل عام ١٨٧٦م بتأليف رسالة باسم: "الاقتصاد فى مسائل الجهاد" بهدف إبعاد المسلمين عن الجهاد ضد الإنجليز وإقناع الحكومة البريطانية المسيطرة على الهند بمشاعره الطيبة تجاهها، ولم تكن هذه الرسالة محتوية على رأيه الفردي، بل قام الرجل بعرض هذه الرسالة على العلماء الكبار من طائفة أهل الحديث وقراءتها عليهم بكل دقة، وقد تمَّ عرض هذه الرسالة على علماء أهل الحديث من لاهور إلى عظيم آباد وبتنه، وبعث المؤلف بالصور الخطية من رسالته هذه إلى المدن الهندية التي لم يتمكن من الوصول إليها، وبالتالي حصل على التصديقات من هؤلاء العلماء، وفى عام ١٨٧٩م انتقى الشيخ محمد حسين البطالوي أصول المسائل المذكورة فى هذه الرسالة فقام بطبعها فى العدد الحادي عشر من المجلد الثاني لمجلته:

(١) أحمد رضا، الإمام، رسائل رضويه، ج: ٢، ص: ٢١٠

(٢) البريلوية، ص: ٤٣

"إشاعة السنة." فأيدها مئات العامة والخواص من أهل الحديث[1] ومن هنا علم أن هذه الرسالة لاتعبر عن رأي الشيخ محمد حسين البطالوي وحده بل تمثل رأى جميع علماء أهل الحديث.

لقد صرح الشيخ محمد حسين البطالوي فى رسالته هذه أنه لايمكن الجهاد الشرعي فى العالم كله، حيث يقول: "من هاتين النتيجتين تنشأ نتيجة أخرى وهي أنه لايمكن الجهاد الشرعي فى زماننا هذا ... فإننا نستغرب عندما نجد فى بعض الجرائد إعلان الجهاد ضد سلطنة الروم أو بلاد أفغانستان وغيرها من بلاد الإسلام، ولانتأكد من وجود الأئمة فى عصرنا الراهن على وجه البسيطة، الأئمة الذين يمكن للمسلمين أن يقوموا بالجهاد بإذنهم وفى ظل رعايتهم ... وكان هذا التخوف لدى الفريقين معقولا إذ كان الجهاد فرضا أصليا، ولم يكن إسلام المسلمين صحيحا أو كاملا بدون تعيين الإمام."[2]

تظهر الأمور الآتية من العبارة المذكورة بعاليه، وهى:

(١) لايجب اختيار الإمام وتعيينه، ولايتأثر كمال الإيمان بعدم تواجد الإمام.

(٢) ولما لم يكن الجهاد ممكنا دون الإمام لم يكن الجهاد واجبا على المسلمين فى الهند ولم يكن جائزا كذلك.

(٣) ليست بلاد الهند فحسب بل لا جهاد على وجه المعمورة.

(٤) ليس الجهاد من الفرائض الأصلية فى الإسلام.

## حركة الخلافة وحركة ترك الموالاة

قيل عن فضيلة الإمام: إنه كان يرى "أن ترك موالاة الاستعمار الإنجليزي الغاشم الكافر حرام."[3] وهى تهمة عارية تماما من الصحة، فقد كان رأى الإمام فى هذا الأمر أن

---

(١) البطالوي، محمد حسين، الاقتصاد فى مسائل الجهاد (ط: وكتوريه بريس، لاهور) ص: ٣٧٢

(٢) المرجع السابق، ص: ٣، ٧٢

(٣) البريلوية، ص: ٤٢

موالاة كل كافر حرام، نصرانيا كان ذلك الكافر أو هندوسيا، وكان فضيلته يخالف الزعماء السياسيين بأنهم كانوا يحرِّمون موالاة الإنجليز والتعامل معهم، وإنهم على عكس هذا الأمر كانوا يجوِّزون موالاة الهنادكة بأعلى درجاتها.

حدثنا الإمام أحمد رضا عن التعارض الفكري والعملي لدى الزعماء السياسيين بقوله: "إن موالاة كل كافر حرام، لقد بينَّا أن ربنا تبارك وتعالى بيَّن هذه الأحكام عن عامة الكفار، وإنشاء الاستثناء للكافر دون أساس في القرآن الكريم افتراء بعيد على الله عز وجل، وتحريف شديد فى القرآن الكريم."(١)

لقد صرح فضيلة الإمام أكثر من هذا بقوله: "لقد حرَّم القرآن الكريم موالاة الكفار جميعهم، سواء كانوا مجوسا، أو يهودا، أو نصارى، أو هنادكة، وأشدهم المرتدون المعاندون، والذين يدَّعون ترك الموالاة للإنجليز هم فى حقيقة الأمر يوالون المشركين المرتدين، وإنهم على الرغم من تواجد هذه الموالاة للهنادكة يدَّعون ترك موالاة الإنجليز."(٢)

قال المحقق العالمي، وخبير شئون التعليم الدكتور اشتياق حسين القرشي عن الإمام أحمد رضا: "لقد أثَّر فضيلته فى متبعيه تأثيرا عميقا لدرجة أنه لم يتمكن أحد من معاصريه أن يؤثر مثله فى أتباعه، وفى بداية أيام حركة عدم التعاون وصل كل من محمد علي جوهر وأخوه شوكت علي إلى الإمام أحمد رضا وطلبا منه أن يؤيد فتوى عدم التعاون مع الحكومة الإنجليزية فى الهند، فرد فضيلته عليهما بقوله: "شتان بين سياستى وسياستكم يا مولانا! أنتم تدعون إلى الوحدة الهندوسية الإسلامية وأنا أخالفها." وأكمل الشيخ أحمد رضا كلامه عندما رأى آثار الحزن فى وجه كل من الزعيمين محمد علي جوهر وأخيه شوكت علي، وقال: "لاأخالف الحرية السياسية للمسلمين إنما أخالف

---

(١) أحمد رضا، الإمام، الفتاوى الرضوية، ج: ٦، ص: ١٢

(٢) المرجع السابق، ج: ٦، ص: ١٩٢

الوحدة الإسلامية الهندوكية."[١]

لقد كان الشيخ محمد جعفر الفلواري من المناصرين المتحمسين لحركة ترك الموالاة ومن هذا المنطلق كان الشيخ قد ترك التعليم الإنجليزي وأقبل على تعلُّم اللغة العربية، إنه يقول: "ما كنت مهتما بالفاضل البريلوي أيام كانت حركة ترك الموالاة فى حيويّة ونشاط إذ كان المنتسبون إلى هذه الحركة قد أذاعوا عنه إشاعة أنه [و العياذ بالله] عميل للإنجليز ويعمل على حسابهم، وأنه مأمور بمخالفة حركة ترك الموالاة من طرف الإنجليز ... وما توجهنا إلى تحقيق الأمر وقتئذ نظرا للعواطف المثارة بالنسبة لحركة ترك الموالاة، ومن هنا ما كنا نحاول معرفة الحقائق لذا كنا نصدق مثل هذه الإشاعات، إلا أنه كلّما إزداد الشعور والإحساس انتقصت العصبية وضيق الصدر تجاه الفاضل البريلوي."[٢]

يقول الأستاذ إعجاز الحق القدوسي: "لقد كان الشيخ أحمد رضا شديد الكراهية للإنجليز، وكان يرى بنظراته الثاقبة عاقبة وخيمة لهذه الحركة فى المستقبل، وكان يرى أن المسلمين يمثلون الأقلية فى شبه القارة، وحركة ترك الموالاة خدعة مؤقتة (تنكشف حقيقتها فيما بعد) وأن الأغلبية الساحقة للهنادكة تريد أن تخدع الأقلية المسلمة، وأنه لو نجحت هذه الحركة فإن الأغلبية الهندوسية سوف تؤثر فى الأقلية المسلمة فى جميع مجالات الحياة، ولايكون الأمر عندئذ عجبا إذ تنضوى الأقلية المسلمة فى الأغلبية الهندوسية."[٣]

## الهند دار الإسلام

لقد حكم المسلمون الديار الهندية قرابة قرون سبعة، فجاءها الإنجليز تجارا ثم احتلوها بمكرهم وخداعهم وأصبحوا حكامها، وفى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي

---

(١) القادري، محمد رياست علي، السيد، معارف رضا (ط: كراتشى ١٩٨٣م) ص: ٢٣٧
(٢) الجشتي، محمد مريد أحمد، جهان رضا، ص: ١٢٥
(٣) إعجاز الحق القدوسي، إقبال اور علمائ باك وهند، ص: ٢٠٨

كانت حكومة شركة الهند الشرقية قد سيطرت على بنجاب، وكشمير، وسرحد وملتان.[١]

فاختلف العلماء فى أمر الهند المحتلة هل هى دار الإسلام أم دار الحرب؟ فقدَّم الإمام عبد العزيز الدهلوي ثلاثة أقوال للفقهاء الأحناف فى هذا الأمر، ثم قال مرجِّحا القول الثالث منها: "و المحققون رجَّحوا القول الثالث، وعلى هذا التقدير يكون البلد الذى وقع تحت سيطرة الإنجليز وأشباهه دار الحرب."[٢]

ثم بيَّن فضيلته مسألة أخرى بقوله: "و إنما حرّم تعرضه لأموالهم لما فيه من نقض العهد وإذا بذلوا بالرضا فلا وجه للحرمة."[٣]

لقد أثارت هذه المسألة قلقا شديدا فى العلماء الذين جاءوا بعد الإمام أحمد رضا فأدلى الشيخ رشيد أحمد (و هو واحد من كبار علماء ديوبند) بأقوال مختلفة حدثنا عنها الشيخ سعيد أحمد الأكبر آبادي بقوله: "إذا وضعنا الكتابات الثلاث للشيخ رشيد أحمد أمامنا فإن النتيجة التى تظهر لنا أنه قال عن الهند:

(أ) الهند دار الحرب.

(ب) لا علم لى بهذه المسألة.

(ج) الهند دار الأمان.

فماذا نستنتج من هذه الأقوال الثلاثة؟[٤]

و أدلي الشيخ محمد قاسم النانوتوي (مؤسس دار العلوم ديوبند) برأيه فى هذا الأمر قائلا: "كون الهند دار الحرب أمر فيه شبهة والراجح عندي أنها دار الحرب."[٥]

---

(١) المرجع السابق، ص: ١٥٢

(٢) عبد العزيز المحدث الدهلوي، الإمام، فتاوى عزيزيه (ط: مطبع مجتبائي) ص: ١١٠

(٣) المرجع السابق، ص: ١٠٩

(٤) أكبر آبادي، سعيد أحمد، هندوستان كي شرعي حيثيت (ط: علي كره) ص: ٦، ٣٥

(٥) النانوتوي، محمد قاسم، مكتوبات (ناشران قرآن، لاهور) ص: ٣٧١

وقال فى حين آخر: "الهند دار الحرب فى أمر الهجرة ودار الإسلام فى أمر الربا."(١)

و قال الشيخ محمود حسن (و هو من علماء ديوبند): "كلا الفريقين(٢) على صواب."(٣)

و يرى صاحب فيض البارى العلامة محمد أنور شاه الكاشميري أن الهند دار الأمان.(٤)

بيَّن الشيخ سعيد أحمد أكبرآبادي أربعة أقسام للدار وهى: دار الإسلام، ودار الحرب، ودار العهد، ودار الأمان، ثم قال: "الهند لاتندرج تحت قسم من هذه الأقسام الأربعة للدار."(٥)

هذا وذهب الإمام أحمد رضا إلى أن الهند دار الإسلام، لقد تحدث فضيلته عن هذا الموضوع بالتفصيل بقوله: "يجب تواجدُ ثلاثة أمور لتحويل دار الإسلام إلى دار الحرب عند إمام الأئمة الإمام الأعظم -رضى الله عنه- منها أن تكون أحكام الشرك سارية فيها علانية، ولا يمكن فيها العمل بأحكام الشريعة الإسلامية وإقامة الشعائر الإسلامية، ويكفي هذا القدر عند الصاحبين، والحمد لله لايوجد أحد الأمرين عندنا فى الهند."(٦)

و تحدث فضيلته عن الذين وصفوا الهند بأنها دار الحرب: "إنهم وصفوا الهند بدار الحرب لكى يحللوا الربا والذى ثبتت حرمته بالنصوص القرآنية القاطعة وورد فيه الوعيد الشديد، كأنهم وصفوا الهند بدار الحرب لكى يأكلوا الربا ويعيشوا فى بلادهم

---

(١) المرجع السابق، ص: ٢٦١

(٢) أى الفريق الذى يصف الهند بدار الحرب والذى يصف الهند بدار الإسلام. (المترجم)

(٣) المدني، حسين أحمد، سفرنامه شيخ الهند (ط: مكتبه محموديه، لاهور) ص: ١٦٦

(٤) أكبر آبادي، سعيد أحمد، هندوستان كي شرعي حيثيت، ص: ٣٤

(٥) المرجع السابق، ص: ٩٦

(٦) أحمد رضا، الإمام، إعلام الأعلام (ط: حسني بريس، بريلي) ص: ٢

بكل راحة."[١]

هل ذهب الإمام أحمد رضا وحده إلى أن الهند دار الإسلام أم أن هناك آخرين سلكوا المسلك نفسه؟ فقد أفتى به الكثيرون من علماء أهل السنة (الذين وُصفوا بالبريلوية) وعلماء ديوبند وعلماء أهل الحديث، وفيما يلى نذكر بعض الفتاوى فى هذا الموضوع.

أدلى الشيخ كرامت علي الجونفوري (خليفة السيد أحمد البريلوي) برأيه فى هذا الأمر (فى مذاكرة علمية بمدينة كلكلته بتاريخ ٢٣ من شهر نوفمبر سنة ١٨٧٠م) بقوله: "تعدُّ مملكة الهند التى وقعت تحت الاحتلال الإنجليزي دار الإسلام على المذهب الحنفي، وعليه الفتوى."[٢] وبعد كلمة الشيخ كرامت علي قام كل من الشيخ فضل علي، والشيخ ابو القاسم عبد الحكيم، والشيخ عبد اللطيف (الأمين العام) والشيخ أحمد آفندي الأنصاري المدني، والسيد إبراهيم البغدادي بتأييد الشيخ كرامت علي، إضافة إلى أنه توجد فى هذه الرسالة الوجيزة فتاوى مفتي الأحناف بمكة المكرمة الشيخ جمال بن عبد الله الحنفي، ومفتي الشافعية بمكة المعظمة العلامة السيد أحمد زينى دحلان، ومفتي المالكية بمكة المكرمة الشيخ حسين بن إبراهيم، والعلامة عبد الحق الخيرآبادي، والمفتي سعد الله، وكل هذه الفتاوى تنص على أن الهند دار الإسلام.[٣]

و قال صاحب التصانيف الكثيرة العلامة عبد الحي اللكنوي عن الهند: "إن بلاد الهند التى هى تحت سيطرة الإنجليز ليست بدار الحرب."[٤]

و الشيخ أشرف علي التانوي هو الآخر يرجِّح أن الهند دار الإسلام.[٥]

---

(١) المرجع السباق، ص: ٧

(٢) الجونفوري، كرامت علي، إسلامي مجلس مذاكره علميه كلكته (ط: نولكشور، لكناؤ) ص: ٣

(٣) المرجع السابق، ص: ٢٩، ٤٠

(٤) اللكنوي، عبد الحي، مولانا، مجموعة فتاوى (ط: مطبع يوسفي، لكناؤ) ج: ١، ص: ٣٠٢

(٥) التانوي، أشرف علي، تحذير الإخوان (ط: تانه بهون) ص: ٩

قال الشيخ صديق حسن القنوجي: "لقد اختلف علماء الإسلام فى أمر الهند، هل تعدُّ الهند دار الحرب منذ الاحتلال الإنجليزي أم مازالت دار الإسلام؟ فالأحناف الذين يمثلون أغلبية المسلمين فى الهند أفتى علماؤهم ومجتهدوهم أن الهند دار الإسلام، وعندما تكون هذه البلاد دار الإسلام فما معنى الجهاد فيها؟ بل أرى أن إرادة الجهاد فى مثل هذا البلد من كبائر الذنوب."(١)

و بيَّن الشيخ صديق حسن القنوجي رأيه بمزيد من الصراحة بقوله: "نستطيع أن نقول فى هذا المقام: "لو افترضنا أن الهند دار الحرب فعندئذ يكون نقض العهد مع الحكام البريطانيين فى الهند من كبائر الذنوب."(٢)

وقال "محامى أهل الحديث" الشيخ محمد حسين البطالوي: "إذا تمتعت مدينة أو بلدة بالحرية فى القيام بالشعائر الدينية فلاتوصف بأنها دار الحرب، حتى ولو كانت البلاد المحتلة بالكفار إسلامية فى الأصل (كما هو عليه حال الهند) فهى فى حكم دار الإسلام ما دامت فيها حرية القيام بالشعائر الإسلامية."(٣)

قال كاتب السيرة الذاية للشيخ نذير حسين الدهلوي: "كان فضيلته دائما يصف الهند بأنها دار الأمان ولم ينعتها قط بدار الإسلام."(٤)

و يقول نذير أحمد (و هو من طائفة أهل الحديث): "الشكر لله أن هندنا على الرغم من وقوعها تحت احتلال النصارى ليست بدار الحرب."(٥)

لقد وجهت إلى الإمام أحمد رضا تهمة مخالفة الجهاد لتحرير الهند فقيل عنه: "إن البريلوية وعلى رأسها البريلوي نفسه أمر المسلمين بالتباعد عن هذه الحركات كلها

---

(١) القنوجي، صديق حسن خان، ترجمان وهابية (ط: مطبع نور محمدي، لاهور) ص: ١٥

(٢) المرجع السابق، ص: ٢٦

(٣) البطالوي، محمد حسين، الاقتصاد فى مسائل الجهاد، ص: ١٢

(٤) البهاري، فضل حسين، الحياة بعد المماة (ط: مكتبة شعيب، كراتشى) ص: ١٣٤

(٥) أكبر آبادي، سعيد أحمد، هندوستان كي شرعي حيثيت، ص: ٥٣ نقلا عن حاشية سورة النساء

واعتزالهم إياها، كما أفتى بتحريم الجهاد فى ربوع هذه البلاد مستدلا بأن الهند ليس بدار الحرب، ولايؤذن ويعلن بالجهاد إلا فيها، ولم يكتف على هذا فحسب، بل إرضاءً للآخرين تجاوز أكثر من ذلك وقال: إن الهند دار الإسلام وكتب رسالة مستقلة باسم: إعلام الأعلام بأن هندوستان دار الإسلام."(١)

هذا الأسلوب من المخالفة والمعاداة والاتهام ليس بمحمود، فإن كلا من الشيخ كرامت علي الجونفوري، والشيخ صديق حسن خان القنوجي، والشيخ نذير حسين الدهلوي، والشيخ أشرف علي التانوي، الشيخ نذير أحمد، والشيخ محمد حسين البطالوي، ومولانا عبد الحي اللكنوي ذهبوا إلى أن الهند ليست بدار الحرب، وقد صرَّح بعضهم -كما ذكرنا آنفا- أن الهند دار الإسلام، هنا يطرح السؤال نفسه عن العلماء المذكورين آنفا: هل كانوا جميعا أعداء حرية الهند واستقلالها؟ والذين وصفوا الهندَ بأنها دار الإسلام هل قصدوا بهذ الرأي إرضاء الإنجليز؟ إذا كان الرد على هذا السؤال بلا فلتنظر (أيها القارئ الكريم) في الملفات القديمة لمجلة ترجمان الوهابية، ومجلة إشاعة السنة فإنك سوف تطلع على كثير من المناظر لإرضاء الإنجليز، وللمزيد من معرفة هذه الحقيقة المُرَّة اقرأوا كتابنا تحت عنوان: "بيوت من الزجاج."

## عداوة الهنادكة للمسلمين

بلغت كراهية المسلمين لدى الهنادكة لدرجة أنها تبدو كأنهم أوتوا عدواة المسلمين عند التحنيك، لقد حُكى عنهم أنه: "إذ دخل الكلب مطبخهم يظل المطبخ طاهرا، ولكن لو وقع ظل المسلم على مطبخ الهنادكة يصير المطبخ نجسا، لأن المسلمين (فى رأى الهنادكة) فى غاية القذارة، فإذا أراد المسلم أن يشترى الحلويات من محل الهنادكة فإن صاحب المحل يناوله الحلويات بغاية الإهانة من بعيد، وليس بمقدور مسلم أن يمس شيئا للهنادكة."(٢)

---

(١) البريلوية، ص: ٤٠

(٢) تاج الدين أحمد تاج، ہندؤوں سے ترک موالات، ص: ١٨

لقد انتقد الإمام أحمد رضا موالاة الهنادكة من زعماء حركة ترك موالاة الإنجليز بقوله: "عندما وصل الأمر إلى عبودية الهنادكة [فضلا عن الموالاة] فأين حمية الإسلام؟ وأين الذاتية؟ الهنادكة يعِدُّونكم أشد الناس نجاسة، والشيءُ الذى تمسه يدكم الطاهرة تحول إلى النجاسة عندهم، وإذا باعوا شيئا باعوكم وناولوه إياكم من بعيد، وإذا أخذوا الفلوس تناولوها بالخشب أو بشيء آخر من بعيد، مع أنهم بحكم القرآن الكريم نجسون، وأنتم تذهبون بهؤلاء النجسين القذرين إلى المساجد المقدسة المطهرة، وتجعلونهم يضعون أقدامهم الوسخة فى مواضع سجودكم، ولكنكم أناس ماتت حاستكم الإسلامية وأعمتكم محبة المشركين."(١)

## امتناع فضيلة الإمام من لقاء غاندي

لقد كان عصر حركة ترك الموالاة عجبا، إذ كانت هذه الحركة قد أصبحت كالسيول والفيضانات التى تذهب بكل شيء يأتى فى طريقها، وكان سامري الهند غاندي قد نفث بسحر فى عقول المسلمين حيث بدأ يتبعه الزعماء المسلمون الكبار بكامل التوقير والإجلال، وكانوا يرون لقاءه سببا للسعادة والسرور، وفى هذه الأوضاع أظهر الإمام أحمد رضا حميته الإسلامية، فكان لايعتنى بكافر ومشرك كائنا من كان، وفى عصر حركة الخلافة حاول غاندي أن يزوره حتى يجعله أيضا ممن يسيرون فى ركبه، إلا أن الإمام أحمد رضا رفض بكل وضوح أن يستقبله فى بيته فضلا عن تأييده.

أخبرنا الدكتور مختار الدين أحمد عن حمية الإمام أحمد رضا الإسلامية بقوله: "جاء أحد المسلمين إلى الإمام أحمد رضا يوما وقد غمرته آثار السعادة والسرور وقال: يريد الزعيم الهندي غاندي أن يأتيكم ويزوركم بمدينتكم بريلي. فردَّ عليه فضيلة الإمام بإيجاز شديد قائلا: فى أي موضوع سوف يتجاذب غاندي أطراف الحديث؟ وكيف يمكننى أن أبادله الرأى فى أمور الدنيا وقد قطعتُ علاقتي بالدنيا؟ ولم اهتم قط بالأمور

(١) أحمد رضا، الإمام، رسائل رضويه، ج: ٢، ص ١٩٣

التى تمُتُّ إلي الدنيا بصلة."(١)

والجدير بالذكر أن الإمام أحمد رضا كان يسكن فى حارة ذات أغلبية للهنادكة، ولم يكن فيها مسلمون غير عائلة الإمام وأقاربه، إلا أنه على الرغم من هذا الوضع كان يجهر بالتعاليم الإسلامية دون أي تخوُّف من عداء الهنادكة، ولم يكن يحمل فى قلبه رفقا للهنادكة المشركين مثل زعماء حركة ترك موالاة الإنجليز.

## حركة الخلافة

لقد أشرنا فيما سبق إلى أن المسلمين الهنديين كانوا قد أعربوا عن غضبهم واستنكارهم تجاه المظالم الإنجليزية على الأتراك بإنشاء حركة الخلافة، وكان كل من مولانا محمد علي ومولانا شوكت علي بمثابة الروح السارية فى جسد حركة الخلافة فانتهز مدعى السلام وكراهية التطرف الزعيم غاندي هذه الفرصة ومشاعر المسلمين المحترقة واحتل بسحره ومكره ودهائه زعامة هذه الحركة وإمامتها، فجاء الزعماء المسلمون الذين خُدعوا بأعمال مخالفة للشريعة الإسلامية الغراء فتألم بها العلماء المدركون للعواقب الوخيمة لهذه الحركة التى كان ظاهرها رحمة وباطنها عذابا وضياعا، فقد كان غاندي على الرغم من دعاويه البرّاقة هندوكيا متطرفا، وكان يتلاعب بمشاعر المسلمين بمهارة حتى يحقق أهدافه الهندوسية الذميمة، ولم يكن فى قلبه شىء من الاهتمام بمصائب المسلمين، كما لم تكن لديه رغبة فى تحقيق أهداف المسلمين.

لقد بيّن الإمام أحمد رضا حال الزعيم غاندي بقوله: "و الذى أصبح إمام الظاهر وملك الباطن لا للهنادكة فقط بل للمسلمين الموالين للهنادكة أيضا، ألم يقل غاندي بصراحة: "إذا لم يتنازل المسلمون عن ذبح البقر فإننا سوف نرغمهم على الابتعاد عن ذبحها."(٢)

لقد رفض علماء أهل السنة (الذين وصفوا بالبريلوية) أن يسيروا فى ركب غاندي

---

(١) أنوار رضا، ص: ٣٦١ (مقال للدكتور مختار الدين أحمد)

(٢) أحمد رضا، الإمام، المحجة المؤتمنة، ص: ٢٨

حتى ولو نادى بالخلافة والدفاع عن الأماكن المقدسة، ولم يستعدوا لاتخاذه إماما لهم.

لقد كتب السيد الشريف مولانا السيد محمد نعيم الدين المراد آبادي مقالا طبع في مجلة السواد الأعظم لشهر شوَّال سنة ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م الصادرة من مراد آباد تحت عنوان: "الفتن الكامنة فى مجالس الخلافة وجهود علماء أهل السنة لإنقاذ المسلمين منها." بيَّن فيه الشيخ المراد آبادي مأساة انحطاط المسلمين فى العالم، كما أعرب عن مشاعر المسلمين الهنديين تجاه انحطاط الأمة وزوالها، ونبه كذلك على الأخطاء التى كان يرتكبها الزعماء المسلمون بالإضافة إلى أنه قدم بعض الاقتراحات وأشار إلى وسائل المساعدة للإخوة الأتراك الذين دُمِّروا إثر الحرب العالمية الثانية. إنه القائل: "لقد زلزلت البلاد الإسلامية بالنوازل، ووطئ تراب الأماكن المقدسة للمسلمين بأقدام الكفار، وأصبحت كرامة الحرمين الشريفين والبلاد الطاهرة فى معرض الخطر، لماذا لاتتمزق قلوب المسلمين؟ ولماذا لاتذرف عيونهم الدماء؟ إن إعانة السلطنة الإسلامية ونصرة خادم الحرمين الشريفين واجبة على المسلمين."[1]

هذا وقد تحدث فضيلته عن جهود المسلمين لإنقاذ السلطنة الإسلامية بتركيا، بقوله: "يعرب المسلمون الهنديون عن مشاعرهم تجاه بلاد تركيا الإسلامية بعقد الإجتماعات وإلقاء الكلمات المؤثرة فيها، إنهم يطالبون الحكومة البريطانية بإقرار بلاد تركيا على اسقلالها وإرجاع أماكنها المحتلة إليها، ولتحقيق هذا الهدف يتم اتخاذ القرارات، وإرسال الوفود، ولايمكن القول: إلى أي مدى يمكن نجاح هذه الجهود.[2]

لقد انضم الهنادكة إلى المسلمين فى هذه الحركة لذا اعتزل علماء أهل السنة (الذين سمَّاهم مخالفوهم بالبريلوية) عن هذه الحركة، وقد حدثنا السيد محمد نعيم الدين المراد آبادي عن سرِّ تباعد علماء أهل السنة (الذين وصفوا بالبريلوية) عن حركة الخلافة بقوله: "إن المذهب الحنفي لايحرِّم انضمام الهنادكة إلى المسلمين إلا أن الأوضاع

---

(١) النعيمي، غلام معين الدين، حيات صدر الأفاضل (إدارة جامعه نعيميه رضويه، لاهور) ص: ٩٩

(٢) المرجع السابق، ص: ١٠٠

مختلفة تماما، لأن الأمر لو كان مقصورا على مطالبة المسلمين بإعادة حقوق الإخوة الأتراك وسار الهنادكة وراءهم مؤيدين مطالبهم لكان الأمر خيرا وبركة، لكن الوضع المؤسف الذى لاحظه الجميع أن الزعيم الهندوسي (غاندي) كان إماما والمسلمون يسيرون وراءه مثل المأمومين، ويؤيدون كل كلمة من كلماته، يأتى حكم غاندي أولا ثم تصدر الفتوى من الشيخ عبد الباري، الهنادكة يتقدمون والمسلمون يمشون وراءهم، وهكذا يجعل المسلمون الغانديون دينهم ومذهبهم فداء للزعماء المشركين."[١]

لقد تحدثنا عن هذه الظاهرة فى الصفحات السابقة، وكان مولانا السيد سليمان أشرف البهاري -رئيس قسم الدينيات بجامعة مسلم، علي كره- قد أدلى برأيه فى هذا الموضوع قائلا: "لقد جعل الله -تبارك وتعالى- العملَ بتعاليم الدين والمذهب هدفا حقيقيا للمسلمين، وليست الدنيا عندهم إلا لخدمة الدين، فإذا لم يبق المذهب والدين فلا شيء يحلو للمسلم الحق، والسلطنة المسموحة على حساب الدين ملعونة، ومئات اللعنات على حكومة يتم شراؤها بالإيمان."[٢]

## الأئمة من القريش

لقد تحدثنا عن الفتن الكامنة فى باطن حركة الخلافة والتى كان غاندي داعيا إليها وزعيما لها فنفع حزبه "المؤتمر الوطني الهندي" ما نفعَ، وأحل بالمسلمين من الأضرار ما يفوق الوصف، لذا لايصح عن الإمام أحمد رضا قول القائل: "و ألف رسالة أخرى (دوام العيش) أبطل فيها دعوى المناصرين للخلافة التركية مستدلا بأن الخليفة لايكون إلا قرشيا، فمادام العثمانيون الأتراك غير قريشيين فلاتثبت خلافتهم، وعلى ذلك ليس على مسلمى الهند مناصرتها ومساعدتها بمحاربة الإنجليز ومقاتلتهم من أجلها والدفاع عنها، وقد صرح أكثر من ذلك حيث قال: إن مناصرة الأتراك [في زعامة غاندي] خداع محض

---

(١) المرجع السابق، ص: ١٠٠، ١٠١

(٢) البهاري، سليمان أشرف، السيد، الرشاد (ط: مكتبه رضويه، لاهور) ص: ٢٠

وإلا فالمقصود الأصلي من ذكر اسم الخلافة تحرير الأراضى الهندية من الإنجليز."[١]

لقد سئل الإمام أحمد رضا : هل إعانة السلطنة التركية واجبة على المسلمين أم لا؟ فردّ فضيلته بما يلى: "إن رجاء الخير والسلامة للسلطنة العلية العثمانية، وكلِ سلطنة إسلامية، وكلِ جماعة إسلامية، وكلِ فرد ينتمي إلى الإسلام فرض على كل مسلم ولو لم يكن أحدهم من قريش، وإن رجاء الخير والسلامة من أعماق القلب للمسلمين مطلقا فرضُ عين على كل مسلم، ولا بد أن يعين المسلم أخاه أو إخوانه فى الدين عند الحاجة بدعواته، فلايعجز أحد المسلمين عن الدعاء للمسلمين، أما مساعدة الأتراك بالمال والأعمال فهي فرض كفاية."[٢]

و بعد هذا الكلام كيف يقال عن الإمام أحمد رضا أنه كان يمنع المسلمين من مناصرة الإخوة الأتراك؟ لقد حاول مؤلف الكتاب: "البريلوية" أن يظهر أنه كان الإمام أحمد رضا يرى أن تحرير الأراضى الهندير هدف من وراء حركة الخلافة فخالفها للحيلولة دون تحرير الهند، وبالاطلاع على النص الأصلي يتضح الصحيح من الخطأ، فقد قال الإمام أحمد رضا: "إن إرادة مناصرة الأتراك خداع محض وليس المقصود من ذكر اسم الخلافة إلا إحلال عبودية الهنادكة على المسلمين، وقد صرَّح به الزعماء الكبار بقولهم: اذكروا اسم الخلافة فتهيج عواطف الناس، فتتمعوا بالتبرعات المالية الهائلة، فتنفع تلك التبرعات لتحرير الأراضى المقدسة لجنجا (Ganga) وجمنا (Jamna)[٣]

لاتعني هذه العبارة إلا أن الزعماء وعلى رأسهم غاندي استخدموا اسم الخلافة لجلب المنافع المعينة، والمقصود الأصلي من وراء هذه الحركة يتمثل فى إنشاء دولة علمانية، والتي يديرها الهنادكة كيف شاءوا لأنهم يمثلون أغلبية الهند، وبالطبع يكون المسلمون أتباعا للهنادكة ومحكومين لهم، هذا هو الأمر الذى رفضه الإمام أحمد رضا،

---

(١) البريلوية، ص: ٤١، ٤٢

(٢) أحمد رضا، الإمام، دوام العيش (ط: مكتبه رضويه، لاهور) ص: ٤٦

(٣) المرجع السابق، ص: ٦٥

ولا بد أن يرفضه كل مؤمن ذى بصيرة.

لقد تم توجيه السؤال إلى الإمام أحمد رضا بشأن الخلافة بما يلي: "هل يجب للخلافة الشرعية أن يكون الخليفة من قريش أم لا؟ فرد عليه الإمام أحمد رضا وألف رسالته "دوام العيش الأئمة من قريش" والتى تحتوي على مقدمة وثلاثة فصول وكان فضيلة الإمام قد بدأ الفصل الثالث إلا أنه لم يتمكن من إكمالها نظرا لأشغال علمية أخرى، وبالتالي لبى نداء ربه وارتحل من دنياه الفانية إلى دار البقاء، فقام ابنه مولانا محمد مصطفى رضا خان بطبع هذه الرسالة بعد رحيل والده بسنة."(١)

يزعم بعض الناس أن الإمام أحمد رضا ألف رسالتيه إعلام الأعلام، ودوام العيش إرضاء للإنجليز، إلا أن هذا الرأي بعيد عن الإنصاف، لقد طبعت الرسالتان بعد رحيل الإمام أحمد رضا إلى دار الآخرة، ويستطيع كل من يملك شيئا من العقل أن يعرف أن فضيلة الإمام لو كان يبتغي مرضاة الحكام البريطانيين لطبعهما فى حياته فى أقرب فرصة، وهو أمر لم يحدث قط، لذا يمكننا أن نقول بكل ثقة: إن من وجَّه تهمة إرضاء الإنجليز إلى الإمام أحمد رضا كان محروما من سمة الأمانة العلمية والبصيرة النافذة.

قدم الإمام أحمد رضا فى رسالته دوام العيش خمسين حديثا بالإضافة إلى إثنين وتسعين نصا للعلماء الأجلَّاء فى الفقه والعقائد وأثبت أنه من شروط الخلافة الشرعية أن يكون الخليفة من قريش بدليل الأحاديث التى وصلت إلى درجة التواتر، وقد أجمع الصحابة، والتابعون، وأهل السنة على هذه المسألة (٢) ولم يخالف هذا الإجماع إلا الخوارج وبعض المعتزلة."(٣)

---

(١) المرجع السابق، ص: ٤١-٤٣ (تمهيد بقلم المفتى الأعظم بعموم الهند مولانا محمد مصطفى رضا خان)

(٢) المرجع السابق، ص: ٧٥

(٣) المرجع السابق، ص: ٤٦

## جماعة أنصار الإسلام

لعل بعض الناس يتساءل: ماذا فعل الإمام أحمد رضا من أجل سلطنة تركيا؟ فليس هناك متّسع للحديث عن هذا الموضوع بالتفصيل فى هذا المقام، إلا أننا نشير فيما يلى إلى بعض الأمور إشارات سريعة.

لقد قام الإمام أحمد رضا بتأليف رسالة باسم: "تدبير الفلاح والنجاة." وذلك سنة ١٣٣١هـ / ١٩١٣م قدم فيها أربع اقتراحات لو كان المسلمون الهنديون قد طبقوها فى مجتمعهم لتغيرت حالتهم من الناحية الدينية والاقتصادية، والاقتراحات الأربعة كما يلى:

(١) "على المسلمين أن يتفاهموا بأنفسهم فيما شجر بينهم من النزاعات ولا يرفعوا قضاياهم إلى المحكمة الإنجليزية سوى القضايا التي هى قابلة للتدخل الحكومي إذ تضيع ملايين الروبيات فى حل النزاعات بالمحاكم.

(٢) لايشتري المسلمون شيئا إلا من المسلمين حتى يبقى نفع البيت فى البيت.

(٣) على أغنياء المسلمين أن يفتحوا بنوكا إسلامية خالية من الربا لإخوانهم المسلمين فى بومبائى، وكلكته، ورانجون، ومدراس، وحيدرآباد وغيرها من المدن، فالربا محرَّم قطعا بحكم الشريعة الإسلامية وقد أحلت الشريعة مئات الطرق لكسب النفع.

(٤) وأعظم من هذا وذاك تبليغ الدين ونشره."[١]

وحدثنا مولانا شاه أولاد رسول محمد ميان القادري عن جهود الإمام أحمد رضا من أجل مساعدة المسلمين الأتراك، قال فيه : "لقد قام فضيلة الإمام قبل اليوم (١٣٤٠هـ / ١٩٢١م) بسنوات عند حرب البلقان (١٩١١م-١٩١٢م) بنشر التدابير الشرعية والصحيحة لمساعدة السلطنة الإسلامية والمسلمين المظلومين، وأيدهم قولا وعملا، فقد تبرع فضيلة الإمام بنفسه ثم وجّه الآخرين إلى هذه المهمة، ومازال يخبر

---

(١) دوامغ الحمير، ص: ٢٨

المسلمين عن الطرق الشرعية المفيدة لإعانة الإسلام والمسلمين. لقد قام الإمام أحمد رضا عمليا بما استطاع أن يقوم به من أجل مساعدة المسلمين المظلومين وقدم بنفسه تبرعا ماليا ووجَّه أحبابه إلى التبرع، ووجَّه المسلمين إلى إعانة السلطنة الإسلامية، وقدّم بالاقتراحات المفيدة للدفاع عن السلطنة الإسلامية، إذا لم تكن هذه الجهود العملية شيئا يذكر فما هي؟ ... وأنشأ فضيلته لمساعدة هؤلاء المسلمين المظلومين جماعة باسم أنصار الإسلام."[١]

## حركة شدهي

لقد كان الإمام أحمد رضا، ومولانا السيد محمد نعيم الدين المراد آبادي، ومولانا السيد سليمان أشرف البهاري ينبهون المسلمين من حين لآخر على أن الهنادكة أعداء للمسلمين وكان انضمام الهنادكة إلى حركة الخلافة وحركة ترك الموالاة من باب الخدعة والمؤامرة، وهذا ما ظهر فعلا فيما بعد، وإنه ليس من الإنصاف عدم الاعتراف بالبصيرة الإسلامية التى أكرم بها الإمام أحمد رضا وأعوانه من علماء أهل السنة.

و يمكن أن نعرف خدعة الهنادكة مما قاله محمد علي جوهر فى كلمته التي ألقاها بمدينة بشاور فى الخامس والعشرين من شهر ديسمبر سنة ١٩٢٧م، فقد أعرب عن قلقه وأسفه قائلا: "لقد كان الزعيم الهندوسي غاندي يقوم بالرحلات من مدينة إلى أخرى بأموال الخلافة، وعندما حُكم علينا بالسجن كان غاندي ينفق أموال الخلافة على رحلاته بين المدن الهندية، حتى أنه أنفق أموال الخلافة جميعها على رحلاته وذلك عندما خرج غاندي ليجمع عشرة مليون روبية للمؤتمر الوطني الهندي."[٢]

يا له من شقاء للأمة الإسلامية، لقد كان المسلمون قد اطمأنوا أنهم قاموا بمساعدة إخوانهم الأتراك إلا أن تلك الأموال راحت ضحية لرحلات غاندي التي جمع فيها الرجل

---

(١) القادري، محمد ميان، *اولاد رسول، بركات مارہرہ ومهمانان بدايوں*، (مطبع حسني بريس، بريلي) ص: ١١، ١٣

(٢) الجعفري، رئيس أحمد، حيات محمد علي جناح، ص: ١٠٥

عشرة مليون روبية للمؤتمر الوطني الهندي، ولم يكتف الهنادكة بهذا الأمر فقط بل حاولوا كل المحاولة أن يحرموا المسلمين الهنديين من إيمانهم كما حرموا إخوانهم الأتراك من التبرعات التى جمعها المسلمون لمساعدتهم.

لقد اجتمع زعماء الهنادكة من أرجاء الهند عام ١٩٢٥م وذلك خلال الحفلات التى أقيمت بمناسبة العيد المئوى لمؤسس آريه سماج والذى يحمل اسم "ديانند" وقتئذ دبَّروا مؤامرة سرِّية لدفع المسلمين فى هاوية الارتداد، واتفقوا على إسراع الجهود التبليغية وإثارة الشكوك والشبهات عن نبي الإسلام ﷺ حتى يتمكنوا من حرمان المسلمين البسطاء من نعمة الإيمان والإسلام، وقرروا إشعار المسلمين البسطاء أن أجدادهم كانوا هنادكة، والهند بلد للهنادكة، والإسلام دين أجنبي وافد من الخارج، فعليهم بالعودة إلي الديانة الهندوسية التي هي ديانة آبائهم وأجدادهم، وسميت هذه الحركة المشئومة بحركة شدهي، فارتد ملايين المسلمين كنتيجة لها. وهكذا ضحك الهنادكة على المسلمين.

كان الإمام أحمد رضا حينئذ قد ارتحل إلى دار البقاء فقام تلاميذه وخلفاؤه وغيرهم من علماء أهل السنة بمواجهة هذه الحركة المناوئة للإسلام والمسلمين، وهكذا أقاموا سدا منيعا فى وجه حركة أخرى والتي عرفت بحركة سنكتن والتي كانت تهدف إلى تهديد المسلمين بالضرب والقتل، وأما العلماء الذين أسهموا فى الدفاع عن الإسلام والمسلمين فى تلك الفترة فأسماؤهم كالتالى:

(١) حجة الإسلام مولانا محمد حامد رضا خان

(٢) المفتى الأعظم بعموم الهند مولانا محمد مصطفى رضا خان

(٣) أمير الملة الشيخ السيد جماعت علي شاه

(٤) مولانا غلام قطب الدين الأشرفي

(٥) صدر الأفاضل مولانا السيد نعيم الدين المراد آبادي

(٦) مولانا مختار أحمد الصديقي الميرتي

(٧) مفسر القرآن مولانا ابو الحسنات القادري

**(٨) مبلغ الإسلام مولانا عبد العليم الصديقي**

**(٩) مولانا نثار أحمد الكانفوري**

**(١٠) مولانا مشتاق أحمد الكانفوري**[١]

**(١١) مولانا غلام قادر الأشرفي رحمهم الله**[٢]

و قد قام علماء أهل السنة بالرحلات والزيارات إلى كل من آغره، ومترا، وبَرتبور، وغورغانوان، وغوبند كره، وأجمير، جى بور، وكشن كره وغيرها من الأماكن، وأقام السيد محمد نعيم الدين المراد آبادي والشيخ السيد جماعت شاه مركزا تبليغيا بمدينة آغره (Agra) حيث أقاموا لفترة طويلة لإعادة المسلمين البسطاء الذين كانوا قد ارتدوا إلى الإسلام.[٣]

لقد ارتدَّ خمسة وأربعون مليونا من المسلمين، كما أسلم خمسة عشر مليونا من الهنادكة فى تلك الآونة.[٤]

ألف مؤسس حركة شدهي بندت ديانند سَرسَوَتّي كتابا مسيئا لنبي الإسلام ﷺ باسم "ستيارتهـ بركاش" ووجَّه الانتقادات إلى الإسلام واستخدم لغة مسيئة، فقام مولانا السيد محمد نعيم الدين المراد آبادي بالرد المسكت على هذا الكتاب باسم: "إحقاق الحق" وهو مطبوع.[٥]

فى عصر حركة شدهي نشأت صراعات دامية بين الهنادكة والمسلمين، فكان الزعماء المسلمون يوصون المسلمين بالهدوء بينما كان الزعماء الهنادكة يشعلون نيران العواطف ضد المسلمين. وقتئذ قال غاندي: "الهنادكة جبناء والمسلمون مفسدون." ولم

---

(١) النعيمي، غلام معين الدين، السيد، حيات صدر الأفاضل، ص: ١٨٠

(٢) محمد مسعود أحمد، تحريك آزادى هند اور السواد الأعظم (رضا ببلي كيشنز، لاهور) ص: ١٢٨

(٣) النعيمي، غلام معين الدين، السيد، حيات صدر الأفاضل، ص: ١٨٠

(٤) محمد مسعود أحمد، تحريك آزادى هند اور السواد الأعظم، ص: ١٢٨

(٥) المرجع السابق، ص: ١٢٦

يقل هو وزملاؤه كلمة واحدة عن المفسد الهندوكي "شردهانند" وكذلك سكتوا عن قيام بندت مالوي بإشعال نار العداوة ضد المسلمين. لقد أدلى مولانا ظفر علي خان كلمة عن قيام بندت مالوي بإثارة العنصرية ضد المسلمين عندئذ لم يسكت غاندي الذى كان رئيسا لتلك الجلسة، بل بالعكس غضب من هذا الكلام وقال لمولانا ظفر علي خان: "لقد وجهت لكمة إلى صدرى بالنقد على بندت مالوي."(١)

من منظور هذه الحقائق المُرَّة يمكننا أن نقول: إن إرشادات علماء أهل السنة (المنعوتين بالبريلوية) وتوجيهاتهم كانت نابعة من قلوب صافية وعقول مستنيرة بالنصين الشريفين، فقد صدَّقت الظروف التى ذكرناها ما قاله علماء أهل السنة (الذين وُصفوا بالبريلوية) قبل سنوات، لقد كانوا ينبهون على أن الهنادكة أيضا أعداء للمسلمين، فليحذر المسلمون من عدوهم هذا أيضا.

## عدم إلمام فرانسس روبينسون بالحقائق

لقد كان جهاد الإمام أحمد رضا وغيره من علماء أهل السنة ضد التحالف الهندوكي الإسلامي (تحت شعار عدم الموالاة للإنجليز) سببا للعداوة والغضب عند العلماء الموالين للهنادكة، وكان للهنادكة تأثير عميق فى الصحافة لذا أثيرت ضجة لإهانة علماء أهل السنة (المنعوتين بالبريلوية).

يقول ميان عبد الرشيد: "عندما هبت ريح غاندي تزلزلت أقدام الكبار وأعميت الأبصار، إلا أن الشخصية الثالثة التى لم تتأثر بالأحداث بجانب العلامة محمد إقبال ومحمد علي جناح هى شخصية الشيخ أحمد رضا الذى أكد هو الآخر أنه علينا أن نجعل العينين مفتوحتين فكل واحد من الإنجليز والهنادكة عدو لنا، والمسلمون الكونجرسيون جعلوا عينا واحدة مفتوحة، فكانوا يعادون الإنجليز فقط، وفى تلك الأيام كانت سيطرة الهنادكة على الصحافة قوية فنشرت إشاعات كاذبة عن الشيخ أحمد رضا خان البريلوي

(١) الجعفري، رئيس أحمد، حيات محمد علي جناح، ص: ١٥٩

وزملائه لإهانتهم، إلا أن التاريخ أصدر حكمه فى صالح ثلاثتهم،[١] وبدأ سحر الإشاعات الباطلة يزول شيئا فشيئا، والحق يظهر بكامل حسنه وجماله."[٢]

نشرت الإشاعات الكاذبة عن الإمام أحمد رضا من حين لآخر، وقد أثرت فى فرانسس روبينسون (Francis Robinson) الأستاذ بجامعة لندن، فكتب مايلي فى تأليفه: "الانفصالية بين المسلمين الهنديين" (Separatism among Indian Muslims) عن الإمام أحمد رضا حسبما سمع وقرأ وهو كالتالي:

**أحمد رضا خان**

**(١٨٥٥م - ١٩٢١م)**

كان يناصر الحكومة الإنجليزية، فقد أيد الحكومة الإنجليزية عند الحرب العالمية الأولى، وظلت مناصرته للحكومةَ الإنجليزية مستمرة إلى زمن حركة الخلافة سنة ١٩٢١م، لقد دعا إلى المؤتمر فى مدينة بريلي حيث جمع العلماء الذين كانوا قد خالفوا حركة ترك الموالاة، وكان لهم تأثير فى نفوس عامة المسلمين، والطلاب، والأساتذة."[٣]

إذا كان هذا هو مستوى العلم والتحقيق أن كاتبا إنجليزيا كتب فى تأليفه كذا وكذا فاستدل به مؤلف الكتاب: "البريلوية" فهذا الأمر بلاشك فى غاية الروعة في مجال البحث والتحقيق، وإذا كانت الحقائق الثابتة أساس التحقيق فذرونى أن أقول: لا قيمة لهذا الاستدلال والتحقيق الذي جاء به مؤلف الكتاب البريلوية، وذلك للأمور الآتية:

(١) ولد الإمام أحمد رضا عام: ١٨٥٦م بينما كتب روبينسون عام مولد الإمام: ١٨٥٥م.

---

(١) أي الإمام أحمد رضا، محمد إقبال ومحمد علي جناح. (المترجم)

(٢) عبد الرشيد، *مياں*، باكستان كا بس منظر اور بيش منظر، ص: ١٢٠

(٣) (أ) البريلوية، ص: ٤٤

(ب) فرانسس روبينسون، سبرتزم امنك مسلمز (ط: مطبعة جامعة كامبرج ١٩٧٣م) ص: ٤٢٢

(جـ) قرشي، أفضل حق، *إقبال كے ممدوح علماء* (مكتبه محموديه، لاهور) ص: ١٨

(٢) لقد أخطأ الرجل حينما قال عن فضيلة الإمام أنه كان يناصر الحكومة الإنجليزية والحق أنه كان يكره ويخالف الإنجليز والهنادكة معا. قال المؤرخ الشهير الدكتور اشتياق حسين القرشي عن فضيلة الإمام: "إنه أثبت أن موالاة الهنادكة حرام مثل حرمة موالاة الإنجليز."(١)

(٣) ومن الخطأ أيضا قول روبينسون أن فضيلة الإمام أيد الحكومة الإنجليزية عند الحرب العالمية الأولى، لأنه عندما وجهت تهمة تأييد الإنجليز إلى الإمام أحمد رضا اعترف بعض مخالفيه بعدم رضاه وعدم تأييده للمساعدة العسكرية للحكومة الإنجليزية، فقد قال أحد زعماء المسلمين فى حركة ترك الموالاة والمخالف السياسي لفضيلة الإمام مولانا معين الدين الأجميري: "كان هناك الاقتراح الخامس بالنسبة لترك الموالاة والذى قبِله كل من الشيخين (الشيخ الإمام أحمد رضا والشيخ أشرف علي التانوي) وهو الامتناع عن المساعدة العسكرية للحكومة الإنجليزية."(٢) كيف نقبل قول مؤلف البريلوية عن فضيلة الإمام أنه أيد الحكومة الإنجليزية فى الحرب العالمية الأولى (١٩١٤م - ١٩١٨م) فإذا كان لديه ما يثبت ذلك فليظهره لنا.

(٤) المؤتمر الذى أشار إليه روبينسون لم يكن الإمام قد قام بعقده فى بريلي بل كان زعماء جمعية علماء الهند (من الديوبنديين) قد قاموا بعقده، وقد شاركه علماء أهل السنة لإتمام الحجة فبينوا موقفهم من حركة ترك الموالاة هناك بقولهم: "إننا لانخالف معارضة الإنجليز بل نخالف تحالف المسلمين والهنادكة، كما نخالف الأفعال والأقوال التى صدرت خلال تحالف المسلمين والهنادكة." لقد قال مولانا السيد سليمان أشرف البهاري فى كلمته التى ألقاها فى ذلك المؤتمر: "إن موالاة كل نصراني ويهودي حرام قطعا فى كل حال محاربا كان أو غير محارب وذلك بحكم قول الله عز وجل: "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

---

(١) القادري، رياست علي، سيد، معارف رضا (طبعة كراتشى، ١٩٨٣م) ص: ٢٣٨

(٢) رئيس أحمد الجعفري، أوراق كم كشته (طبعة لاهور ١٩٦٨م) ص: ٥٧٦

ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ." [١] وقول الله عز وجل: "لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ." [٢] وإنكم (أيها الزعماء لحركة ترك موالاة الإنجليز) تحرِّمون موالاة الإنجليز وتجيزون موالاة المشركين (الهنادكة) بل تتجاوزون إلى القول: إنها اتباع للحكم الإلهي." [٣]

(٥) وقال روبينسون: إن مولانا عبد البارى الفرنجي محلي كان قد عاهد الحكومة الإنجليزية فى أمر مسجد بكانفور عام ١٩١٣م فخالفها الشيخ أحمد رضا، وهذا الكلام يعارض ما قاله روبينسون عن فضيلة الإمام لأن من يناصر الحكومة الإنجليزية (على حد قول روبينسون) كيف ولماذا يخالف أحدا بناءً على المعاهدة مع الحكومة في أمر المسجد.

لقد حدث عام ١٩١٣م أمر خطير إذ أنه تم استخدام جزء من المسجد بكانفور فى توسيع الشارع، فأطلقت الرصاصات واستشهد العديد من المسلمين نتيجة لمعارضتهم ومسيراتهم المناوئة لهذا الأمر، فى هذه الظروف التقى وفد المسلمين بالحاكم الإنجليزي العام للهند فى ١٦ من شهر أغسطس من العام نفسه، وكان مولانا عبد البارى الفرنجى محلي من ضمن وفد المسلمين، وفى ١٤ من شهر أكتوبر عام ١٩١٣م تم صلح المسلمين مع الحاكم العام للهند على بعض الشروط، وعندئذ توجه أحد المسلمين بالسؤال عن هذه المعاهدة إلى الإمام أحمد رضا فرد عليه فضيلة الإمام وسمّى هذه الفتوى بـ"إبانة المتوارى" وانتقد هذه المعاهدة لأن الوقف لاينقل حسب حكم الشريعة الإسلامية، وعندئذ بين فضيلة الإمام حكم الشرع بكل جرأة وصراحة دون أدنى اهتمام بالحاكم العام." [٤]

(٦) لقد كتب روبينسون عن فضيلة الإمام: "كان له احترام فى نفوس عامة

---

(١) سورة المائدة: ٥١

(٢) سورة آل عمران: ٢٨

(٣) روداد مناظره، ص: ٧

(٤) محمد مسعود أحمد، الدكتور، كناه بى كناهى، ص: ٣١، ٣٢

المسلمين، إلا أن المسلمين المثقفين لم يكونوا يحبونه."

إذا كان أحد يريد أن يرى مكانة الإمام أحمد رضا فليطالع كتب الأستاذ الدكتور محمد مسعود أحمد التالية:

"الفاضل البريلوي من منظور علماء الحجاز."

"الإمام أحمد رضا والعالم الإسلامي."

لقد قام علماء العرب والعجم بالاعتراف بعظمة الإمام أحمد رضا مثل العلامة الدكتور محمد إقبال، والدكتور ضياء الدين (نائب رئيس الجامعة، بجامعة علي كره)، وكان مولانا وصي أحمد المحدث السورتي محبا له، كما كان أمثال مولانا السيد محمد نعيم الدين المراد آبادي، ومولانا أمجد علي الأعظمي، ومولانا ظفر الدين البهاري، ومولانا السيد سليمان أشرف البهاري (رئيس قسم الدينيات بجامعة مسلم، علي كره) ومبلغ الإسلام مولانا عبد العليم الميرتي، والمفتي الأعظم ببلاد باكستان العلامة أبو البركات السيد أحمد من بين تلاميذه أو خلفائه، والذى كان تلاميذه وخلفاؤه كالمذكورين آنفا لايقبل عنه قول القائل: "المسلمون المثقفون لم يكونوا يحبونه."

(٧) لم يقم روبينسون بنفسه وبصفة مباشرة بمطالعة الشواهد التاريخية، كما لم تكن مؤلفات الإمام أحمد رضا بين يديه، ولم يتجاوز علمه -حسب تصريحه- عن الحوار الذى جرى بينه وبين مفتى رضا الأنصاري بن مولانا سلامة الله.[١]

لم يكن علماء فرنجي محل مرتاحين من الإمام أحمد رضا نظرا للجهاد الذى قام به فضيلة الإمام ضد موالاة الهنادكة تحت شعار ترك موالاة الإنجليز، ويبدو أنه لهذا السبب أدلى مولانا المفتي رضا الأنصاري بما أورده روبنسون فى كتابه هذا من تهمة مناصرة الإنجليز على الإمام أحمد رضا، والآن عندما اتضحت حقيقة هذه التهمة لم تبق للحوار الذى جرى بين المفتي رضا الأنصاري وروبينسون قيمة تذكر.

(١) فرانسس روبينسون، سبرتزم امنك اندين مسلمز، ص: ٤٤٢

(٨) كان أفضل حق القرشي قد نقل كلام روبينسون فى كتابه: "العلماء الذين أثنى عليهم إقبال" حيث حاول الرجل أن يروي غليله بالطعن فى علماء أهل السنة (الذين وصفهم مخالفوهم بالبريلوية) فأورد كلام روبينسون وأشار فى الهامش إلى صفحة رقم ٤٤٢ من كتابه، فقام مؤلف الكتاب: "البريلوية" بنقل كلام روبينسون من كتاب أفضل حق القرشي دون الرجوع إلى المصدر الأصلي وذكر فى الهامش صفحة رقم: ٤٤٣ من كتاب روبنسون إلا أن هذا الكلام ورد فى صفحة رقم: ٤٢٢ من كتابه. وقد سبق أن ذكرنا أنه لا قيمة لمثل هذه العبارات والنصوص فى عالَم البحث والتحقيق.

# الإمام أحمد رضا والإنجليز

لقد كان عدم الاعتناء بالحكومة الإنجليزية أمرا ورثه الإمام أحمد رضا من والده مولانا محمد نقي علي خان القادري. فقد قال فضيلة الإمام مبينا خصائص والده الجليل: "من سماته موالاة الفقراء، وفى الأمر الديني عدم المبالاة بالأغنياء، والاعتزال عن الحكام، والقناعة بالرزق الموجود."(١) وكانت ميزة الابتعاد عن الحكام سمة اتصف بها فيما بعد ابنا فضيلة الإمام، وتلاميذه، وخلفاؤه.

لقد كان البريطانيون جاءوا إلى الهند تجارا إلا أنهم مع مرور الوقت سيطروا على البلاد الهندية بالمكر والخداع فأصبحوا حكاما بها، ومن هنا حاول فضيلة الإمام إيقاظ الأمة الإسلامية من سبات الغفلة بقوله:

ظلام بغاب سواد السحاب ❊ حذارى من اللص ما إن يهاب

من العين كحلا بها ينهب ❊ وأنت تنام ولاتغضب

ألا إنه طالب للهلاك ❊ ترديك فاحذر سلك الشباك

من النوم هب لديك الذهب ❊ تنام وهذا عُجاب عجب(٢)

لقد ازدادت الفتن خلال العهد الإنجليزي الغاشم فى الهند حيث اشتدت الغارات والهجمات على إيمان المسلمين ودينهم، فكان المسيحيون والآريون يسيئون للحبيب المصطفى ﷺ كما أنهم كانوا يهاجمون الإسلام، وكان المسلمون المصابون بالغفلة

---

(١) نقي علي خان، مولانا، جواهر البيان (ط: مكتبة حامدية، لاهور) ص: ٢ (تعريف بالمصنف، بقلم الإمام أحمد رضا القادري)

(٢) صفوة المديح فى مدح النبي ﷺ وآل البيت والصحابة والأولياء، للشيخ محمد أحمد رضا القادري، ترجمه عن الشعر الأردي دكتور حازم محمد أحمد محفوظ، نقله إلى الشعر العربي: دكتور حسين مجيب المصري (ط: دار الهداية، القاهرة، ١٤٢٢هـ) ص: ١٦٩

يستمعون إلى محاضراتهم، وفى مثل هذه الظروف أصدر الإمام أحمد رضا فتواه تحت عنوان: "بارق النور فى مقادير الماء الطهور" منبها المسلمين الذين يستمعون إلى محاضرات الكفار المسيئين للإسلام ونبيِّه الكريمﷺ. قال فيها فضيلة الإمام: "فى عصرنا الراهن بلغ جهل بعض إخوتنا المسلمين إلى درجة أنهم إذا سمعوا أنه سوف يتم إلقاء محاضرة فى الرد على جانب من جوانب الإسلام فى ساعة كذا فإنهم يسعون للاستماع إلى تلك المحاضرة، أو أعلن قسيس أنه سوف يلقى محاضرة فى إثبات جانب من جوانب المسيحية فى ساعة كذا يسعى المغفلون من المسلمين إلى ذلك القسيس. أيها الإخوة الكرام! هل أنتم أدرى بنفعكم وخسارتكم أم ربكم -عز وجل- ونبيكم ﷺ؟ وقد أمرونا أنه إذا جاءكم الشيطان لإلقاء الوسوسة فى قلوبكم فقولوا له بكل صراحة: "أنت كذاب" لا أن تسعوا إليه لتسمعوا منه الكلمات الملعونة عن ربكم، وقرآنكم، ونبيكم."[١]

ثم قال بمزيد من التنبيه: "إذا كان إيمانك صادقا فالتخبرنى هل سوف تكون محاضراتهم ونداءاتهم محتوية على مدح ربكم، وقرآنكم ونبيكم، وإيمانكم أم تشتمل على ذمهم؟ والظاهر أن تلك المحاضرات سوف تنطوي على الأمر الثاني، وإنهم يدعونكم لكي يكذبوا ويهينوا الله -جل جلاله- والرسول ﷺ والقرآن الكريم، والدين الحنيف أمامكم. فتدبروا قليلا إذا أعلن أحد الأشرار أننى سوف أبين حقيقة فلان فى ساعة كذا ومكان كذا أن أباه ولد الحرام وأمه زانية، هل يقدر إنسان ذو حمية أن يذهب هناك ويسمع عن والديه الكلام المسيء؟ حاشا لله لا يمكن أن يصدر هذا العمل المشين حتى ممن ينظف الحمامات من الكنَّاسين، فلنتدبر أيها المستمعون لمحاضرات المسيئين لسيد العالمين ﷺ والمهاجمين على الدين، هل إهانة الرب الجليل سبحانه تعالي، والرسول الكريم ﷺ، والقرآن العظيم وتكذيبهم أشد أم سباب الوالدين؟ بكل تأكيد سوف تعدون سباب الوالدين كأنه لا شيء أمام الاستخفاف بالرب الجليل سبحانه تعالي، والرسول الكريم

(١) أحمد رضا، الإمام، فتاوى رضويه، ج: ١، ص: ٢١٥

ﷺ، والقرآن الكريم إن كنتم مؤمنين صادقين، فكيف تذهبون للاستماع إلى الافتراءات الملعونة الوسخة والاتهامات الشيطانية؟ بل أقول من منطلق الحقيقة والإنصاف: إنهم لايقومون بالاتهامات والاستخفاف بالله سبحانه تعالي والرسول ﷺ والقرآن الكريم إلا لاستماعكم إليهم، ولو حافظ المسلمون على إيمانهم وجعلوا عظمة ربهم -جل جلاله- ورسولهم ﷺ وقرآنهم العظيم نصب أعينهم دائما واتفقوا على عدم الاستماع إلى هذه المحاضرات المسيئة للإسلام، فلايذهب إليهم أحد، والذى كان هناك فإنه سوف يرجع قائلا: "إنك كذاب" فهل يسمِّع القسيسون عندئذ محاضراتهم للجدران؟ أنتم بالاستماع إليهم تشجعونهم على الكلمات السيئات، فلاتستمعوا إليهم حتى لايقولوا شيئا، وقولوا بكل إنصاف من سيتحمل مسئولية هذه الكلمات المسيئة عن دينكم ونبيكم؟"(١)

هل يمكن أن يدلي بمثل هذا الكلام من فى قلبه مثقال ذرة من الرفق والموالاة للإنجليز؟ كلا إنه مستحيل، لايمكن أن يختار هذا المنهج والأسلوب إلا من عُمِّر قلبه بنور الإيمان، واحترق قلبه بالاطلاع على زوال المسلمين، فهو لايعتني بمن ينادي بالوحدة (بين المسلمين والهنادكة) كما أنه لايخشى غضب الحكومة الإنجليزية.

و لا بأس بتعلّم اللغة الإنجليزية بل بالعكس ثمة فوائد فى تعلّمها، إلا أنه إذا رتبت المناهج التعليمية لتحقيق أهداف غير إسلامية فلا شك فى أضرارها. يحدثنا فضيلة الإمام عن هذا الأمر بقوله: "اللغة الإنجليزية والمواد التعليمية التى لاتفيد فى أمور الدين فضلا عن أمور الدنيا، والتى جُعلت ضمن المقررات حتى يشتغل الطلاب بالأمور التافهة ويظلوا غافلين عن الدين، ولاتنشأ فيهم الحمية الإسلامية، ولايعلموا من هم؟ وما دينهم؟ كما هو معروف ومشهور، وقد حاولوا أن لاتتجه الأذهان والقلوب إلى العقائد الحقة والعلوم الصادقة، وينسوا اقتلاع جذور الدهرية بهذه المناهج والمقررات الدراسية."(٢)

قال مولانا المفتي محمد برهان الحق الجبلفوري رحمه الله: "لقد خرج الإمام أحمد

(١) المرجع السابق، ج: ١، ص: ٢١٧

(٢) أحمد رضا، الإمام، رسائل رضويه، ج: ٢، ص: ٩٣

رضا بعد صلاة العصر يوما خلال إقامته بجبل فور ومرّ بمصنع الأسلحة فرأى بعض العسكريين البريطانيين يذهبون إلى مساكنهم، فقال فضيلة الإمام: إنهم كالقرود تماما.(١) وهذا أمر يدل على كراهية الإمام للإنجليز.

لم يكن فضيلة الإمام يستحسن التحاكم بالمحاكم الإنجليزية وكان يمنع بكل شدة تسمية المحكمة بالعدالة (٢) وتسمية القاضي بالعادل، لقد ورد عليه سؤال سنة ١٣٣٤هـ / ١٩١٦م بشأن استخدام كلمة العدالة لمحاكم النصارى ووصف الحكام البريطانيين المسيطرين على الهند بالعَدول، فقال: إن استخدام هذه الكلمة للحكام البريطانيين المحتلين أمر خطير للغاية، فقد حكم بعض الفقهاء بالكفر على استخدام هذه الكلمة للكفار، فما حكم الشريعة الإسلامية الغراء؟ وتحدث فضيلة الإمام عن هذا الأمر بقوله: "كلمة العدالة مستخدمة (فى الهند) للمحكمة بوصفها علما ولايقصد المعنى اللغوي الموضوع لها، لذا يستحيل التكفير بناءً على استخدام هذه الكلمة، ووصف الحكام البريطانيين المحتلين بالعدول كفر حتى ولو كان من باب المجاملة، لذا يكفى تجديد الإسلام وتجديد النكاح، إلا أنه من وصف خلاف ما أنزل من الله عدلا على وجه الاعتقاد فقد كفر، ومن شك فى كفره فقد كفر. "(٣)

لذا لم يذهب فضيلة الإمام إلى المحكمة الإنجليزية عندما دعي للمثول أمامها وذلك بسبب القضية التى رفعها بعض الناس ضده لشدة الخلاف فى مسألة شرعية.(٤)

قدم الإمام أحمد رضا سنة ١٣٣١هـ / ١٩١٣م بعض الاقتراحات لتطوير أوضاع المسلمين فى الهند من الناحية الاقتصادية والدينية كان من ضمن هذه الاقتراحات: "على المسلمين أن لايشتروا شيئا إلا من المسلمين حتى يبقى نفع المسلم عند المسلم،

---

(١) الجبل فوري، محمد برهان الحق، مفتى، إكرام إمام أحمد رضا (مجلس رضا، لاهور) ص: ٩١

(٢) وهى تسمية مستخدمة للمحكمة باللغة الأردية. (المترجم)

(٣) أحمد رضا، الإمام، الفتاوى الرضويه، ج: ٦، ص: ١١٦

(٤) الجشتي، مريد أحمد، مولانا، جهان أعلى حضرت، ص: ١١٨

وعليهم أن يطوِّروا صناعتهم وتجارتهم حتى يستغنوا عن غيرهم، فلايتمكن أناس من أوربا وأمريكا من الاستيلاء على أموالهم الطائلة مقابل أشياء رخيصة."[١]

نقول بإيجاز: كان الإمام أحمد رضا يكره دين الإنجليز، ومناهجهم التعليمية، وتعظيمهم، ومحكمتهم، وموالاتهم أشد الكراهية، لدرجة أنه كان يكتب العنوان على بطاقة البريد والمظروف بحيث يصبح رأس الملكة فيكتوريا، وإيدوارد السابع وجورج الخامس إلى تحت.[٢] وكان فضيلته يمنع مريديه وأحبابه من وضع الطوابع الزائدة عن المطلوب على بطاقة البريد أو المظروف قائلا: "لماذا نقدم هذه الأموال الزائدة إلى النصارى حتى ولو كانت قليلة."[٣] هل كل هذا يدل على موالاة الإنجليز؟ لايتم إظهار الكراهية للإصدقاء بهذا الأسلوب.

لقد بيَّن فضيلة الإمام أحمد رضا المنهج الصحيح لترك الموالاة بقوله: "حرَّم القرآن الكريم بآياته الكثيرة موالاة جميع الكفار من المجوس واليهود والنصارى، والهنادكة، والمرتدون العنود أسوأ الكفار."[٤]

و إنه نظرا للشواهد التى تدل بكل وضوح على كراهية الإمام للإنجليز يخبرنا السيد ألطاف علي عن رأيه فى الإمام أحمد رضا بقوله: "لقد كان الشيخ أحمد رضا دون أي شك من المكافحين من أجل الحرية والاستقلال، وقد امتلأ قلبه بالكراهية الشديدة للإنجليز وحكومتهم فى الهند، ولم تخطر فى قلبه رغبة فى الحصول على لقب "شمس العلماء" من الحكومة الإنجليزية، لا فى قلبه ولا فى قلب كل من ابْنَيهِ مولانا محمد حامد رضا خان ومولانا محمد مصطفى رضا خان."[٥]

(١) النعيمي، غلام معين الدين، مولانا، حيات صدر الأفاضل، ص: ١٠٩

(٢) الجشتي، مريد أحمد، مولانا، جهان رضا، ص: ١٤١

(٣) أحمد رضا، الإمام، الفتاوى الرضوية، ج: ٧، ص: ١٩٢

(٤) المرجع السابق، ج: ٧، ص: ١٩٢

(٥) الجشتي، مريد أحمد، مولانا، جهان رضا، ص: ١١٨

لقد قال الشيخ جعفر شاه الفلواري والذى كان من معارضي الإمام أحمد رضا من الناحية السياسية أيام حركة ترك الموالاة: "ما كنت مهتما بالفاضل البريلوي أيام كانت حركة ترك الموالاة فى حيوية ونشاط، إذ أن المنتسبين إلى هذه الحركة كانوا قد أذاعوا عنه أنه -و العياذ بالله- عميل للإنجليز يعمل لحسابهم، وأنه مأمور بمخالفة حركة ترك الموالاة من طرف الإنجليز."(١)

و من غريب الأمر أنه يتم اتهام فضيلة الإمام بموالاة الإنجليز تارة ويعاب عليه تارة أخرى بما يلى: "قال البريلوي نفسه أيضا: من لبس القلنسوة الإنجليزية فهو كافر لا شك فى كفره."(٢) هل هكذا يكون التعامل مع الأصدقاء؟ هل يُرمى مستخدم شعار الأصدقاء فى وادى الكفر والضلال؟

يقول مولانا معين الدين الأجميري الذى كان واحدا من معارضي الإمام أحمد رضا من الناحية السياسية أيام حركة ترك الموالاة: "هناك اقتراح خامس بالنسبة لترك الموالاة والذى قبله كل من الشيخين (الشيخ الإمام أحمد رضا والشيخ أشرف علي التانوي) وهو الامتناع عن المساعدة العسكرية للحكومة الإنجليزية."(٣)

### تهمة موهومة على الجد الثانى لفضيلة الإمام

لقد كان الحافظ كاظم علي -الجد الثانى لفضيلة الإمام- حائزا على منصب "تحصيلدار" يحدثنا عنه مولانا ظفر الدين البهاري بقوله: "كان يسعى جاهدا من أجل إيجاد الحل للصراع الدائر بين الحكومة المغولية والإنجليز، فكان قد ذهب إلى كلكته مندوبا للحكومة المغولية بهدف التفاوض مع الإنجليز."(٤)

من الواضح أنه كان مندوبا وسفيرا أرسلته الحكومة المغولية للتفاوض مع

---

(١) المرجع السابق، ص: ١٢٥

(٢) البريلوية، ص: ٢٠٨

(٣) الجعفري، رئيس أحمد، أوراق كم كشته، ص: ٥٧٦

(٤) البهاري، ظفر الدين، حيات أعلى حضرت، ج: ١، ص: ٣

الإنجليز إلى مدينة كلكلته، إلى أي مدى نجح الحافظ كاظم علي في المفاوضات؟ هذا الأمر غير مذكور، ولو كانت هذه المحاولة قد توّجت بالنجاح لكانت في صالح الحكومة المغولية التي كانت قد أرسلته لهذا الهدف لا في صالح الإنجليز، إلا أن صانعي التاريخ وفق هواهم يرونها خدمة سياسية للإنجليز فقد قيل: "إن الحافظ كاظم علي خان البريلوي قد قام بالخدمات السياسية للحكومة الإنجليزية."(١)

نسأل أفضل حق القرشي: هل تقول عن السفراء الذين عيّنتهم الحكومة الباكستانية في أمريكا وبريطانيا أنهم عملاء لتلك البلاد؟ وإذا أردت الاطلاع على الخدمات السياسية للحكومية الإنجليزية فإليك اقتباس يوضح لك بعض الأمور التي ربما لم تعرفها من قبل: "ظل السيد أحمد البريلوي مؤظفا لدى أمير خان والذي كان قد أحسن صنعا إلى الإنجليز إذ أنه كان سببا للصلح بين الإنجليز وبين أمير خان ... فسُرَّ اللورد هيستينج بصنيع السيد أحمد البريلوي العظيم سرورا بالغا، وقتئذ أقيمت خيمة بين الجيشين وجرت المعاهدة بين ثلاثة رجال وهم: أمير خان، واللورد هيستينج، والسيد أحمد البريلوي والذي كان قد اقنع أمير خان بالصلح مع الإنجليز ببالغ الصعوبة ... وإنه قيّد الأسد الغضبان (أمير خان) في القفص بعد الكثير من القيل والقال (أي المفاوضات)."(٢)

تخبرنا كل كلمة من كلمات هذه الفقرة عن جلالة الخدمات التي قام بها السيد أحمد البريلوي للحكومة الإنجليزية، فقد قيّد الأسد الجريء في القفص، وإن مخالفي الإمام أحمد رضا يرفعون ضده جدار الاتهامات الموهومة التي لاأساس لها، وكأنهم بصنيعهم هذا يعترفون بعدم تمكنهم من الإتيان بالدلائل الثابتة، والشواهد الصحيحة، وإلا لم يحاولوا رفع جدار الرمل.(٣)

---

(١) قرشي، أفضل حق، إقبال كى ممدوح علماء، ص: ٥١٣، ٥١٤

(٢) دهلوي، حيرت، مرزا، حيات طيبه (ط: مكتبه السلام، لاهور) ص: ٥١٣، ٥١٤

(٣) للمزيد من التفصيل انظروا: جريمة عدم الجريمة، طبعة لاهور وكراتشي تاليف الأستاذ محمد مسعود أحمد عميد كلية العلوم الحكومية بمدينة تته، السند.

الرابعة عشر من عمرى واذكرِّكم الآن بالكلام نفسه."(١)

## بعض الآراء والانطباعات لأهل العلم

نقدم فيما يلى بعض الانطباعات لأهل العلم أعربوا فيها عن عظمة الإمام أحمد رضا، وانطباعاتهم هذه لاتمت بصلة إلى المبالغة.

أفصح العلامة يوسف بن إسماعيل النبهاني عن انطباعه ضمن تقريظه على الدولة المكية بالمادة الغيبية، تصنيف الإمام أحمد رضا، إنه يقول: "فوجدته من أنفع الكتب الدينية وأقواها حجة، ولا يصدر مثله إلا عن إمام كبير، علامة نحرير، فرضى الله عن مؤلفه وأرضاه وبلّغه من كل خير مناه."(٢)

هذا وقد علق على الكتاب نفسه الشيخ أحمد ابو الخير بن عبد الله ميرداد المدرس بالمسجد الحرام بمكة المكرمة بقوله: "فقد نظرت فى هذه الرسالة نظر تدقيق وإمعان، فألفيتها فى غاية من الحسن والتحقيق، قد شرح القلوب بيانها، وسطع فى سماء التحقيق برهانها، وكيف لا وهى جمع العلامة الإمام النبيل الذكي الهمام ورأس المؤلفين فى زمانه وإمام المصنفين بحكم أقرانه."(٣)

و يصفه الشيخ موسى علي الشامي المدني بقوله: "إمام الأئمة المجدد لهذه الأمة."(٤)

للمزيد من التفصيل اقرأوا: "الفاضل البريلوي من منظور علماء الحرمين الشريفين" تصنيف الأستاذ الدكتور محمد مسعود أحمد، وكذلك تصنيفه الآخر: "الإمام أحمد رضا والعالم الإسلامي" وسوف تطلعون على كلمات الثناء من علماء الإسلام الأجلاء على ما أكرم به الإمام أحمد رضا من رحاب ربه.

---

(١) حسنين رضا خان، مولانا، وصايا شريف، ص: ١٨

(٢) الفيوضات المكية لمحب الدولة المكية، ص: ٤٧٤، ٤٧٦

(٣) المرجع السابق، ص: ٣٠

(٤) المرجع السابق، ص: ٤٦٢

لقد كان الأستاذ الدكتور ضياء الدين (نائب رئيس جامعة مسلم، علي كره) يريد السفر إلى ألمانيا للبحث عن حل مسألة رياضية، إلا أنه جاء إلى الإمام أحمد رضا بتوجيه من مولانا السيد سليمان أشرف البهاري، فرفع فضيلة الإمام مشكلة الدكتور ضياء الدين في دقائق معدودة، وعند العودة كان انطباع الأستاذ الدكتور ضياء الدين عن فضيلة الإمام كالتالي: "ربما لايكون مثيله فى هذا العصر، فقد أكرمه الله بالعلم الذى يتحير فيه العقل، لقد قام فضيلته بحل مسألة رياضية ببراعته الفائقة فى علم الرياضى، والأقليدس، والجبر والمقابلة فى دقائق معدودة، تلك المشكلة الرياضية التى لم يتمكن عقلى من حلها منذ عدة أسابيع، إنه يستحق جائزة نوبيل."[١]

## تلاميذه وخلفاؤه

لقد ذكر الأستاذ الدكتور محمد مسعود أحمد إثنين وثلاثين عالما من علماء الحرمين الشريفين وعلماء البلاد الإسلامية الأخرى كما أنه ذكر سبعة وعشرين عالما من علماء الهند الذين أجازهم الإمام أحمد رضا إجازة عامة (فى علوم الشريعة والطريقة)[٢] وقد سطع كل واحد منهم فى سماء العلم والمعرفة كأنه شمس الشريعة وبدر الطريقة، وقد أضاؤا العالم بأنوار علومهم.

و اليوم ست مائة مدرسة تابعة لمنظمة المدارس أهل السنة منتشرة فى أرجاء باكستان، والتى هى بمثابة الترجمان للفكر الإسلامي المعتدل الذى ظل الإمام أحمد رضا يقوم بنشره طول حياته.[٣]

## حركة استقلال باكستان

لقد دافع الإمام أحمد رضا عن نظرية القوميتين المتغايرتين بعد الإمام المجدد

(١) الجبلفوري، محمد برهان الحق، المفتى، إكرام إمام أحمد رضا، ص: ٥٩ – ٦٠

(٢) محمد مسعود أحمد، الدكتور، الفاضل البريلوي من منظور علماء الحرمين الشريفين، ص: ٨٨، ٩٠

(٣) لقد كتب فضيلته هذا الكلام فى عام: ١٩٨٥م

الشيخ أحمد السرهندي دفاعا مجيدا، وقد جاهد فضيلة الإمام من أجل الدفاع عن هذه النظرية وإعلانها، ومن الجدير بالذكر أن فضيلة الإمام سبق العلامة محمد إقبال، ومحمد علي جناح فى إعلان هذه النظرية بحماسة إيمانية فى ظروف غير ملائمة لها.

عندما انتقل فضيلة الإمام أحمد رضا إلى رحاب ربه جاءت كلمة التحرير فى جريدة "بيسه أخبار" الصادرة من لاهور فى اليوم الثالث من شهر نوفيمبر سنة ١٩٢١م بما يلى: "كان رأى المرحوم عن ترك الموالاة أنه إذا كان حكم ترك الموالاة واضحا فلا استثناء فيه، وذلك أن الحكم يشمل اليهود والنصارى والهنادكة على السواء، ومن هنا يجب ترك موالاة الهنادكة المشركين كما هو واجب تجاه الإنجليز، بينما يغضُّ بعض الناس الطرفَ عنه من أجل التحالف السياسي مع الهنادكة."(١)

لقد سار تلاميذ الإمام أحمد رضا وخلفاؤه وعلماء أهل السنة على درب أستاذهم وشيخهم هذا، وبذلوا جميعا كلَّ ما فى وسعهم من أجل إصلاح أمور الأمة الإسلامية وتقدمها.

لقد دفع المسلمين انحياز الإنجليز وتعنُّت الهنادكة إلى التفكير فى وطن مستقل حتى يعيشوا فيها بسلام متمسكين بديانتهم ومحتفظين بكرامتهم، فتقدم أحد مفكرى أهل السنة الشيخ محمد عبد القدير برفع الصوت عام ١٩٢٥م فكتب رسالة تحت عنوان: "رسالة مفتوحة إلى غاندى بشأن التحالف الهندوسي المسلم" قدم فيها الاقتراحات بشأن تقسيم الهند بالتفصيل، واقترح بإعطاء كل منطقة للأغلبية الساكنة فيها، ثم نبه على المحافظات مع بيان الأغلبية السكانية، واقترح أن تعطى المناطق ذات الأغلبية المسلمة للمسلمين وأن تعطى المناطق ذات الأغلبية الهندوسية للهنادكة، وقد طبعت هذه الرسالة من علي كره سنة ١٩٢٥م".(٢)

و عندما قدم العلامة محمد إقبال هو الآخر هذا الاقتراح فى خطبته الشهيرة

(١) الجشتي، مريد أحمد، خيابان رضا، ص: ٢٦

(٢) محمد مسعود أحمد، الدكتور، تحريك آزادي هند اور السواد الأعظم، ص: ٢٧٦، ٢٧٧

التى ألقاها فى إله آباد عام ١٩٣٠م ثار غضب الهنادكة، ومن بين علماء أهل السنة أيد الشيخ السيد محمد نعيم الدين المراد آبادي هذا الاقتراح بقوله: "إذا كان رأى الدكتور محمد إقبال أن توزّع الهند فى جزئين، جزء للمسلمين وجزء للهنادكة يحكم كل واحد منهما فى جزئه فهو رأى مصيب، كم غضب الهنادكة بهذا الاقتراح؟ هذا أمر يظهر من مطالعة الجرائد الهندوكية مع أن هذا الاقتراح لم يعمد إلى الظلم على الهنادكة بل كان من الإنصاف، وكان هذا الاقتراح مفيدا للهنادكة والمسلمين معا، ما الذى أثار الهنادكة على مخالفة هذا الرأى؟ وما الضرر الذى ظهر لهم من خلال هذا الرأى؟ لم يكن هذا الغضب وتلك الضجة من الهنادكة إلا لأنهم أحسوا بالحياة الآمنة للمسلمين مع الحفاظ على هويتهم الإسلامية فى ظل حكومة مستقلة ... وفى مثل هذه الظروف قامت جماعة منتسبة إلى المسلمين (جمعية علماء الهند وغيرها) بجانب الهنادكة بدلا من مساندة المسلمين، فألف أسفٍ على تفكيرهم هذا."[١]

## المؤتمر السني بعموم الهند

لقد تم عقد هذا المؤتمر التاريخي فى شهر مارس سنة ١٩٢٥م بالجامعة النعيمية بمدينة مراد آباد فاستمرت جلساتها أربعة أيام، وكان مولانا محمد حامد رضا خان ابن الإمام أحمد رضا قد ألقى كلمة الافتتاح والاستقبال بوصفه رئيسا للجلسة الافتتاحية، وفى المؤتمر نفسه تم تأسيس الجمعية العالية السنية (جمعية المؤتمر السني بعموم الهند) فانتخب مولانا السيد نعيم الدين المراد آبادي بوصفه المنتظم الأعلى للجمعية، والسيد جماعت علي شاه علي بوري رئيسا للجمعية، وأنشئت فروع الجمعية بجهود القادة فى شبه القارة الباكستانية الهندية، فقام قادة الجمعية بنظم العلماء والمشايخ المنتمين إلى مذهب أهل السنة فى سلكها من ناحية وواجهت دسائس العلماء الغانديين من ناحية أخرى.

---

(١) المرجع السابق، ص: ٢٧٦ - ٢٧٧

يقول الدكتور اشتياق حسين القرشي عن دور الجمعية العالية السنية لاستقلال باكستان: "انتقلت زعامة مدرسة بريلي الفكرية (بعد رحيل الإمام أحمد رضا) إلى مولانا السيد نعيم الدين المراد آبادي، وكانوا على عكس زعماء جمعية علماء الهند قد أدركوا أن الإنجليز لايتمكنون من تمديد حكومتهم فى الهند كثيرا، وكان السؤال يطرح نفسه بكل شدة: من سيشكل الحكومة بعد عودة الإنجليز من الهند؟ فوصلوا إلى نتيجة مهمة والتى تمثلت فى إنشاء دولة مستقلة مكونة تتكون من الأقاليم المسلمة، لذا استعد العلماء المنتمون إلى هذه الجمعية للوقوف بجانب الرابطة الإسلامية، وقد قاموا فى الماضى بمناصرة الرابطة الإسلامية ووقفوا فى وجه المؤتمر الوطني الهندي، وقام مولانا السيد نعيم الدين المراد آبادي بنفسه بالرحلة إلى شمال الهند وزار المدن والأرياف كبيرها وصغيرها، وتم إعداد الدستور الجديد للجمعية."[١]

عندما اتخذ المسلمون قرارا لاستقلال باكستان عام ١٩٤٠م فى "منتو بارك" كان العلامة عبد الحامد البدايوني، والعلامة عبد الغفور الهزاروي، والعلامة أبو الحسنات القادري موجودين على المنصة، وقد ألقى العلامة عبد الحامد البدايوني كلمته فى تأييد هذا القرار التاريخي.[٢]

و يمكن معرفة تمكن حركة استقلال باكستان من قلوب أهل السنة من أن ترجمانهم مجلة الفقيه الأسبوعية التى كانت تصدر من مدينة أمرتسر سنة ١٩٤٢م كتبت اسم باكستان على غلافها بجانب اسم المجلة[٣] إلا أنه من سوء الحظ ما ضمت هذه المدينة إلى باكستان.

و فى الرابع من شهر يونيو عام ١٩٤٥م أعلن الحاكم العام بالهند اللورد ويول عن مشروع سياسي وذلك بإعداد مجلس إداري جديد بالاستشارة مع الأحزاب السياسية،

---

(١) القادري، رياست علي، السيد، معارف رضا (طبعة كراتشى ١٩٨٣م) ص: ٢٣٨

(٢) القصوري، محمد صادق، أكابر تحريك پاكستان (نوري كتب خانه، لاهور) ص: ١٤٩

(٣) القادري، محمد جلال الدين، خطبات آل انديا سني كانفرنس، ص: ٣٢

وقد تم عقد هذا المؤتمر فى الخامس والعشرين من شهر يونيو من العام نفسه فى مدينة شمله. إذ طلب محمد علي جناح من الحاكم العام أن تكون الرابطة الإسلامية ترجمانا وحيدا للمسلمين.(١)

و كان المفتى الأعظم بعموم الهند العلامة محمد مصطفى رضا خان وقتئذ قد أرسل إلى الحاكم العام فى مدينة شمله برقية أعرب فيها عن تأييده للرابطة الإسلامية، وقد طبع هذا الخبر فى جريدة "انجام" الصادرة من دهلي فى خمسة عشر يوليو عام ١٩٤٥م ثم فى سبعة وعشرين أكتوبر من العام نفسه، وأعادت مجلة الفقيه الصادرة من أمرتسر طبع هذا الخبر فى عددها الصادر فى السابع من شهر نوفيمبر ١٩٤٥ ويمكن ملاحظة الصورة الضوئية للصفحة المحتوية على هذا الخبر فى الكتاب: "خطب المؤتمر السني بعموم الهند."

لقد جرت المعركة الانتخابية للبرلمان المركزي فخاض مندوبوا الرابطة الإسلامية غمارها من ثلاثين مقعدا وحصلوا على النجاح بأغلبية الأصوات، لقد دخل المعركة الانتخابية مندوبوا جمعية العلماء بدهلي، وجمعية الأحرار، وحزب خاكسار، ومجلس المسلمين إلا أنه لم ينجح واحد من مندوبى هذه الأحزاب(٢) وفى الحملة الانتخابية الإقليمية فى شهر فبراير حققت حزب الرابطة الإسلامية فوزا ساحقا.(٣)

هذا وفى الرابع من شهر ديسمبر عام ١٩٤٩م أعلن وزير الهند بدار الأمرا بإنجلترا أن الحكومة البريطانية سوف تنشئ برلمانا دستوريا فى الهند، وسوف ترسل وفدا إلى الهند والذى سوف يقرر مستقبل الهند بوصفها دولة مستقلة وذلك بعد الاستشارة مع الزعماء الهنديين.(٤)

---

(١) رضي حيدر، خواجه، قائد أعظم كے ٧٢ سال (سورتي أكيدمي، كراتشى) ص: ٣٩٢، ٢٩٣

(٢) الجعفري، رئيس أحمد، حيات محمد علي جناح، ص: ٧٦٥، ٧٦٦

(٣) رضي حيدر، خواجه، قائد أعظم كے ٧٢ سال، ص: ٣٩٩

(٤) المرجع السابق، ص: ٣٩٩

قد وصل هذا الوفد المكوّن من اللورد بيتك لارنس، والسير ستيفورد كربس، وايه دى الغزاندر إلى دلهي فى الرابع والعشرين من شهر مارس سنة ١٩٤٦م وفى اليوم نفسه أعلن أحد أعضاء الوفد السير ستيفورد كربس فى مؤتمر صحفى قائلا: "جئنا إلى الهند بقلوب مفتوحة، وليس عندنا مشروع، وسوف نبحث حل كل مسألة سياسية."(١)

هذا هو العصر الذى أراد البريطانيون أن يتخذوا فيه القرار بشأن تقسيم الهند واستقلال باكستان، فأيد علماء أهل السنة (الذين كانوا قد خالفوا موالاة الإنجليز والهنادكة) حركة استقلال باكستان، وقتئذ وصل كفاح جمعية المؤتمر السني بعموم الهند ذروته.

و فى العام نفسه قام المفتى إعجاز ولي خان المدرس بمدرسة منظر الإسلام بمدينة بريلي بإصدار الفتوى بشأن التأييد لحركة استقلال باكستان.(٢)

و قد صدرت فتوى علماء أهل السنة عام ١٩٤٦م خالفوا فيها مساندة المؤتمر الوطني الهندي وأيدوا كفاح الرابطة الإسلامية لاستقلال باكستان، وإليكم نص تلك الفتوى التاريخية: "أهزموا الكونجرس بالتصويت فى صالح الرابطة الإسلامية، يؤيد المؤتمر السني بعموم الهند جميع جهود الرابطة الإسلامية التى تأتى وفق الشريعة الإسلامية المطهرة، مثل إحلال الهزيمة بالمؤتمر الوطني الهندي، على أعضاء المؤتمر السني أن يصوتوا فى صالح كل من تقدمه الرابطة الإسلامية للخوض فى المعركة الانتخابية، وأن يوجهوا المسلمين الآخرين أيضا إلى التصويت فى صالح مندوبى الرابطة الإسلامية، وإن مسألة باكستان يعنى إقامة الحكومة على الأسس الفقهية للشريعة الإسلامية أمر محمود ومستحسن عند المؤتمر السني."

وقَّع أكثر من خمسين عالما من علماء أهل السنة الأجلاء على هذه الفتوى، وعلى رأسهم المفتى الأعظم بعموم الهند مولانا محمد مصطفى رضا خان ( ابن فضيلة الإمام

(١) المرجع السابق، ص: ٤٠٦ - ٤٠٧

(٢) القصوري، محمد صادق، أكابر تحريك باكستان، ج: ٢، ص: ٦٦

أحمد رضا وخليفته) ومولانا السيد نعيم الدين المراد آبادي (خليفة الإمام أحمد رضا) ومولانا محمد أمجد علي الأعظمي (خليفة الإمام أحمد رضا) ومولانا محمد إبراهيم رضا خان (حفيد فضيلة الإمام وخليفة والده مولانا محمد حامد رضا خان) هذا وقام مدرسوا دارالعلوم منظر إسلام بريلي بالتوقيع على هذه الفتوى وهم: مولانا تقدس علي خان (مدير الجامعة)، ومولانا محمد سردار أحمد (رئيس المدرسين)، ومولانا سردار علي خان (المدرس)، ومولانا وقار الدين بيلى بيتى (المدرس)، ومولانا عبد الغفور (المدرس)، ومولانا إحسان علي المظفربوري (المدرس). لقد قام مولانا محمد يعقوب حسين ضياء القادري سكرتير النشر والإعلام لمؤتمر السني بمحافظة بدايون بطبع هذه الفتوى بشكل الملصقات الكبيرة.(١) إضافة إلى أنها طبعت فى المجلد الرابع والثمانين والعدد الخامس عشر من جريدة دبدبه سكندري.(٢)

## المفتى الأعظم بعموم باكستان

لقد كان مفتى الأعظم بعموم الهند مولانا محمد مصطفى رضا خان (بمنطقة بريلي) أول من أدلى بصوته فى صالح الرابطة الإسلامية، وقد ذهب به أعضاء الرابطة الإسلامية مجتمعين بشكل المسيرة للإدلاء بالصوت، كما جاؤا به إلى الزاوية الرضوية أيضا بشكل المسيرة أيضا بعد إدلاء الصوت، يحدثنا مولانا تقدس علي خان عن هذا الأمر بقوله: "لقد كانت المنافسة شديدة فى الحملة الانتخابية عام ١٩٤٦م بشأن استقلال باكستان أو عدم ظهوره على خريطة العالم، وكان المحامى عزيز أحمد خان مندوبا لحركة الرابطة الإسلامية للدائرة الانتخابية التى تضمنت مدينة بريلي، وقد افتتح مولانا محمد مصطفى رضا خان مهمة إدلاء الأصوات بصوته فى صالح الرابطة الإسلامية، ثم ذهب به أعضاء الرابطة الإسلامية بعد إدلاء الصوت بشكل المسيرة إلى الزاوية الرضوية رافعين

---

(١) طبعت الصورة الضوئية للفتوى ضمن الكتاب: قادياني مرتد (ط: مجلس رضا، لاهور) ص: ٤٤

(٢) طبعت الصورة لهذه الفتوى ضمن الكتاب: خطبات آل انديا سني كانفرنس، ص: ٣٣٨

أصواتهم بالهتافات، وكان من بينها لقب المفتى الأعظم لباكستان."[١]

## المؤتمر السني بعموم الهند بمدينة بنارس عام ١٩٤٦م

لقد كانت فروع المؤتمر السني المنتشرة بآلاف علمائها تعرّف عامة الناس وخواصهم بأهداف حركة استقلال باكستان، إلا أنه كان اجتماع بنارس قد قام بالمهمة خير قيام، فقد حضر المؤتمر خمسة آلاف من العلماء كما تجاوز عدد المستمعين من خمسة عشر مليونا[٢] وكان هذا الأمر مظهرا لارتباط قلوب المسلمين بباكستان، وما من شك فى أن هذا المؤتمر كان جزءً لايتجزأ من تاريخ استقلال باكستان المأمولة.

استمرت جلسات هذا المؤتمر من ٢٧ مارس إلى ٣٠ مارس سنة ١٩٤٦م وفى هذه الأيام الأربعة ترأس السيد الشريف جماعت علي شاه المحدث العلي فورى جميع الجلسات[٣] وقد وجِّهت دعوة إلى الوفد القادم من إنجلترا برئاسة السير ستيفورد كربس للحضور فى هذا المؤتمر حتى يشاهدوا بأنفسهم مشاعر المسلمين الهنديين من جميع أرجاء الهند تجاه باكستان، وقد وعدوا بالحضور إلا أنهم نظرا للاشتغال بأمور أخري اعتذروا بالبرقية عن الحضور.[٤]

لقد تم اتخاذ قرار تاريخي بتصويت جميع المشاركين فى المؤتمر وجلسته التى عقدت من الساعة التاسعة إلى الساعة الواحدة ظهرا، وكان نصه كما يلى: "يؤيد هذا الاجتماع مطالبة استقلال باكستان كل تأييد، ويعلن أن علماء أهل السنة ومشايخهم مستعدون للتضحية بكل ما يملكونه من نفس ونفيس لإقامة حكومة إسلامية تسير فى ضوء القرآن الكريم والأحاديث النبوية والأصول الفقهية."[٥]

---

(١) رسالة فضيلته المرسلة إلى كاتب السطور والتى حررت فى ٢٨ من شهر فبراير ١٩٨٥م

(٢) غلام معين الدين، مولانا، حيات صدر الأفاضل، ص: ١٧٩

(٣) محمد مسعود أحمد، الدكتور، تحريك آزادى هند اور السواد الأعظم، ص: ٢٥٢ - ٢٥٣

(٤) النعيمي، غلام معين الدين، مولانا، حيات صدر الأفاضل، ص: ١٨٩

(٥) *مختصر رپورٹ خطبہ صدارت، جمہوریہ إسلامیہ* (طبعة مراد آباد ١٩٤٦م) ص: ٢٩

و قد شكّلت هذه الجلسة للمؤتمر لجنة لإعداد التوصيات واللوائح للحكومة الإسلامية المنتظرة، وكانت هذه اللجنة مكونة من: المحدث الأعظم بالهند مولانا السيد محمد المحدث الكجوجوي، ومولانا السيد نعيم الدين المراد آبادي، ومولانا محمد مصطفى رضا خان (ابن فضيلة الإمام أحمد رضا) ومولانا أمجد علي الأعظمي، ومولانا عبد العليم الميرتي، ومولانا ابوالبركات السيد أحمد القادري (و ثلاثتهم خلفاء للإمام أحمد رضا فى الطريقة) ومولانا عبدالحامد البدايوني، والديوان السيد آل رسول (من مدينة أجمير الشريفة) ومولانا قمر الدين السيالوي (من قرية سيال الشريفة) والشاه عبد الرحمن (من منطقة برجوندي الشريفة) ومولانا السيد أمين الحسنات (من منطقة مانكى الشريفة، من إقليم سرحد) وخان بهادر بخشي مصطفى علي (من مدراس) ومولانا ابو الحسنات السيد محمد أحمد القادري ﷬."[1]

و فى السابع والعشرين من شهر إبريل عام ١٩٤٦م ألقى رئيس اللجنة الاستقبالية مولانا السيد محمد الكجوجوي كلمة بليغة أخاذة قال فيها: "إن باكستان التى يكافح من أجلها المؤتمر السني سوف تكون دولة ذات سيادة معترفة، والتى لاتكون فيها الحكومة لفئة معينة بل سوف تكون طبقا للأصول الفقهية للشريعة الإسلامية، وبالإيجاز أقول: ستكون الحكومة الإسلامية المنتظرة نموذجا للخلافة الراشدة."[2]

و قد قال السيد محمد الكجوجوي خلال كلمته التى ألقاها فى المؤتمر السني بمدينة أجمير فى السابع والثامن من شهر يونيو عام ١٩٤٦م: "عزم الصالحون المجتمعون فى مؤتمرنا هذا إنشاء باكستان بإذن الله تعالى، وإن المؤتمر السني أو الجمهورية الإسلامية اسم لعزائم العلماء والمشايخ، وقد تجاوز عدد العلماء والمشايخ الذين شرفوا مؤتمرنا هذا من عشرين ألف، اتركوا المناقشات العقيمة، وقوموا من سبات الغفلة، قوموا وتقدموا، لاتتوقفوا ولو لدقيقة واحدة، ولاتأخذوا الراحة إلا بعد استقلال باكستان، اسمعوا أيها

---

(١) المرجع السابق، ص: ٢٩

(٢) المرجع السابق، ص: ٢٣

السنيون (السائرون على منهج الإمام احمد رضا في العقيدة وسياسة البلد) هذه مهمتكم أنتم."[١]

لقد كان للسيد نعيم الدين المراد آبادي دور فعال فى إدارة جمعية المؤتمر السني، فقد كانت ثمرة إخلاصه ومنهجه الحكيم أنه تمكن من جمع علماء أهل السنة الأجلاء والمشايخ العظام فى المؤتمر السني الموحَّد.

يقول الدكتور اشتياق حسين القرشي عن المؤتمر السني: "لقد كان أعضاء المؤتمر السني واثقين فى نشأة باكستان لدرجة أن مولانا السيد محمد نعيم الدين المراد آبادي كتب إلى مولانا أبى الحسنات السيد محمد أحمد مدير المؤتمر لإقليم بنجاب: "لن تتنازل الجمهورية الإسلامية (المؤتمر السني) عن مطالبة استقلال باكستان حتى ولو تنازل محمد علي جناح عن مطالبته هذه، ولن يتحقق هدفنا ببعثة كيبنت (الوفد القادم من إنجلترا) "[٢]

و يلقى الدكتور اشتياق حسين القرشي ضوءا على المؤتمر السني الذى تم عقده بمدينة بنارس بقوله: "انعقد مؤتمر عظيم بمدينة بنارس من السابع والعشرين إلى ثلاثين من شهر إبريل عام ١٩٤٦م والذى حضره خمسة آلاف من العلماء والمشايخ، وقتئذ ألقى المحاضرون ضوءا على الحاجة إلى نشأة باكستان وأهميتها، وعندما رجع العلماء المشاركون فى هذا المؤتمر إلى مناطقهم ازداد إقبال المسلمين على حركة إنشاء باكستان."[٣]

و يمكننا أن نعرف مدى جهود مولانا السيد محمد نعيم الدين المراد آبادي وثمرات المؤتمر السني الذى تم عقده بمدينة بنارس أنه تجاوز عدد المشاركين في

---

(١) المرجع السابق، ص: ٧، ٨

(٢) القادري، رياست علي، السيد، مجلة معارف رضا (طبعة كراتشى عام ١٩٨٣م) ص: ٢٣٩

(٣) المرجع السابق، ص: ٢٣٩

المؤتمر من مائة مليون نسمة.(١)

و لمولانا المفتى محمد برهان الحق الجبلفوري دور فعال فى دفع حركة إنشاء باكستان إلى الأمام، وقد أزاح فضيلته عن جهده في هذا لصدد الستار من باب التحدث بنعمة الله قائلا: "لقد سعد هذا العبد الفقير -بفضل الله تعالى وكرمه- بإسهام ملموس من أجل تحقيق النجاح لجهود محمد علي جناح، فقد قمت برحلة تعريفية بحركة باكستان إلى إقليم بنجاب، وإقليم سرحد، وإقليم السند حيث ألقيتُ الكلمة فى كل مكان، وكل هذا مكتوب عندى، ولديّ رسالة الشكر من محمد علي جناح إلا أن هذا العبد الفقير لم يطلب الشهرة ولم يشأ نشر الأخبار عن جهوده التى أسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبلها بقبول حسن، وأن يحمى باكستان من كل شر وفساد ومكروه، آمين، والله الموفق."(٢)

لقد قام علماء أهل السنة السائرون على منهج الإمام أحمد رضا (فى العقيدة وسياسة البلد) بتأييد حركة إنشاء باكستان تأييدا عظيما، فقد كان من المشايخ أمير الملة السيد جماعت علي شاه المحدث العلي فوري، وشيوخ الزوايا بمنطقة مانكى الشريفة، وزكورى الشريفة وكولره الشريفة، وجلال بور الشريفة، وسيال الشريفة، وتونسه الشريفة، وبرجوندى الشريفة، وغيرها من الزوايا الصوفية.

و من العلماء البارزين الذين ساهموا فى دفع حركة إنشاء باكستان إلى الأمام: مولانا عبد الحامد البدايوني، والشاه عبد العليم الصديقي الميرتي، والشاه عارف الله القادري، والعلامة أبو الحسنات محمد أحمد القادري، والعلامة عبد الغفور الهزاروي، ومولانا غلام الدين من لاهور، ومولانا غلام محمد ترنم، ومولانا محمد بخش مسلم، والعلامة عبد المصطفى الأزهري، والمفتى محمد عمر النعيمي، والعلامة السيد أحمد سعيد الكاظمي، ومولانا الشاه أحمد النوراني، ومولانا عبد الستار النيازي وغيرهم، رحمهم الله رحمة واسعة وأسكنهم فسيح جناته.

---

(١) النعيمي، غلام معين الدين، حيات صدر الأفاضل، ص: ١٨٨

(٢) محمد برهان الحق الجبلفوري، إكرام إمام أحمد رضا، ص: ١١٨

لقد قام مولانا السيد نعيم الدين المراد آبادي، والسيد محمد المحدث الكجوجوي، المفتى محمد عمر النعيمي بالزيارة إلى باكستان بعد استقالها واجتمعوا مع علماء أهل السنة بلاهور وكراتشى وشاورهم في أمر استقرار باكستان، فتقرر أن مولانا السيد نعيم الدين المراد آبادي سوف يعد دستورا إسلاميا لباكستان والذى سوف يتم حصول موافقة البرلمان عليه، إلا أنه أصيب مولانا السيد محمد نعيم الدين المراد آبادي بمرض شديد فاضطر إلى العودة إلى مراد آباد، وكان قد أعدّ أحد عشر بندا من بنود القانون فجاءته رسالة الأجل المحتوم فلبى نداء ربه فى الثانى والعشرين من شهر ذى الحجة سنة ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م.[١]

## جمعية علماء باكستان

لقد اجتمع علماء أهل السنة بعد استقلال باكستان فى شهر مارس عام ١٩٤٨م بمدرسة أنوار العلوم الواقعة فى مدينة ملتان واتفقوا على تحويل اسم الجمعية من المؤتمر السني إلى جمعية علماء باكستان لأنه كان من المحتمل تواجد الصعوبات للكفاح السياسي فى البلدين باسم واحد، فعين رئيس بنجاب السابق للمؤتمر السني العلامة ابو الحسنات محمد أحمد القادري رئيسا لجمعية علماء باكستان، كما وقع الاختيار على السيد أحمد سعيد الكاظمي بوصفه المنتظم الأعلى لجمعية العلماء.[٢]

وجاء بعد العلامة ابو الحسنات محمد أحمد القادري كل من العلامة عبد الحامد البدايوني، ثم السيد فيض الحسن شاه، فالعلامة عبد الغفور الهزاروي، فشيخ الإسلام مولانا قمر الدين السيالوي رئيسا لجمعية علماء باكستان، وفى الأيام الحالية يعمل مولانا الشاه أحمد النوراني رئيسا للجمعية ومولانا عبد الستار النيازي أمينا عاما لها.[٣]

---

(١) محمد مسعود أحمد، الدكتور، تحريك آزادي هند اور السواد الأعظم، ص: ٥٥

(٢) النعيمي، غلام معين الدين، حيات صدر الأفاضل، ص: ١٩٦

(٣) لقد طبع الكتاب سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ومن هذا المنطلق نقرأ كلام المؤلف عن مولانا الشاه أحمد النوراني ومولانا عبدالستار النيازي رحمهما الله. (المترجم)

# فهرس المحتويات